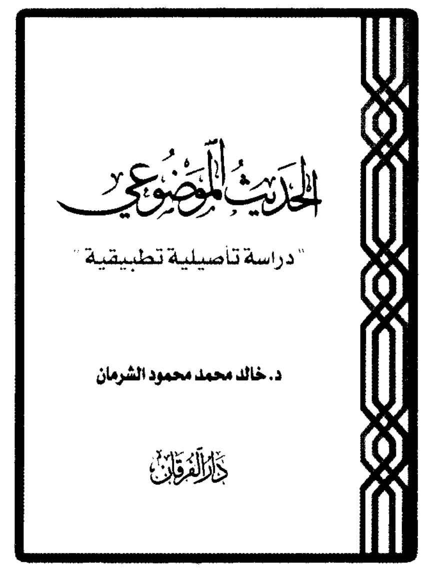
الحديث الموضوعي

"دراسة تأصيلية تطبيقية"

د. خالد محمد محمود الشرمان

دار الفرقان



دار الفرقان للنشر والتوزيع
عمان - العبدلي - عمارة جوهرة القدس
هاتف: ٤٦٤٠٩٣٧ - ٤٦٤٥٩٣٧ - فاكس: ٤٦٢٨٣٦٢
E.Mail: daralfurqan@gmail.com
ص.ب: ٩٢١٥٢٦ - عمان - الأردن

9789957507176

المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
{ ٢٠٠٩/٧/٢٩٨٨ }

رقم التصنيف ٢٣٢,١٢٣
المؤلف الشرمان، خالد
عنوان الكتاب الحديث الموضوعي ، دراسة تاصيلية تطبيقية، خالد محمد محمود الشرمان ( ) صفحة.
بيانات النشر عمان - دار الفرقان - ٢٠٠٩
الموضوع الرئيسي الواصفات: /الحديث الموضوعي // علم الحديث // الاسلام

ردمك
ISBN ٩٧٨ - ٩٩٥٧ - ٥٠٧ - ١٧ - ٦

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الاولية
ويتحمل المؤلف كامل المسئولية القانونية عن محتوى مصنفة ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية او جهة حكومية اخرى

الطبعة الاولى
١٤٣١ - ٢٠١٠

دار الفرقان للنشر والتوزيع

Tel: ٤٦٤٠٩٣٧ Fax: ٤٦٢٨٣٦٢
Email: daralfurqan@gmail.com

الإهداء

إلى الماضي والحاضر والمستقبل ،نبي الهدى والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم

وإلى من كانوا يحيون معي في الماضي فلم يروا ثمرة جهدهم أبي وأمي وأستاذي الدكتور وليد العاني رحمهم الله.

وإلى الحاضر والمستقبل بإذن الله زوجتي الدكتورة لبنى الرشدان وأولادي:المعتصم وعمرو ورغد وعبادة و سلمى وذريتهم رجاء أن يجعلهم الله من المجددين لهذا الدين.

وإلى المستقبل... لكل من يسعى لخدمة دين الله عز وجل ولكل من علمني شيئا انتفعت به.

أهدي ثواب هذا العمل

فهرس المحتويات

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

عنوان هذه الدراسة هو **الحديث الموضوعي -دراسة تأصيلية تطبيقية -**، وهو أحد فروع علو م الحديث، وتهدف الدراسة إلى بيان كل ما يتعلق بهذا العلم من حيث : تعريفه، وأهميته، ونشأته ،وتطوره، ومناهجه، ومراحله، والعلوم اللازمة له، ثم التطبيق العملي على موضوع بعنوان: المنهج النبوي في تقويم الألفاظ والمفاهيم ، لبيان مدى التوافق بين النظرية والتطبيق.

جاءت الدراسة في ثلاثة أبواب، وتناولت في الباب الأول: جهود العلماء والباحثين في الحديث الموضوعي، وفيه بيان لجهود المحدثين المتقدمين والمعاصرين في الحديث الموضوعي، والباب الثاني: لوازم دراسة الحديث الموضوعي ومناهجه ومراحله، والباب الثالث النموذج التطبيقي وهو: المنهج النبوي في تقويم الألفاظ والمفاهيم حيث بينت أهمية اللفظ والمفهوم وآثارهما، ثم بينت أهداف المنهج النبوي في التقويم ووسائله وخصائصه.

وقد توصلت في هذه الدراسة إلى تعريف الحديث الموضوعي ، وبيان نشأته، وتطوره ، وأهميته، وضبط مناهجه، ومراحله ،وبيان لوازمه.

Abstract

Thanks are due to God and peace be on Prophet Mohammad

This study is entitled Thematic Hadith- principled implemented study-, which is one of the branches of Hadith. This study aims at stating all that is related to this science: its definition, significance, origin, development, procedures, stages, needed sciences and others, and then its practical implementation on (the Prophetic procedure in reforming dictions and concepts) in order to show the range of consistency between theory and implementation.

The study is divided into three sections the first of which is: the efforts of scientists and researchers in studying Thematic Hadith, and the statement of the efforts of modern and contemporary scientists in Thematic Hadith. Section two: the requirements of studying Thematic Hadith, its procedures, and its stages. Section three: the practical procedure (the Prophetic procedure in reforming dictions and concepts) where the researcher showed stated the significance of diction and concept and their influence, then showed the aims, the tools and the characteristics of the Prophetic procedure in reforming. The researcher was able to attain a definition of Thematic Hadith, stating its origin development, and significance, controlling its procedures and stages and showing its requirements.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد.

إن فكرة التطوير والتحديث، فكرة ترافق المجتمعات وأهل العلم، للارتقاء بالحياة التي يعيشها الناس، وما زال المحدثون يدعون للناس، ويجددون في هذا العلم المبارك جيلا بعد جيل، حتى وصل إلينا في هذه الصورة الجليلة المتكاملة، وبرز في عصرنا الحاضر مصطلح جديد يسمى الحديث الموضوعي، والمعنى الأولي له هو: " تصنيف الحديث حسب الموضوعات "، وهي مادة تدرس في أكثر الجامعات التي تعنى بالحديث الشريف، ولكن فكرة هذا النوع من العلم غير واضحة في أذهان الكثيرين، كما أنه لا توجد دراسات نظرية تضبط مناهجه وخطواته ولوازمه، وتبين ما يتعلق به، رغم أهمية الموضوع.

ومنذ أيام الدراسة في مرحلة الماجستير وأسئلة تراودني حول هذا الموضوع وهي:

ما المنهج الصحيح في تدريس ودراسة الحديث الموضوعي والتصنيف فيه؟ ولماذا لا يكشف عن جهود السابقين في دراسته والتصنيف فيه من أجل الاهتداء بهم في واقعنا المعاصر؟ ولماذا لا يضبط هذا العلم

وتحدد مناهجه؟ وتوضح علاقته بغيره من العلوم؟ وتحدد مراحل ومناهج وخطوات التصنيف فيه؟.

إن التصنيف في الحديث الموضوعي في غاية الأهمية، لأنه يجعل الحديث الشريف متعايشا مع الواقع، ويقدم الحلول للمشكلات الكثيرة التي تعيشها المجتمعات، من خلال دراسة سند الحديث ومتنه، فنحن في الدراسة الموضوعية للحديث نهتم بالمتن ونجلي معناه بأوضح صورة وأبهاها، ونقدم للمجتمع دراسات متكاملة تبين المنهج النبوي في مسألة ما، وندرس سند الحديث حتى نصل للمتن ونعالج قضاياه كاملة بأسلوب علمي محكم، فنحن ندرس السند والمتن، مما يجعل هذه الدراسة دراسة حديثيه بحتة، مضافا إليها ربط الحديث بالواقع، ومناقشة الأفكار والآراء السائدة في الحياة، مع الاستفادة منها ما أمكن ومعالجة نقائصها ومخالفاتها إن لزم.

إن الموضوع يستحق أن يبذل فيه هذا الجهد لتوضيحه وتجليته، وكشف كل ما يخصه نظريا، ثم التطبيق العملي لهذه القواعد بعد ذلك، وأرجو أن أكون بذلك قد قدمت شيئا لعلم الحديث بإذن الله تعالى، مستعينا في كل ذلك بالله تعالى.

أهداف الدراسة

يتلخص الهدف العام من هذه الدراسة في وضع يد الباحثين والمختصين على دراسة متكاملة في الحديث الموضوعي ابتداء من نشأته وتطوره والمصنفات فيه، إلى مناهج المعاصرين في تناوله، ومن ثم بيان مراحل التصنيف فيه، وعلاقته بالعلوم الأخرى اللازمة له، مع ذكر الآداب والخصائص لكل منهج ومرحلة، في تصور متكامل للموضوع من جميع جوانبه.

وتتلخص الأهداف الخاصة بالآتي:

١. تعريف الحديث الموضوعي.
٢. بيان نشأة الحديث الموضوعي وتطوره ومناهج العلماء في التصنيف فيه، مع نقد لجهود المصنفين في كتاباتهم.
٣. بيان مناهج الباحثين المعاصرين في التصنيف في الحديث الموضوعي، ونقد هذه المناهج وبيان خصائصها ونقائصها، ومدى الاستفادة منها، وتطويرها لخدمة الواقع المعاصر.
٤. تحديد مراحل التصنيف في الحديث الموضوعي وبيان أهمية كل مرحلة وخصائصها.
٥. بيان الارتباط بين الحديث الموضوعي والعلوم الأخرى.

٦. التطبيق العملي لنموذج واضح في الحديث الموضوعي مع تحليل هذه الدراسة.

٧.

أهمية الدراسة

١. الدراسة هي الأولى – على ما أعلم – من نوعها التي تكتب في هذا المجال الهام وهو الحديث الموضوعي بأبعاده المتكاملة.

٢. تؤصل هذه الدراسة للحديث الموضوعي وتضبط هذا المصطلح وطريقة البحث فيه، وتبين مناهج الباحثين في تناول موضوعات الحديث الشريف.

٣.

٤. تكشف الدراسة عن جهود المحدثين السابقين في هذا المجال مع تحليل لأعمالهم حسب العصور للاستفادة منها في الحاضر.

٥. تحدد الدراسة كل ما يتعلق بهذا العلم، وارتباطه بباقي العلوم الأخرى.

٦. تنتقل الدراسة من مرحلة النظرية إلى مرحلة التطبيق.

٧.

المناهج المتبعة في البحث

اقتضت طبيعة الدراسة أن اتبع المناهج الآتية: –

١. المنهج الاستقرائي؛ وذلك بتتبع تطور التصنيف في الحديث الموضوعي منذ عصر النشأة للعلم إلى عصرنا الحاضر.

٢. المنهج التحليلي وذلك فيما يلي: –

أ- بيان خصائص كل مرحلة وأثرها في تطور هذا النوع من العلم.

ب- تحليل ما يتعلق بكل مرحلة، وكيف استفاد منها أصحابها ومدى ملاءمتها لنا في الواقع المعاصر.

ت- تحديد مناهج المعاصرين في التصنيف في الحديث الموضوعي، مع نقد واضح لهذه المناهج إيجابا وسلبا.

٣. المنهج الاستنباطي ويتمثل فيما يلي: –

أ- رسم المنهج المتكامل للحديث الموضوعي مع بيان كل ما يتعلق به من حيث مراحله وما يلزم هذه المراحل، وعلاقة الحديث الموضوعي بالعلوم الأخرى عامة، وبعلم الحديث ومفرداته خاصة.

ب- معالجة جميع مشكلات الحديث الموضوعي من الناحية النظرية.

ت- الدراسة التطبيقية لنماذج واضحة في الحديث الموضوعي.

ث- تحليل الدراسة التطبيقية بعرضها على الدراسة النظرية للاستفادة منها بالشكل الأمثل.

خطة الدراسة

تشتمل خطة الدراسة الموضوعات كما هي مدرجة في الفهرست

الباب الأول

جهود العلماء والباحثين في الحديث الموضوعي

ويتضمن ما يلي:

التمهيد: في تعريف الحديث الموضوعي وأهميته وأسباب ظهوره.

الفصل الأول: جهود المحدثين المتقدمين في الحديث الموضوعي.

الفصل الثاني: جهود المعاصرين في الحديث الموضوعي.

التمهيد

أولا: تعريف الحديث الموضوعي

١- تعريف الحديث:

الحديث في اللغة: ضد القديم، ويستعمل حقيقة بمعنى الخبر، قال في القاموس: الحديث: الجديد والخبر[١]، وفي الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي[٢]

٢- تعريف الموضوعي:

يرجع معنى الموضوعي إلى الفعل الثلاثي وضع من الوضع، وهي مادة تدل على مطلق جعل الشيء في مكان، وتستخدم في عدة معانٍ منها: الحط والخفض أو الالقاء والتثبيت في المكان[٣]، والموضوع عند أهل اللغة: المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه[٤]، فإثبات شيء في مكان واحد يشبه إثبات الأحاديث الشريفة في حقل واحد[٥]، والموضوع في التفسير الموضوعي هو: القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها وجهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة[٦]، فالموضوع قضية بحثية إنسانية أو كونية، أو إشكالية علمية أو معرفية، تشغل بال الفكر، وتقلق واقع الحياة المعرفية، لما تتطلبه من حلول رشيدة، وتوجيهات سديدة[٧]، والموضوع الحديثي لا يخرج عن هذا المعنى، من حيث إنّ كل ما

---

١ الفيروزآبادي، (القاموس المحيط) ص ٢١٤ مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٩٨٧

٢ عتر، نور الدين (منهج النقد في علوم الحديث) ص٢٦ دار الفكر بيروت، ودار الفكر سوريا ط٣ ١٩٩٢

٣ الزمخشري، (أساس البلاغة) ص٩٠٩

٤ (المعجم الوسيط)، ج٢، ص١٠٤٠.

٥ الدغامين، (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ومنهجية البحث فيه) ص١٩ دارعمار الاردن ط١ ٢٠٠٧

٦ فتح الله، عبد الستار، (المدخل للتفسير الموضوعي) ص ٢٠ نقلا عن بحث د الزيان ص٢١٣

٧ الدغامين، (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ومنهجية البحث فيه)، ص ١٩

تناوله الحديث من قضايا هو مما تمسّ الحاجة إلى القول الفصل فيه.

٣-تعريف الحديث الموضوعي:

قال د.الزيان[1]: يمكن تعريف الحديث الموضوعي بأحد التعريفات الآتية:

-هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد النبوية، من خلال موضوع حديث نبوي شريف مقبول أو أكثر.

-هو جمع الروايات الحديثية المتفرقة في مصادر السنة الأصلية، المتعلقة بموضوع واحدلفظا أو حكما، وشرحها حسب المقاصد النبوية الشريفة.

-هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية حديثية للخروج بنظرية نبوية بصدده.

-هو قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي،، أو مظاهر الكون تعرضت له الأحاديث النبوية الشريفة.

-هو علم مختص بالأحاديث ذات الموضوع المشترك .

وكل ما سبق من تعريفات هي في أصلها للتفسير الموضوعي باستبدال كلمة الحديث مكان التفسير .

وعرف الزيان الحديث الموضوعي تعريفا وصفيا بأنه:

علم يبحث في الموضوعات التي تناولتها السنة النبوية الشريفة، والمتحدة معنى أو غاية، من خلال جمع أحاديث الموضوع من مصدر حديثي أصلي، أو عدة مصادر، أو في ضوء السنة النبوية، بحيث يقوم الباحث بتحليل النصوص الحديثية المقبولة ومقارنتها ونقدها، ثم محاولة ربطها للوصول إلى روح النص النبوي من أجل تطبيقه في الواقع المعاصر.

وهذا التعريف رغم توضيحه لصورة الحديث الموضوعي، الا أنه-كما قال صاحبه

---

١ الزيان، رمضان، (بحث الحديث الموضوعي) ص ٢١٤، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد العاشر، عدد٢، ٢٠٠٢، ص (٢١٥)، بحث(Google) الانترنت

تعريف وصفي، فهو وصف له وبيان لأنواعه، مع بيان لطريقة عمل الباحث، والمراد تعريفه تعريفا علميا مانعا جامعا.

لذا أرى أن يكون لدراسات الحديث الموضوعي تعريف عام وتعريف خاص؛

أما **التعريف العام** فهو: **دراسة علمية لموضوع معين بالاعتماد على حديث النبي صلى الله عليه وسلم، أو هو: بيان موضوع ما في ضوء السنة النبوية.**

وعلى هذا التعريف فكل جهد علمي يهدف إلى بيان الموضوع من خلال الحديث المقبول فهو من الحديث الموضوعي، فأي دراسة يشترط لها حتى تكون من قبيل الحديث الموضوعي شرطان فقط:

الأول: أن يكون هناك موضوع بالمعاني السابقة لهذه الكلمة.

والثاني: أن يدرس الموضوع من خلال الحديث بحيث يكون الحديث هو المؤسس الجوهري لهيكل الموضوع.

وأما **التعريف الخاص** للحديث الموضوعي حسب المنهج المتكامل فهو: **بحث علمي لموضوع ما، من خلال الحديث المقبول، للوصول إلى الهدي النبوي، وتطبيقه في الواقع**[1].

وبين المعنى العام والمعنى الخاص للحديث الموضوعي، يمكن أن توجد مناهج متعددة، كلها تدخل في مسمى الحديث الموضوعي أو الدراسات الموضوعية للحديث.

ثانيا: مصادر الحديث الموضوعي:

إن دراسات الحديث الموضوعي هي التي تريد أن تتعرف على حقائق حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون الحديث هو الذي يشكل جوهر الموضوع، ودعائمه الأساسية، دون أن يدخل في تشكيل المعالم الأساسية للموضوع أي شيء آخر، سوى حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

الا أن للعلاقة بين القرآن الكريم وحديث النبي -صلى الله عليه وسلم-

---

١ انظر الفصل الثاني من الباب الثاني من الرسالة فهناك شرح وتفصيل موسع للتعريف

خصوصية، من جهات كثيرة أهمها؛ أن السنة النبوية هي البيان العملي للقرآن الكريم والتفصيل لما جاء به الكتاب الكريم. لذا فإن علاقة الحديث الموضوعي بالقرآن لها وضع خاص.

وفي تراث أسلافنا نجد مثلاً أن الإمام البخاري رحمه الله يترجم بآية أو أكثر ثم يورد الحديث الذي يريده للمعنى المترجم عليه، ونجد الإمام النووي رحمه الله يبتدأ أبوابه في رياض الصالحين بآيات من القرآن الكريم، لذا فإن هذين النموذجين يعتبران مثالا طيباً للعلاقة بين القرآن الكريم والحديث الموضوعي.

فأصل الموضوع الذي يتناوله الباحث مستوحى من الحديث النبوي، والاستشهاد بالآيات القرآنية في بداية الموضوع تزيده قوة وتأصيلاً، ولكن دون استطراد لذكر الآيات فيكفي الاشارة بآية أو اثنتين أو ثلاثة في بداية الفكرة، ذكراً مع تعليق يسير جداً حولها- إن لزم الأمر- كما كان يفعل النووي في رياض الصالحين.

فالحديث الموضوعي يتشكل أساساً من خلال حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقط، وكل شيء يذكر من تفسير للقرآن الكريم أو أقوال للصحابة أو التابعين، أو غيرهم، إنما هو تأكيد للمعاني التي جاءت في الحديث الشريف، أو تفسيراً لها، أو توضيحاً لمعانيها، دون أن تدخل في تشكيل المعالم الأساسية للموضوع.

ويبقى مسألة مهمة وهي: علاقة أقوال الصحابة رضي الله عنهم بالحديث الموضوعي؛إذ الأصل في دراسات الحديث الموضوعي هو الحديث النبوي، وهو المعروف في المصطلح باسم الحديث المرفوع، ويلحق به ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، مما له حكم المرفوع، ولكن لهدي الصحابة رضي الله عنهم مكانته أيضاً، باعتبارهم نقلة القرآن والسنّة، وأفهم الناس لها لمشاهدتهم لأسباب النزول والورود، ومعرفة القرائن والملابسات، والعيش في مدرسة النبوة، والتمكن من ناصية اللغة التي نزل بها القرآن وجاء بها الحديث، مع سلامة فطرة، ونور بصيرة، وقوة إيمان، وصدق التزام، إلى غير ذلك من فضائل وصفات لا تتوافر كاملة في جيل غيرهم، لهذا أثنى عليهم القرآن والسنّة، وجاء التنويه بجماعتهم وبأفراد معينين منهم، بما لا يوجد لسواهم. فضلاً عما أمرنا به من الاهتداء بسنّة الخلفاء الراشدين منهم.

ولهذا فإن ما صح من أقوال الصحابة رضي الله عنهم، وأفعالهم وهديهم خصوصاً الخلفاء الراشدين، وعلماء الصحابة، ينبغي أن يكون له دور في حسن فهم حديث النبي -صلى الله عليه وسلم - وترجيح ما يحتاج إلى ترجيح منها، وحسم بعض المسائل الخلافية، خاصة في أمور الفقه وما يشبهها. وإن ما ذكره علماء أصول الفقه في قول الصحابي رضي الله عنهم يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في دراساتنا في الحديث الموضوعي، بحيث يحسن الباحث التعامل معه ضمن قواعد منهجية متفق عليها أو راجحة على الاقل.

وبعد ذلك – أي القرآن الكريم وأقوال الصحابة – فإن كل المصادر تعتبر ثانوية، ويستفاد منها لدعم الفكرة الأساسية، وتوضيحها، وبيان معالمها... بأسلوب حسن يتناسب مع جلالة حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: أسباب ظهور الحديث الموضوعي بصورته المعاصرة

كان الاهتمام بتصنيف الحديث والاستنباط منه بطريقة الترتيب الموضوعي منهجاً متبعاً في جميع القرون الإسلامية السابقة، وقد مرت به فترات ازدهار ونمو ويقظة، وفترات ركود وانحسار وتراجع، وفي عصرنا الحاضر فنحن في مرحلة نهوض وإبداع، وتجدد في كل مجالات علوم الحديث عامة، وفي مجال الحديث الموضوعي الذي هو سمة هذا العصر خاصة، وتعود أسباب ذلك إلى أمور منها:

١. ردة الفعل باتجاه الثقافات المختلفة التي انتشرت في أوساط المسلمين اليوم، وتحاول اجتذابهم إليها بوسائل متعددة، فظهرت عند مسلم اليوم نزعة التحدي والدفاع عن موروثه، ولكن بصورة علمية معاصرة، فأراد المختصون أن يكون للحديث دوره الفاعل في حياة المسلمين وأن يكون هو الموجه في كل مجالات الحياة، فارتفعت همتهم للتصنيف في هذا النوع من الدراسات ليكون لهم نصيب في خدمة سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام بما يوافق حياتهم.

٢. نظر المختصون في الحديث في الدراسات الحديثية المنتشرة في الساحة العلمية اليوم، فإذا هي لا تخدم المسلم العادي، ولا تعالج مشكلاته، ولا تقدم له

الحلول المناسبة للارتقاء بحياته، فأرادوا أن يكون لهم دور فاعل في تحمل المسؤولية تجاه المجتمع الذي يعيشون فيه فاتجهوا إلى مثل هذا النوع من الدراسات، ورافق ذلك الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد في شتى العلوم والمعارف عند مسلم اليوم، فوجدت الفكرة رواجاً عند كثير من المختصين.

٣. إن دراسات الحديث الشريف بصورتها التقليدية فيها نوع من الجفاف، لأنها علوم تعليمية بحته في أغلب مباحثها، وهذا النوع يخلو من المتعة التي يبحث عنها الدارسون، فعندما فتح باب الحديث الموضوعي وجد الباحثون فيه متعتهم باستخدام عقولهم في معالجة الواقع من وحي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤. اتصال بعض أبناء أمتنا من الغيورين على دينهم بالثقافات الغربية المختلفة والمتنوعة والاطلاع عليها عن قرب، ومعرفة مناهجهم بسبب دراستهم في الجامعات الغربية، فبدافع التقليد والمحاكاة أحياناً، أو بدافع الاقتباس ظهرت مثل هذه الدراسات.

٥. الهجمة الشرسة على دين الله عزوجل، وعلى رسوله صلوات الله وسلامه عليه أثر واضح في إذكاء شعلة الإيمان، والمحبة للدين ورسوله العظيم، وكان من آثار ذلك دراسات كثيره للدفاع عن الهادي عليه الصلاة والسلام بصورة علمية تمثلت بالحديث الموضوعي.

٦. انتشار الجامعات العلمية التي تدرس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، في شتى أرجاء العالم الإسلامي، وصدور مصنفات ومؤلفات تخدم هذا الاتجاه في التصنيف.

٧. انتشار الحاسب الآلي، وخدمته الكبيرة للسنة النبوية في مجالات متعددة كالتخريج، وطرق الحديث، والتصحيح والتضعيف... وغيرها، قد فتحت المجال بشكل أوسع أمام دراسات فقه الحديث فكانت هذه الجهود المباركة التي بدأت وستستمر بإذن الله عز وجل حتى تؤتي أكلها طيبة مباركة، ويكون للمحدثين الدور الأعلى في إعادة البناء الحضاري للأمة.

رابعا: أهمية دراسة الحديث الموضوعي

بعد النظر في الدراسات الموضوعية، ومحاولة استشراف ما ستحققه من أهداف يمكن أن نلخص أهمية هذه الدراسات وفوائدها في النقاط الآتية:

١ـ إن هذا النوع من الدراسات يتفق وروح العصر الحاضر الذي تتجدد فيه حاجات المجتمعات، وتبرز فيه أفكار ونظريات جديدة ثمرة للتقدم العلمي والتقني، حيث تعطي هذه الدراسات رؤى وحلولاً صحيحة، وتخرج للناس أحكاماً عامة تغنيهم عن اللجوء إلى القوانين الوضعية.

٢ـ تساعد في إبراز جوانب متعددة من الإعجاز، في السنّة النبوية الصحيحة والتي تؤكد أن السنّة النبوية وحيا من عند الله تعالى، وإن كان بالمعنى دون اللفظ، لأن مثل هذا الإعجاز لا يتسنى لبشر معرفته قبل قرون الا عن مصدر إلهي.

٣. تساعد في تأصيل العلوم الشرعية الجديدة التي نشأت حديثاً لتلبية حاجات المسلمين العلمية في شتى مجالات المعرفة الإنسانية مثل: علم النفس الإسلامي، والاعلام الإسلامي، والاقتصاد الإسلامي وغيرها.

٤. تقدم هذه الدراسات فوائد جليلة لكل من الدعاة والباحثين- بل أفراد المجتمع المسلم كله- من إحاطة تامة بيسر وسهولة بكل ما يتعلق بموضوع الدراسة في مكان واحد.

٥. يساهم هذا العلم مساهمة فاعلة في مختلف الحديث، حيث يرفع التعارض عن طريق الجمع بين الروايات التي ظاهرها التعارض، كما يساهم في بيان الناسخ من المنسوخ، حيث تعميق البحث يفصل في السابق واللاحق من الأحكام الشرعية، وكذلك يمكن به الكشف عن أسباب ورود الحديث حيث يبين الموقف الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم - الحديث مما يساعد في فهمه وكيفية تطبيقه [١].

٦. إننا نفتقر إلى كثير من العلم والمعرفة في طريقة تعاملنا مع الواقع المعاصر في جوانبه المختلفة، الاجتماعية منها والسياسية وغيرها، ونفتقر إلى كثير من

---

١ الزيان، بحث الحديث الموضوعي، ص (٢١٥).

الخبرة والتجربة إزاء توظيف نصوص الحديث الشريف وحقائقه في الواقع المعيش بقضاياه المتشعبة وإشكالاته المتجددة، مما يشي بأهمية الحديث الموضوعي في اكتشاف المنهج النبوي في التغيير الاجتماعي والحضاري عبر تلك الحقائق الهادية إلى الصراط المستقيم[1]

٧. ويجمع هذا النوع من الدراسات بين علم الحديث دراية وعلم الحديث رواية، بالإضافة إلى فقه الحديث الذي هو ثمرة العلوم السابقة.

٨. وينفي عن المحدثين صفة الجمود والتقليد التي طالما التصقت بهم على مر العصور.

٩. ويتبين من خلال الدراسات الموضوعية قدرة هذا الدين على التجديد في حياة المسلمين، ومواكبة كل التطورات وفي كافة العصور، ويبين مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى هداية الوحي في شتى شؤون الحياة، إن أراد السعادة والاستقرار في الدنيا والاخرة.

١٠. ونتمثل من خلال الحديث الموضوعي قول الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب: ٢١ بأوضح معانيها وأتم دلالاتها.

١١. ثم إن الدراسات الحديثية في مجالات الرواية والدراية، قد أخذت حيزاً كبيراً في المكتبات الإسلامية، وضاقت على الباحثين الموضوعات الجديدة التي يمكن أن يقدموا من خلالها إضافات علمية منهجية حقيقية، فوجد الباحثون الباب مفتوحا أمامهم للانتقاء والاختيار من أنواع الحديث الموضوعي.

١٢. إن منهج البحث في الحديث الموضوعي يمكن أن يجعلنا نعيد النظر في دراسة السنة كلها، وتقديمها للناس بصورة جديدة مبناها (المنهج النبوي في...)، بصورة أقرب إلى نفس القارئ وأوضح في الدلالة على المراد.

١٣. إن الحديث الموضوعي يحاول أن يصل إلى مايسمّى اليوم بالنظرية، مثل نظرية حديثية عن السعادة، أو العمل، أو استصلاح الارض، أو سنن

١ الدغامين،(منهجية البحث في التفسير الموضوعي) ص٦٤

التاريخ، أو السماوات....

خامسا: التفريق بين التقسيم الموضوعي للحديث، والدراسة الموضوعية.

رأى بعض الباحثين(١)، أن هناك فرقاً بين التقسيم الموضوعي للحديث، وبين الدراسات الموضوعية في الحديث، ويعتمد هذا الفرق على أن التقسيم الموضوعي هو ترتيب الأحاديث حسب الموضوعات التي يتناولها الحديث، ثم التفريع تحته إلى موضوعات جزئية تمثل فروع موضوع رئيس اعتمده واضع التقسيم كموضوع كلي تحته فروع، وهذا التقسيم هو الذي حمل مصطلح تصنيف على الأبواب الفقهية، ومن ذلك الأجزاء الحديثية التي أفردت لموضوع معين عن طريق جمع الأحاديث الواردة فيه، ويدخل في هذا الباب حسب رأي الباحث كتب الجوامع، والسنن، والمصنفات، والموطآت، والكتب التي أفردت لموضوع معين.

أما الفروق بين الطريقتين فتتلخص حسب وجهة نظره بالآتي:

١- أن التقسيم الموضوعي للأحاديث النبوية الشريفة بدأ مبكراً، والدراسات الموضوعية جاءت متأخرة عن أنواع التصنيف

٢- التقسيم الموضوعي للأحاديث – في أغلبه – قد مال إلى الجمع الترتيبي للأحاديث في تحليل النصوص، والاستنباط منها، بينما الدراسة الموضوعية تعتمد أساساً على التحليل والنقد والربط مع الواقع.

٣- التقسيم الموضوعي للأحاديث هو الزاد الأول الذي تعتمد عليه الدراسة الموضوعية، الا أنها تبدأ منه ثم تتعداه من أجل تحقيق أهدافها.

٤- الدراسة الموضوعية تخاطب عصراً معيناً فهي تميل إلى الوضوح وسهولة الأسلوب بينما التقسيم الموضوعي يخاطب الأمة على مر العصور فهو ييسر طريق الوصول للأحاديث في أقصر وقت ممكن.

هذه الأمور الأربعة التي ذكرها الدكتور الفاضل هي التي جعلته يقول بفكرة التفريق الا أن لي بعض الملاحظات والتعقيبات على هذه الفكرة وهي:

١-الباحث الفاضل جعل أغلب الدراسات السابقة من جوامع أو سنن أو موطآت
٢-ومصنفات مفردة من قبيل التقسيم الموضوعي بالفروق السابقة، وحقيقة الأمر أن

١ الزيان، (الحديث الموضوعي)، ص ٢١٧.

٣-هذه المصنفات كلها يمكن النظر إليها على أنها دراسات في الحديث الموضوعي خاطبت عصرها، والعصور الأخرى، وبذل أصحابها فيها جهداً متفاوتاً لربطها بالواقع، والاستنباط من الحديث وفهمه، وجودة الترتيب، وربط الأبواب بعضها ببعض وغير ذلك، وأبرز مثال على ذلك الإمام البخاري رحمه الله الذي يتجلى بفهمه للحديث وترجمته له، وحسن ترتيبه وتقسيمه للحديث.

ولا يعني هذا أن هذه المصنفات متساوية من حيث تحقيقها لفكرة استكشاف المنهج النبوي في مسألة ما، الا أنها كلها تحاول أن تقترب من هذه الفكرة كل حسب طريقته.

٤-أرى أن نجعل كل ترتيب منهجي للحديث على الموضوع، قصد فيه مؤلفه إبراز الموضوع من خلال الحديث من أنواع الحديث الموضوعي، ثم نجعل الحديث الموضوعي مراتب مختلفة متفاوته، فأعلاها المنهج المتكامل في الحديث الموضوعي، وهناك مناهج جزئية كثيرة هي أقل درجة، يأتي تفصيلها في مكانها بإذن الله، ذلك لأن كل ترتيب للأحاديث على الموضوع لا بد أن يكون مصنفه قد بذل فيه جهداً في الاستباط، ومجرد الترتيب والانتقاء هو عمل علمي، فإذا ترجم لأبوابه، وقسم الأحاديث، واختار الألفاظ... ، فيكون قد أراد الحديث الموضوعي، وأبرز الموضوع من خلال الحديث الشريف، فيصح أن نطلق عليه حديث موضوعي، بعكس من لم يبرز الموضوع ويهتم به، كأن اعتنى بجمع الطرق والروايات فقط، مع التصحيح ودراسة الرواة ولم يهتم بالموضوع، فلا يكون تصنيفه من باب الحديث الموضوعي.

لذا فإنني أرى أن نعتبر كل جهد أبرز الموضوع من خلال الحديث، هو من الدراسات الموضوعية مع تقسيم هذه الجهود إلى مراتب بعضها عليا وبعضها دنيا، كما سأبينه بإذن الله، فإن كان لا بد من التفريق بين الحديث الموضوعي والتقسيم الموضوعي للحديث فيكون التقسيم مرادفا لفهرسة الحديث. علما أن الباحث الفاضل نفسه قد اعتبر بعض دراسات الجمع والترتيب التي لا تخاطب عصراً معيناً من الحديث الموضوعي، كاعتباره دراسةَ أحاديث قراءة سورة الكهف، جمع ودراسة، من الحديث الموضوعي رغم أنها جمع، وترتيب وتصحيح للحديث، وليس فيها ربط بواقع معين، إذ تخاطب كل العصور، مما يبين صعوبة التفريق بين المصطلحين، والله أعلم.

الفصل الأول
جهود المتقدمين
في
الحديث الموضوعي

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: نشأة الحديث الموضوعي؛ من عصر النبوة إلى نهاية القرن الثاني الهجري.

المبحث الثاني: الحديث الموضوعي في القرن الثالث والرابع الهجريين.

المبحث الثالث: الحديث الموضوعي من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن السابع الهجري.

المبحث الرابع: الحديث الموضوعي من منتصف القرن السابع إلى نهاية القرن العاشر الهجري.

المبحث الخامس: الحديث الموضوعي من القرن العاشر إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

المبحث الأول
التصنيف على الموضوع في القرن الأول والثاني الهجريين

المطلب الأول
الجذور التاريخية للحديث الموضوعي في عهد النبوة

كان النبي -صلى الله عليه وسلم - يبلغ رسالة الله عز وجل للناس وينشر هديه بينهم، ويرتقي بالحياة بكل أركانها، ويطلق طاقات الصحابة رضي الله عنهم، وينمي فيهم جوانب الخير ويعالج فيهم نزعة الشر، مستخدماً بذلك وسائل شتى وأساليب مختلفة، ومن أساليبه عليه الصلاة والسلام أن يطرق الموضوع الواحد بطرق مختلفة ليستقر في الاذهان وتترسخ معانيه في النفوس، فيبين الموضوع الواحد من جوانبه المختلفة التي قد تخفى على الكثير.

ومن تتبع هدي المصطفى -صلى الله عليه وسلم - في خطابه وأفعاله يرى بوضوح أن فكرة الموضوع كانت ماثلة في منهجه عليه الصلاة والسلام ذلك لأن جمع الموضوع من جميع جوانبه يجعل الفهم أشمل والتطبيق أمثل وأفضل، ومن الدلائل على ذلك مواقف وخطب ذكر فيها النبي عليه الصلاة والسلام جوانب متعددة للموضوع، وتشجيع الصحابة على التخصص في بعض الموضوعات، وكتب النبي عليه الصلاة والسلام ومعاهداته.

فمن المواقف والخطب التي ذكر فيها النبي عليه الصلاة والسلام جوانب متعددة للموضوع؛ حديث حذيفة - رضي الله عنه - حيث قال: قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه[1]، فذكر النبي -صلى الله عليه وسلم - من الأحداث ما يكون إلى يوم القيامة يدل

---

١ مسلم، كتاب الفتن، باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة رقم ٢٨٩١

على تفصيله في جانب من الأمور، وهو المستقبل وقد استغرقت الخطبة ساعات متعددة.

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال حفظت من رسول الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الاخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[1] فتقسيم أبي هريرة - رضي الله عنه - للعلم إلى وعاءين - موضوعين - تلقاهما من رسول الله عليه الصلاة والسلام، يدل على كثرة ما في الوعاء من أحاديث، ذلك لأن الذي نشره أبو هريرة كثير، فكذلك ما سكت عنه، والذي يظهر انه كان في موضوع واحد يرجح أنه الفتن وما يتعلق بها من أمور لا يترتب عليها العمل[2].

وفي جانب آخر نجد أن بعض أحاديث رسول الله غليه الصلاة والسلام ذكرت جوانب متعددة للموضوع الواحد، بما يعطي قارئه تصوراً واسعاً حول الموضوع، ومثال ذلك حديثه عليه الصلاة والسلام في الرؤيا في القوم الذين يعذبون، حيث ذكر أنواعا من المعذبين لأنواع من المعاصي[3]، وحديث حذيفة في الفتن، حيث ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أنواعا متسلسلة من الفتن ستظهر في المستقبل[4]، ومنها حديث جبريل الطويل في بيان أركان الإيمان والإسلام وأمور الاحسان وعلامات الساعة[5]، وحديث وفد عبد القيس في المأمورات والمنهيات[6] وحديث الثلاثة الذي أغلق عليهم الغار فدعوا الله عز وجل بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم[7] وغيرها.

---

١ البخاري، في العلم، باب حفظ العلم رقم١١٧

٢ انظر البخاري، طبعة فتح الباري، ج١، ص١٨٦ كتاب العلم باب حفظ العلم

٣ البخاري، في التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح رقم ٦٦٤٠ ورقم ٨٠٩، ومسلم، في الرؤيا، باب رؤياالنبي صلى الله عليه وسلم رقم ٢٢٧٥

٤ البخاري، في الفتن، باب علامات النبوة رقم (٣٣٣٨)(٦٥٥٧)، ومسلم في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم ٣٧٠٦وأحمد رقم (٢٢٣٣٤) وغيرهم

٥ البخاري، في الإيمان، باب سؤال جبريل علية السلام النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان حديث رقم(٥٠)

٦ البخاري، في الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان حديث ٥٣ وغيره

٧ البخاري، في الانبياء، باب { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم } رقم ٣٢٧٨ورقم٥٦٢٩ومسلم رقم ٢٧٤٣

ويلتحق بذلك **خطب ذكر فيها النبي صلى الله علية وسلم جوانب متعددة لموضوع تشكل وحدة موضوعية**، ورغم أننا لا نملك رصيداً كبيرا من خطب كاملة للنبي صلى الله عليه وسلم[1]، الا أن الذي يتبادر للذهن أن موضوع الخطبة واحد لإشباع الخطبة وإغنائها، ولعل خطب النبي عليه الصلاة والسلام لا تخرج عن ذلك، ثم إن بعض ما نقل إلينا من خطبه عليه الصلاة والسلام تتأكد فيه هذه المعاني، وخطبة النبي -صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع مثال بارز لذلك[2]؛ حيث أوصى فيها عليه الصلاة والسلام بتقوى الله عز وجل وحرمة الدماء والأموال والأعراض، وتحريم بعض عادات الجاهلية كالربا والدماء، وبين حقوق النساء وواجباتهن، وأخوة المؤمنين، وحرمة اقتتالهم وأفضلية التقوى، وبعض حقوق العباد في الميراث والنسب وغيرها، مما يمكن ان نطلق عليه وثيقة الحقوق والواجبات.

والأمر الثاني الذي يمكن أن نستدل به هو حث النبي عليه الصلاة والسلام بعض الصحابة على التخصص في بعض الموضوعات أو المجالات، ودعوته إلى ذلك بصور مختلفة.

فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام ينمي جانب التخصص في بعض الجوانب العلمية عند بعض الصحابة رضوان الله عليهم، وذلك كحذيفة - رضي الله عنه - الذي كان يقول: كان الناس يسألون رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الخير وكنت أساله عن الشر مخافة ان يدركني[3]، وأقره النبي عليه الصلاة والسلام على هذا النهج حتى كان صاحب سره.

---

١ انظر عبد الملك السيابي، رسالة خطب النبي صلى الله عليه وسلم في الجمعة والعيدين الجامعة الاردنية ٢٠٠٠

٢ أصل الخطبة رواها الأئمة في الصحاح والسنن، فقد اخرج أجزاء منها مفرقة البخاري في أكثر من موضع فأخرجه في العلم رقم٦٧ وأخرجه برقم (١٠٥)(١٧٤١)(٣١٩٧) (٤٤٠٦)((٤٦٦٢)(٤٦٦٢)(٥٥٥٠)(٧٠٧٨) (٧٤٤٧)، ومسلم شرح النووي ٣/(٣١٣-٣٥٦) وأبو داود وابن ماجة وأحمدوغيرهم، ونص الخطبة كاملا نجده في كتاب مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي ص ٢١٢ جمع د. محمد حميد الله أبادي، مكتبة مدبولي ٢٠٠٠.

٣ البخاري، في الفتن، باب علامات النبوة رقم ٣٣٣٨و، ٦٥٥٧ومسلم في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم ٣٧٠٦

ومدح النبي عليه الصلاة والسلام بعض الصحابة لاختصاصهم في بعض الموضوعات أو بعض الأخلاق؛ فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح[1]، فيتضح من خلال الحديثين أن تنمية بعض الجوانب العلمية كالاختصاص بالفتن، أو الحلال والحرام أو الفرائض أو القراءة... . كانت منهجا نبويا لأهمية وجود التخصص في كل حقل من حقول المعرفة التي يحتاجها الناس في دينهم ودنياهم.

والأمر الثالث في هذا الجانب هو كتب النبي عليه الصلاة السلام إلى عماله[2] ومعاهداته، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب الكتب إلى عماله يبين فيها بعض الأمور المهمة لهذا العامل، وتختلف هذه الكتب تبعا لاختلاف الزمان والمكان والاشخاص، وبعض هذه الكتب تمثل وحدة موضوعية للكتاب، ومن أشهر هذه الكتب كتاب النبي عليه الصلاة والسلام الذي بعثه لأهل اليمن مع عمرو بن حزم الانصاري، فعن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبية، عن جده، عن النبي عليه الصلاة والسلام: انه كتب لأهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات وبعثه مع عمرو بن حزم فقرأت على أهل إليمن[3].

---

١ أحمد، المسند، مسند أنس رقم (١٢٩٢٧)و(١٤٠٢٢) وقال الارنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين، والترمذي في المناقب باب مناقب معاذ بن جبل رقم ٣٧٩١، وقال عنه هذا حديث حسن صحيح وقال الألباني صحيح

٢ هناك دراسات علمية جامعية في دراسة كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمراء والملوك منها رسالة ماجستير في جامعة ام درمان مقدمة من الطالب أبشر عوض محمد إدريس، وأخرى في المدينة المنورة في الجامعة الإسلامية رسالة دكتوراة في كلية الدعوة وأصول الدين قسم التاريخ مقدمة من الطالب محمد بن عبدالله الغبان

٣ مالك، في الموطأ، كتاب الديات ج٣ص٣رقم ٦٦٢، والنسائي، في الديات، باب ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له ج٨ ص٥٧ رقم ٤٨٥٣، وابن حبان، رقم٦٥٥٩، وقال الألباني في الارواء ج٧ ص٣٠٠ وهو مرسل صحيح الإسناد وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو.

وأما معاهداته عليه الصلاة والسلام فقد تميز بعضها باختصاصها بموضوع واحد، ومن أشهر هذه المعاهدات معاهدته بين المهاجرين والانصار واليهود عند قدومه إلى المدينة، حيث ذكرت هذه المعاهدة الحقوق والواجبات، وبينت الخطوط العريضة للسياسة العامة للدولة المسلمة، وطبيعة العلاقات التي ينبغي أن تكون بين المسلمين بعضهم ببعض، وبينهم وبين اليهود من جهة أخرى.[1]

المطلب الثاني

الكتابات في الموضوع في عهد الصحابة رضي الله عنهم

لا ريب أن الحديث عن التصنيف الموضوعي للحديث في العصر الإسلامي الأول إنما هو من قبيل التجوز، ذلك أن المصطلح حادث عرفه الناس في وقت لاحق، فليس بالضرورة أن يكون الفهم آنذاك مطابقا لفهم المتأخرين بكل الاعتبارات، ولا يشترط أن يكون المنهج في العصر الأول مطابقا لما نقصده وإن كان الهدف متقاربا في الأغلب.

لقد كانت فكرة جمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد ماثلة في أذهان كثير من صحابة رضي الله عنهم، وذلك تلبية لحاجات طبيعية أفرزهاواقع الحياة التي يعيشون، ومن ذه الجهود ما يلي:

١. ما كتبه أبو بكر الصديق لأنس بن مالك في فرائض الصدقة فقد قال انس رضي الله عنه: أن أبا بكر – رضي الله عنه – كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين بسم الله الرحمن الرحيم. هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله –صلى الله عليه وسلم – على المسلمين[2]

٢. وكذلك ما روي عن عمر – رضي الله عنه – أنه جمع أحاديث النبي –صلى

---

١ انظر محمد حميد الله مجموعة الوثائق السياسية ص١ وقد نقل نص المعاهدة من سيرة ابن اسحاق وسيرة ابن هشام وهناك دراسة علمية حول الوثيقة بعنوان "كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل المدينة –توثيق وتحقيق ودراسة –للباحث خليفة المحفوظي في الدار الحسينية في الرباط ذكرها محيي الدين عطية في المعجم المصنف لمؤلفات الحديث

٢ البخاري، في الزكاة، باب من بلغت عنده صدقة بنت مخاض رقم (١٣٦١).

الله عليه وسلم – الخاصة بالصدقات في رسالة واحدة، حيث كانت عند ابن عمر – رضي الله عنه – نسخة منها[1].

٣. والمشهور عن علي أنه كانت عنده صحيفة يحتفظ بها في قراب سيفه، وفيها أمور من العقل وفكاك الاسير والا يقتل مسلم بكافر[2]، كما روي أن في الصحيفة أمورا أخرى مثل لعن من ذبح لغير الله عز وجل[3]، وفيها شيء من أسنان الابل [4]، وفيها فرائض الصدقة[5].

٤. ومن الذين ورد أنه كان عندهم كتب الصدقات معاذ بن جبل رضي الله عنه، حيث إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أرسله إلى اليمن، وكتب له كتاباً في الصدقات وغيرها[6].

٥. وكان لعبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أحد السابقين في الإسلام والمتوفى ٣٢هـ كتاب فيه أحاديث التشهد والاستخارة، فقد روى جويبر بن الضحاك عن عبد الله بن مسعود قال: ما كنا نكتب في عهد رسول –صلى الله عليه وسلم – الا التشهد والاستخارة[7] ؛أي إنها أحاديث متعلقة بالصلاة تتطلب الحفظ.

٦. ومثله ما روي عن أبي رافع مولى رسول الله –صلى الله عليه وسلم – (ت قبل ٤٠هـ) أنه كان عنده كتاب فيه استفتاح الصلاة[8].

٧. وزيد بن ثابت الانصاري (ت ٤٥هـ) كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

١ ابن حجر، (التلخيص الحبير) ج٢ ص١٥١ رقم ٨١٣، تصحيح عبدالله هاشم يماني، المدينة المنورة ١٩٦٤

٢ أحمد، المسند، ط الميمنية ج١ /٧٩، ورقم(٥٩٩) في طبعة مؤسسة الرسالة –بيروت ط١ ١٩٩٤

٣ أحمد، المسند، ط الميمنية ج١/١١٩، ورقم(٩٥٩) الطبعة السابقة

٤ أحمد، المسند، ط الميمنية ج ١/١٥١،ورقم(١٢٩٨) ط السابقة

٥ أحمد، المسند، ط الميمنية ١/ ١٠٠ ورقم (٧٨٢) ط السابقة

٦ ابن حجر، (التلخيص الحبير) ج٢ ص١٥٢ رقم ٨١٤

٧ ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد، (المصنف)، ك الصلاة باب(٦٩)حديث رقم(٩) في الباب. ج١، ص٣٢٨ تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام دار الفكر ط١ ١٩٨٩

٨ الخطيب البغدادي، (الكفاية)، ج١ص٣٣٠ باب ذكر كيفية العبارة عن الرواية عن المناولة مكتبة العلمية – المدينة المنورة، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني

قال عنه الزهري: لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض رأيت أنها تذهب من الناس.[1]

٨. وأرسل أبو بكرة الثقفي – رضي الله عنه – (ت٥١هـ) خطابا إلى ابنه الذي كان قاضيا بسجستان، ذكر فيه الأحاديث النبوية المتعلقة بالقضاء[2].

٩. أما عمرو بن حزم الانصاري – رضي الله عنه – المتوفى بعد سنة ٥٠ هـ ؛فقد استعمله النبي –صلى الله عليه وسلم – على نجران، وكتب له كتابا في أحكام الطهارة والصلاة والغنيمة والصدقة وكتاب الجراح والديات وغير ذلك[3].

١٠. واشتهر عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – (ت٦٣هـ) انه كان يجيد الكتابة وكتب بأمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وفي حياته، وقد نقل بعض تلامذته عنه كتابين أحدهما فيه: قضى رسول الله –صلى الله عليه وسلم – كذا ، والاخر ما يكون من الأحداث إلى يوم القيامة[4].

١١. واشتهر ابن عباس – رضي الله عنه – ت سنة (٦٨ هـ) وهو حبر الأمة وفقية العصر بكتابة بعض الأحاديث في موضوعات خاصة، فقد روى عنه ابن أبي مليكة قال: كتبت إلى ابن عباس أساله أن يكتب لي كتابا فدعى بقضاء علي فجعل يكتب منه أشياء[5]. ويغلب على الظن ان قضاء علي هذا شيء سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد يكون فيه اجتهاد له مستنبطا من القرآن والسنة كعادة فقهاء الصحابة في تلك المرحلة، وبحكم اختصاصه في التفسير وبراعته فيه فقد كان مجاهد يسأله عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فقال له ابن

---

١ الذهبي، (سير أعلام النبلاء) ج٢ص٤٣٦.

٢ البخاري، (الصحيح)، كتاب الأحكام. باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان رقم (٦٦٢٥)، ومسلم في القضاء باب كراهية قضاء القاضي وهو غضبان رقم (٣٢٤١).

٣ البيهقي، (السنن الكبرى) ج ١٠ص ١٢٨ دار الفكر د ن، د ت، وابن عبد البر، جامع بيان العلم ٧١/١

٤ المقريزي، أحمدبن علي أبو العباس، الخطط ج٢، ص٣٣٢. واسم الكتاب " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار مكتبة المثنى، بغداد دن، دت

٥ مسلم، (مقدمة الصحيح) ص٢٨. باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، تحت حديث رقم(٨)

عباس: اكتب حتى سأله عن التفسير كله[1]. والتفسير في ذلك الزمان إنما عماده حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعلوم اللغة، وكان ابن عباس يسأل أبا رافع مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أيامه وغزواته ويكتب ذلك في الالواح[2].

١٢. وكان لجابر بن عبد الله الانصاري - رضي الله عنه - المتوفى سنة (٧٨هـ) منسك صغير في الحج[3]، كما كان يسأله بعض تلامذته عن سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن صلاته فيكتبون عنه ويتعلمون منه[4].

١٣. وأنس ابن مالك الانصاري خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ت٩٣)، كان يجيد الكتابة، وله كتاب في الصدقات كان عند بعض تلاميذه[5].

تلك النماذج كانت أبرز ما يشير إلى الاتجاه نحو الموضوع في الكتابة، وهذه الأمثلة ليست على سبيل الحصر ولكنها على سبيل المثال، ويمكن للمستقصي ان يجمع أمثلة أخرى غيرها، وكل ماذكرته إنما هو مما يغلب على الظن أنها كانت من هذا الاتجاه، وأن أغلب ما في هذه النسخ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان يوجد بها غير ذلك من التفسير أو قول الصحابة واجتهادهم.

وأود الاشارة هنا إلى مسألة مهمة وهي؛ **الاتجاه نحو كتابة أقوال الصحابة رضي الله عنهم وأفعالهم وفتاويهم**، بجانب كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما لها من أهمية في بيان المنهج المتبع في ذلك الزمان المتقدم، وأثر هذا المنهج على المناهج اللاحقة، فقد كان هناك منهج واضح يتمثل بالاهتمام بالمأثور عن الصحابة الكرام حتى من الصحابة أنفسهم؛فمن ذلك أن أنس بن مالك كتب لأنس بن سيرين سنّة

---

١ ابن النديم، ((الفهرست)) ص٣٦

٢ الخطيب، تقييد العلم ص٩٢.

٣ الذهبي، تذكرة الحفاظ ص٤٣ دار احياء التراث بعناية عبد الرحمن المعلمي اليماني ١٣٧٤هـ وانظر مسلم صحيح مسلم بشرح النووي ٣ص (٣١٣-٣٥٦)

٤ الخطيب تقييد العلم ص١٠٤

٥ المرجع السابق ص ٨٧.

عمر رضي الله عنه[1] وكان عند الحسن بن علي - رضي الله عنه - فتاوى علي في صحيفة[2]. وكتب ابن عباس - رضي الله عنه - إلى ابن أبي مليكه كتاباً فيه قضاء علي رضي الله عنه[3]. ومن ذلك أيضا أن قتاده كتب إلى إبراهيم النخعي سائلا بعض المسائل الخاصة بالحضانة والرضاعة، فرد عليه إبراهيم ذاكرا الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقوال الصحابة[4]. وعن صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة، فقلت أنا: ليس بسنة فلا تكتبه، قال: فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت[5].

فهذه النقول وغيرها، تبين لنا أن الاهتمام بأقوال الصحابة رضي الله عنهم كان منهجا متبعا عند العلماء السابقين، وذلك لما لأقوالهم من أهمية تميزهم عن غيرهم، إذ إنهم أقرب الناس لفهم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمعاصرتهم له ومعايشتهم للتنزيل.

المطلب الثالث

التصنيف على الموضوع عند التابعين

عند الانتقال إلى التابعين الذين قضوا معظم حياتهم في القرن الأول الهجري، وتتلمذوا على أيدي الصحابة رضوان الله عليهم، نجدهم قد أدركوا أهمية فعل الصحابة رضي الله عنهم بالاهتمام بالموضوع، فاستفادوا من هذا المنهج وطوروا فيه، فكانت عملية تأثر وتأثير ساهم الصحابة في وضع أسسها، والتابعون بتدعيمها

---

١ أبو عبيد القاسم بن سلام الأموال ص٦٣٨رقم١٦٥٧، باب ما يأخذ العاشر من صدقة المسلمين تقديم محمد عمارة دار الشروق بيروت والقاهرة ط١ ١٩٨٩

٢ أحمدبن حنبل العلل ومعرفة الرجال ١/٣٤٦رقم ٦٣٩ تحقيق وتخريج الدكتور وصي الله بن محمد عباس المكتب الإسلامي -بيروت -توزيع دار الخاني -الرياض -ط١ -١٩٨٨

٣ مسلم مقدمةالصحيح تحت حديث رقم ٨ باب النهي عن الرواية عن الضعفاء

٤ النسائي، (السنن). كتاب الرضاع. باب القدرالذي يحرم من الرضاعة رقم(٣٢٥٩)

٥ الخطيب، (تقييد العلم) ص١٠٧.

والإضافة عليها، وجل هذه الجهودكانت لجمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد؛خاصة في التفسيرومسائل فرعية من الفقه والمغازي والسير.

أما التفسير؛ الذي كان اعتماده على الحديث كبيرا جدا فقد وجدت فيه عدة مصنفات منها لسعيد بن جبيرالذي كتب تفسيرا للقران الكريم أخذه عنه غير واحد[1]، ومجاهد بن جبر المكي ت ١٠٢ هـ ألف كذلك كتابا في التفسير[2] وهو أحد كبار تلاميذ ابن عباس، وعند الضحاك بن مزاحم (ت١٠٥هـ) كتاب في تفسير القرآن الكريم[3]، كما ان له مناسك الحج[4]، وللحسن بن يسار السعدي البصري (ت١١٠هـ) كتاب التفسير[5]، ولقتادة بن دعامة السدوسي ت١١٧ كتاب تفسير القرآن الكريم وغيره من الكتب[6].

وفي مجال الفقه ومسائله؛ نجد كثيرا من المصنفات المفردة في موضوعات فقهيةمنها:

أن أبا العالية الرياحي- رفيع بن مهران البصري - (ت٩٠هـ) كانت لديه كتب عديدة مرتبة على الأبواب الفقهية، قال عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا أبو خلدة، قال قلت لأبي العالية أعطني بعض كتبك قال: ما كتبت شيئا ولو كنت كتبت شيئا لأعطيتك وأكرمتك انما كتبت ثلاثة أشياء تحية الصلاة، وأبواب الطلاق، ومناسك الحج[7]. أما إبراهيم النخعي (ت٩٦هـ) فقد كتب قتادة إليه سائلا بعض المسائل الخاصة بالحضانة والرضاعة فرد عليه إبراهيم ذاكرا: الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم - وأقوال الصحابة[8]. وطاوس بن كيسان اليماني (ت١٠٠هـ) أحد الذين

١ ابن سعد، (الطبقات الكبرى) ٦/٢٥٧، و(تقييد العلم) ص ٤٣و٤٤، و((الفهرست)) ص٣٧

٢ ابن النديم، (الفهرست)، ص٣٦.

٣ ابن النديم، (الفهرست)، ص٣٨.

٤ أحمد، (العلل) ١ص٢١٧رقم ٢٤٥

٥ ابن النديم، (الفهرست)، ص٣٦

٦ ابن النديم، (الفهرست)، ص٣٦.

٧ أحمد، (العلل)، ج٣ص٤٤١، رقم ٥٨٧٥

٨ النسائي، (السنن)، كتاب الرضاع. باب القدرالذي يحرم من الرضاعة [illegible]

كان عندهم كتاب فيه ذكر العقول، قال ابن جريج أخبرني ابن طاوس عن أبيه قال: عند أبي كتاب فيه ذكر العقول جاء به الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم[1].

وعمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد كانت له جهود في جمع السنة ونشرها أكثر من أن تحصر، كما أن له جهودا في التصنيف حسب الموضوع، فعن الزهري قال أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا[2]، وهذا التدوين الذي كان في عهد عمر بن عبد العزيز أشبه بالتبويب لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتجمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد في باب واحد كما تجمع الأحاديث المروية عن واحد في كتاب واحد وهو ما يعرف بالمسانيد[3].

وللشعبي -عامر بن شراحيل بن عمرو الهمداني (ت١٠٣هـ) الحافظ الفقيه- جهود مباركة في هذا الشأن وقد كان يملي على تلامذته، قال مجاهد رأيت الشعبي يملي على رجل ثلاث طومار-أي صحائف- في الصدقات والفرائض[4]، كما أنه من الاوائل الذين ألفوا الكتب في موضوعات شتى، ولما كان قاضيا فإن أكثر مؤلفاته كانت متعلقة بالقضاء، فمنها كتاب في الفرائض والجراحات، قال ابن حصين لم يوجد للشعبي كتاب بعد موته الا الفرائض والجراحات[5]. كما أن له كتابا في الطلاق كما روى عنه الخطيب أنه قال هذا باب من الطلاق جسيم وساق فيه أحاديث[6]. و له مجموعة من الأحاديث الفقهية، قال عاصم الاحول قرأت على الشعبي أحاديث الفقه فأجازهاوله كتاب في المغازي، وقد مر ابن عمر بالشعبي وهو يقرأ المغازي فقال: كأنه

١ الدارقطني، علي بن عمر، (السنن)، كتاب الحدود والديات ج٣ص٩٥رقم ٥١ دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ - ١٩٦٦تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني

٢ ابن عبد البر، (جامع بيان العلم وفضله)، ج١، ص ١٥٥رقم ٣٠٤

٣ عبد اللطيف عامر، (علوم السنة وعلوم الحديث) ص٩٢

٤ أحمد، (العلل)، ج٢/٢٩٦رقم (٢٣١٧)

٥ الخطيب، ((تاريخ بغداد)) ٢٣٢/١٢

٦ الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت، (الجامع لأخلاق الرواي) ج٢ص٢٨٥رقم ١٨٦٧ مكتبة المعارف - الرياض، ١٤٠٣تحقيق: د. محمود الطحان

كان شاهدا معنا[1].

ونجد لمكحول الشامي (ت١١٨) كتب عدة في هذا المجال منها؛ كتاب السنن في الفقه[2] وكتاب المسائل في الفقه[3]، وممن كتب في هذا العصر عبدالله بن ذكوان القرشي أبو الزناد (ت١٣٠)، فقد كان فقيهاً صاحب كتاب وألف كتباً منها كتاب في الفرائض[4]

فإذا انتقلنا إلى موضوع السير والمغازي، فإنه يطالعنا جهود مبكرة في رصد أحداث السيرة، ومن ذلك ما كان لعروه بن الزبير (ت٩٣هـ) -الذي تفقه على خالته عائشة رضي الله عنها- من دور في جمع السيرة، فإنه من الاوائل الذين ألفوا في السيرة النبوية، وقد نقل عن كتابه هذا عدد من المؤلفين بعده كالطبراني في المعجم الكبير والطبري في تاريخه[5]، ويبدو تميزه في كتابة السيرة، ومن ذلك أنه كان يسوق روايات عدة في مساق واحد للخروج بتأليف متناسق لأحداث السيرة[6].

وكان عند مقسم بن بجرة (ت ١٠١هـ) صحيفتان فيهما المغازي[7]. وكتب أبان بن عثمان بن عفان (ت١٠٥هـ) كتاب المغازي وهو من الاوائل الذين صنفوا الكتب في المغازي[8]، ووهب بن منبه (ت١١٤هـ) ألف كتبا كثيرة كان منها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يوجد منه اقتباسات في معجم الطبراني الكبير[9]،

وكتب عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان (ت١٢٠هـ) في السير والمغازي، وقد أمره عمر بن عبد العزيز أن يجلس في مسجد دمشق ويحدث الناس في المغازي ومناقب

---

١ الخطيب، ((تاريخ بغداد))، ٢٣٠/١٢

٢ ابن النديم، (الفهرست) ج ١ ص ٢٨٣

٣ ابن النديم، (الفهرست) ج ١ ص ٢٨٣

٤ سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المكي، (السنن)، ج١، ص٨، حديث رقم(٥) دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط١ ١٩٨٥

٥ الأعظمي، (دراسات في الحديث النبوي)، ص١٥٩

٦ المرجع السابق، وانظر للمثال مسند أحمد(٣٢٣/٤-٣٢٦و٤ص٣٢٨-٣٣١)

٧ أحمد، (العلل) ج١/ ص١٣٣رقم (١٠).

٨ ابن سعد، (الطبقات) ٢١٠/٥

٩ الأعظمي، (دراسات في الحديث الشريف)، ص ٢١٨

الصحابة ففعل[1]، وعبدالله ابن أبي بكر ابن حزم الانصاري (ت١٣٥) صنف في المغازي كتاباً كتبه عنه الناس[2]، وموسى بن عقبه (ت١٤١) صنف كتاب المغازي[3]، وكان الإمام مالك يقول عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة[4].

هذا ما اشتهر التأليف به آنذاك، وهذا لا يعني الاقتصار عليه، ولكن ما ذكرت يمثل شاهدا واضحاعلى وضوح الفكرة في أذهان القوم، وإن كنت أعتقد أنهم كتبوا في غير ما ذكرت.

المطلب الرابع

التصنيف على الموضوع عند أتباع التابعين إلى(٢٠٠) هجرية

تعتبر هذه الفترة امتدادا لما سبق من جهة الكتابة في التفسير والسير والمغازي، وتجديد من جهة ظهور مصنفات مبتكرة لم تكن عند السابقين كالمصنفات، والجوامع، والموطآت والعناوين المفردة في بعض الموضوعات كالزهد وغيرها.

إن التصنيف في مطلع القرن الثاني الهجري تحول عند عدد من العلماء من جمع الحديث وتقييده فقط، إلى تصنيفه على أبواب، وضم هذه الأبواب بعضها إلى بعض في مصنف أو جامع، فلم يكن مطلع هذا القرن مبدأ لتدوين السنة وتقييدها، بل كان مبدأ للتصنيف على الأبواب.

وقد ظهرت مصنفات جامعة لأبواب مختلفة في أوقات متقاربة في مختلف مراكز الأشعاع العلمي بالدولة الإسلامية[5]. ويرى الناظر في طبيعة الانتاج العلمي في هذه الفترة الزمنية تنوعا كبيرا طريقة وموضوعا في التصنيف، حتى تكاد تشمل كل فروع الدين على طريقة الجمع الموضوعي؛ فنجد مصنفات في التفسير، وأخرى في السير

---

١ ابن حجر، (تهذيب التهذيب)، ج٥، ص٤٧،دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤

٢ الخطيب، (تاريخ بغداد) ٤٠٩/١٠.

٣ الذهبي، (تذكرة الحفاظ)، ج١، ص١٤٨.

٤ ابن حجر، (تهذيب التهذيب)، ج١٠، ص٣٢٢.

٥ الخطيب، محمد عجاج (السنه قبل التدوين)، ص ٣٤١

والمغازي، وغيرها في موضوعات فقهية متنوعة، وبعضها جوامع أو مصنفات أو غير ذلك.

فمن هذه الجهود ما كتبه عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت١٥٠) الذي كتب من الأحاديث كثيرا جدا، وألف كتبا عديدة منها: كتاب السنن ويحتوي على مثل ما تحتوي عليه كتب السنن المتأخرة مثل الطهارة والصيام وغيرها [1]، وكتاب الجامع[2]. وسعيد بن أبي عروبة (ت١٥٥) الذي قيل عنه أنه أول من صنف الأبواب بالبصرة[3]، وله مصنفات أخرى غير المصنف منها: تفسير القرآن وكتاب السنن وكتاب المناسك وكتاب النكاح وكتاب الطلاق[4]. وزائدة بن قدامة أبو الصلت الثقفي (ت ١٦٠هـ) له كتب كثيرة منها كتاب السنن وكتاب القراءات وكتاب التفسير وكتاب الزهد و كتاب المناقب[5] كما ان له مصنفا[6]. وسفيان بن سعيد الثوري الكوفي (ت١٦١) الذي ألف كتبا كثيرة منها[7]. الجامع الكبير والجامع الصغير والفرائض والتفسير، وإسماعيل بن إبراهيم الاسدي – ابن علية – (ت١٩٣) والذي يسمى ريحانة الفقهاء، له عدة كتب منها كتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب المناسك وكتاب التفسير[8].

وفي مجال الفقه والسنن أو موضوعات مفردة منها، نجد أن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (ت ١٥٨) له كتاب السنن، ويحتوي على الفقه من صلاة وطهارة وصيام وزكاة ومناسك[9]، وحسن بن أبي جعفر (ت١٦١) كتب في الديات[10]، وأبو بكر بن

---

١ ابن النديم، (الفهرست) ٢٨٢

٢ ابن حجر، (تهذيب التهذيب) ج٦ ص ٣٥٨

٣ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٧٧/١

٤ ابن النديم، (الفهرست)، ١٨١،

٥ ابن النديم، (الفهرست) ٢٨٢

٦ ابن سعد، (الطبقات)، ٧، ص٣٤١

٧ ابن النديم، (الفهرست) ص ٢٨١

٨ ابن النديم، (الفهرست) ٢٨٣

٩ ابن النديم، (الفهرست) ص٢٨١

١٠ ابن حبان، (المجروحين) ج٢٣٧/١ في ترجته

أبي سبرة (ت١٦٢) كتب ألف حديث من أحاديث السنن وبعث بها إلى ابن جريج[1]، وإبراهيم بن طهمان أبو سعيد الخرساني (ت١٦٣) الف كتاب التفسير وكتاب السنن وكتاب العيدين، وكتاب المناقب[2]، وإبراهيم بن سعد (ت١٨٤هـ) ألف في الأحكام والمغازي من حديثه عن محمد بن إسحاق، وكان عنده في الأحكام سبعة عشر ألف حديثا سوى المغازي[3]. وخالد بن يزيد الدمشقي (ت١٨٥) له كتاب الديات[4].

ومن المصنفات الموضوعية الأخرى في موضوعات متفرقة: كتاب الفرائض للمغيرة بن مقسم (ت ١٣٦)[5]، ولمحمد بن سالم الهمداني (ت١٤٩)، الا أن الضعف على روايته بين[6]، وعمران بن المعاق بن عمران الازدي الموصلي ألف كتاب الزهد[7]، ومحمد بن إسحاق بن يسار (١٥١) كان كثير الحديث والكتب، حتى كتب عنه تلاميذه أحاديث الأحكام، وألف كتاب السيرة الذي اشتهر بسيرة ابن إسحاق[8]، ونقله تلميذه ابن هشام بعد أن هذبه. ونجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر (ت١٧٠) له كتاب المغازي. ووكيع بن الجراح (ت١٧٩) صنف كتاب الزهد[9]، والمصنف[10].

وعبد الله بن مبارك (ت١٨١) صنف كتاب الزهد[11]، وكتاب الجهاد[12]، وكتاب البر

---

١ ابن سعد، (الطبقات الكبرى) ج٥ ص٤٩٢

٢ ابن النديم (الفهرست)، ص٢٨٤

٣ المزي، يوسف بن الزكي أبو الحجاج المزي، (تهذيب الكمال) ٢ص٩٢ ترجمة رقم ١٧٤

٤ ابن حجر، (تهذيب التهذيب) ١٠٩/٣ في ترجمة خالد بن يزيد.

٥ ابن النديم، (الفهرست) ص ٢٨٢

٦ ابن عدي، (الكامل في ضعفاء الرجال) ١٥٥/٦

٧ وكيع بن الجراح، (الزهد)، مقدمة المحقق ج١ ص ١٤٤

٨ الأعظمي، (دراسات في الحديث النبوي) ص ٣٠١- ٣٠٢

٩ ابن حجر، (المجمع المؤسس) ص ٨٩ مؤسسة الرسالة ط١ ١٩٩٦تحقيق محمد شكور المياديني

١٠ الكتاني، (الرسالة المستطرفة) ص ٥٢

١١ ابن حجر، (المعجم المفهرس) ص٨٨ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ٢٠٠٤

١٢ المرجع السابق ٧٣

والصلة[1]، وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢) لـه كتـاب الـذكر والـدعاء[2]. وهشيم بن بشير الواسطي (ت١٨٣) الذي قد كثـرت عنايتـه بالآثاروجمعـه للأخبـار حتى حفظ وصنف وكتب العديد من الكتـب منهـا؛ كتـاب الـسنة في الفقـه وكتـاب التفسير وكتاب القراءات[3]. وعبـاس بـن الفـضل الانـصاري، صـنف كتابـا كبـيراً في القراءات وفيه حديث كثير[4] وإبراهيم بن محمد بن الحارث الفـزاري (ت١٨٨) ألـف كتاب السير[5]، ومحمد بن فضل بـن غـزوان (ت١٩٥) ألـف كتـاب الزهـد[6]، وكتـاب الدعاء[7]

أما الكتب الجامعة المرتبة على الموضوعات فقد انتشرت في هذا الوقت في كل أرجاء العالم الإسلامي فكتب محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت ١٤٨) المـصنف، سمعه منه غير واحد[8]. ومعمر بن راشد الصنعاني (ت١٥٣) كتب الأحاديث وصنف الكتب وله كتاب المغازي وله كتاب في التفسير[9]، وله كتاب آخر مشهور باسم الجامع [10]. والربيع بن صبيح السعدي أبو بكر(ت١٦٠هـ) الذي قال عنـه الرامهرمـزي: إنـه أول من صنف بالبـصرة[11]. و شـعبة بـن الحجـاج الازدي أمـير المـؤمنين في الحـديث (ت١٦٠) هـ، من الاوائل الذين صنفوا في البصرة[12]. وعبد العزيز بن عبد الله بـن أبي

١ ابن حجر، (المجمع المؤسس) ص ٢٨٤
٢ الكتاني، (الرسالة المستطرفة) ص ٥٢
٣ ابن سعد، (الطبقات) ٣٧٩/٦
٤ ابن حجر، (تهذيب التهذيب) ١١/٥ في ترجمته
٥ الزركلي، (الأعلام) ١/ ٥٥
٦ ابن حجر، المعجم الفهرس ص٨٩
٧ ابن النديم (الفهرست) ص ١٠٦
٨ ابن سعد، (الطبقات) ٣٧٩/٦
٩ ابن النديم، (المرجع السابق) ص ١٠٦
١٠ الكتاني، (الرسالة المستطرفة) ص ٤١
١١ الرامهرمزي،(المحدث الفاصل بين الراوي والواعي)، ص(٦١١) تحت حديث رقم (٨١٦)
١٢ الرامهرمزي، (المرجع السابق)

سلمه الماجشون (ت١٦٤) له مؤلفات عديدة منها كتاب الموطـأ[1]. وحمـاد بـن سـلمه (ت١٦٧) قيل عنه: إنه أول من صنف التصانيف مع ابـن أبي عروبـة[2]. و مالـك بـن أنس الاصبحي (ت١٧٩) أحد أعلام الإسـلام، وإمـام دار الهجـرة صـاحب كتـاب الموطأ المعروف. وإسماعيل بن عياش (ت١٨١) له المصنف[3]، والفتن[4]، وكان يـصنف على الأبواب قال أبو اليمان: كان إسماعيل حارسا فكان يحيي الليل وربما قرأ ثـم قطـع ثم رجع فسألته عن ذلك فقـال: أذكـر الحـديث في البـاب فـأقطع الـصلاة فأعلقـه[5]، وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الاسلمي (ت١٨٤) صنف كتاب الموطـأ والـذي كـان أضعاف موطا مالك[6] ولكنه ضعيف عند الجماعة. وخالد بن جميل الذي يقال له العبد، من أوائل من صنف وبوب[7]. وسفيان بن عيينة (ت١٩٧) له كتاب الجامع، وله كتاب في التفسير[8]. وعبد الله بن وهب بن مسلم القرشي (ت١٩٧) له كتاب الموطأ[9] والقدر[10].

وفيما ذكرت من هذه النماذج في هذه الفترة مثال واضح لما أردته وهو بيان قوة اتجاه التصنيف على الأبواب (الموضـوع)، سـواء كانـت مـصنفات مفـردة في بعـض الأبواب، أم مصنفات جمعت عدة أبواب في كتاب واحـد، كالمـصنفات، والموطـآت، والجوامع. وكان معظم هذه المصنفات والمجاميع يـضم الحـديث الـشريف، وفتـاوى الصحابة والتابعين، كما يتجلى لنا هذا في موطأ الإمام مالك بن أنـس[11]، فبعـدأن كـان

١ السيوطي، (تنوير الحوالك) ج١ص٧ دار الفكر دن دت
٢ الذهبي، (تذكرة الحفاظ)، ص ٢٠٣
٣ الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي (الجرح والتعديل) ٢/ ١٩٢، وانظر (تهـذيب الكمـال)، ١٧٥/٣
٤ الرازي، (الجرح والتعديل)، ج٧، ص ٢٢١في ترجمة محمد بن بشر الحمصي
٥ الذهبي، (تذكرة الحفاظ) ص٢٥٣، وتهذيب الكمال ج٣ ص١٦٩
٦ الذهبي، (تذكرة الحفاظ) ص٢٤٧
٧ الرامهرمزي، (المحدث الفاصل) ص ٦١١ تحت حديث رقم (٨١٦)
٨ الكتاني، (الرسالة المستطرفة) ص ٤١
٩ انظر علي فريد، (مناهج المحدثين) ص٢٦٦ – الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٢ م
١٠ منلا، مصطفى (معجم ما طبع من كتب السنة) ص ٢٤١
١١ الخطيب، محمد عجاج، (أصول الحديث) ص ١٨١– ١٨٣

العلماء يجمعون الأحاديث المختلفة في الصحف والكراريس أصبحوا يرتبون على الأبواب، وكانت هذه المصنفات تشتمل على السنن وما يتعلق بها وبعضها يسمى مصنفا أو جامعا أو غير ذلك، فقد كان مطلع القرن الثاني الهجري مبدأ للتصنيف على الأبواب، ثم تتابع هذا المنهج طوال القرن الثاني الهجري، وبدأ ينحى منحى آخر من أواخر القرن الثاني وبداية الثالث عماده تجريد الحديث المحض في مصنفات مستقلة[1].

المطلب الخامس

نتائج وملاحظات من المبحث الأول

بعد هذا العرض الموجز للجهود العلمية التي بذلت في التصنيف على الموضوعات يمكننا أن نخلص إلى بعض الملاحظات ومن أهمها:

١. تعود جذور الاهتمام بالموضوع إلى عهد النبوة، ويتمثل ذلك بتشجيعه لبعض الصحابة وشحذ هممهم على التخصص، وعنايته عليه الصلاة والسلام بتفصيل بعض الأمور كالفتن وغيرها، وبعض كتبه إلى أمرائه ومعاهداته عليه الصلاة والسلام مما سبق بيانه.

٢. كتب بعض الصحابة رضوان الله عليهم أحاديث في موضوعات خاصة، يجمعها باب واحد مثل الصدقات ومناسك الحج والفرائض وبعض أحاديث الصلاة والتفسير والمغازي، ولا شك أن ذلك كان أثرا من آثار توجيهه عليه الصلاة والسلام أو نتيجة لظروف معينة.

٣. ظهور بدايات التخصص الدقيق في مرحلة مبكرة تعود إلى نهاية القرن الأول الهجري كالكتابة المنفصلة في السيرة والتفسير.

٤. نال تفسير القرآن الكريم اهتماما أوسع من غيره في جميع المراحل السابقة، والتفسير في هذه المرحلة كان أقرب للحديث لاعتماده عليه وعلى أقوال الصحابة والتابعين مع العناية بأمور أخرى كاللغة والاجتهاد وغيرها.

---

١ الكتاني، (الرسالة المستطرفة) ص ٧

٥. يبدو أن كثيراً من تلك الكتابات كانت تمثل جهدا شخصيا، وخاصة في القرن الأول و بداية القرن الثاني، وإن كان بعضها كتب من أجل تعميم الانتفاع به ككتب الصدقات والديات والفرائض.

٦. كانت جهود عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول جهد علمي منظم له طابع رسمي تبنته دولة الإسلام.

٧. لقيت الموضوعات التي كانت حاجة الناس إليها أكثر، عناية أكبر بالتصنيف والكتابة، كالصدقات، والديات، والمناسك، ومسائل الطهارة والصلاة.

٨. بدا من الواضح أن جل العناية كانت منصبة على الحديث المرفوع، وحظيت أقوال الصحابة بالاهتمام أيضا خدمة له كدليل شرعي.

٩. يصعب الجزم بالمنهج الدقيق للتصنيف في أكثر هذه الكتب لعدم وصولها إلينا الا أنه يظهر ان الاعتماد فيها أساسا على حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

١٠. كان للتصنيف في السيروالمغازي في تلك المرحلة حضور بين ومنهج خاص بالتصنيف، وذلك لطبيعة هذا العلم ومدى حاجة الناس اليه، إذ هي تجسيد للإسلام ممثلا بحياة النبي عليه الصلاة والسلام، الأمر الذي أحوج إلى إخراج رواية متكاملة متسلسلة الأحداث دون الاشارة إلى أصحابها أو تمييزرواياتهم.

١١. ظهرت المصنفات والجوامع والموطآت في مرحلة مبكرة نسبيا ما بين (١١٠-١٣٠ هـ)، وبدأ العلماء بالاتجاه نحو الترتيب والتنظيم لهذه المصنفات على أبواب الفقة، مع ذكر أقوال الصحابة والتابعين وفتاوى العلماء.

١٢. لم يلتزم المصنفون في هذه المرحلة بصحة الحديث عموما الا ما استثني من هؤلاء كالإمام مالك وكان إخراجهم الحديث مسندا مغنيا لهم عن الحكم عليه.

١٣. تنوع التصنيف على الموضوعات بين مصنفات تجمع عدة موضوعات في كتاب واحد كالمصنفات والموطآت والجوامع، وبين مصنفات مفردة في بعض الموضوعات كالزهد والجهاد، والفرائض، وبعض أحاديث السنن وغيرها، وكان الهدف من كل ذلك حفظ حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– و تقريبه للناس.

المبحث الثاني

التصنيف الموضوعي من القرن الثالث إلى منتصف الخامس

(٢٠٠- ٤٥٠) هجرية

(عصر الابداع والتأسيس العلمي)

تمهيد: السمات العامة للقرنين الثالث والرابع الهجريين([1])

قامت الدولة العباسية بعد سقوط الدولة الاموية، وبدأت بداية قوية، وعاشت عصرها الذهبي أيام المنصور، والرشيد، والأمين، والمعتصم، ثم أخذت بالانحطاط والتدهور، وكانت السمة العامة في هذه الفترة -مابعد المعتصم- مشحونة بالاضطرابات والصراعات السياسية، ولأجل هذه الاضطرابات التي من أهم اسبابها؛ ضعف الخلفاء وانشغالهم بملذاتهم وشهواتهم، وسيطرة القواد والأمراء والنساء على تسيير شؤون الحكم، مما جعل أمراء الاقاليم يطمعون في الانفصال عن سلطة الخليفة، كما وقامت ثورات وحروب عديدة في شتى الاقاليم مما أضعف الدولة وأنهكها، وكان لحركة الزنج بالبصرة وظهور القرامطة والثوارت الداخلية وظهور اللصوص وقطاع الطرق أثر سيء على الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى دور مهم للظواهر الطبيعية كالزلازل والأمراض والأوبئة والجدب، مما جعل الاقاليم تعاني من المجاعة والمشكلات المتنوعة وما يترتب على ذلك من آثار.

ومع كل ما سبق فقد تميز هذا العصر بنهضة علمية وفكرية قوية، إذ عاش فيه جل المحدثين والفقهاء وعلماء الفقه والمؤرخين، بالإضافة إلى فتح العباسيين الأبواب على مصارعها لكل الثقافات الوافدة على الفكر الإسلامي آنذاك عن طريق الترجمة، مما أحدث حركة فكرية قوية لم يشهد التاريخ مثلها، كان لها ردود فعل منها إيجابية

---

١ انظر: التميمي، محمد خليفة، (محمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش) ص ١٩٣- ٢٠١ مكتبة الرشد، الرياض، وانظرالقيسي، عدنان عبد الرحمن، (مقدمة كتاب المجالسة وجواهرالعلم) للدينوري ص ١٦- ٢١ مؤسسة الريان، لبنان ط١ ١٩٩٧. ونجم خلف، (الإمام البيهقي)، ص ١٥-٣٦.

كاختراع العلوم المختلفة التي تخدم الدين، وأخرى سلبية كزعزعة الاعتقاد، وتشويش أفكار المجتمع.

أما علم الحديث بالتحديد فيعتبر هذا العصر أزهى عصور السنة، وأحفلها بخدمة الحديث الشريف، ففيه ظهر أفذاذ الرجال من حفاظ الحديث، كما سعد بالتآليف الخالدة والمصنفات الهامة في الحديث وعلومه المختلفة، ومن بينها التصنيف على الموضوعات.

ويعد القرن الرابع الهجري امتدادا للثالث، وفيه تابع العلماء من سبقهم في خدمة السنة في مجالات مختلفة، ونسج علماء هذا القرن على منوال من سبقهم مع إضافات نافعة ظهر أثرها في مصنفات مختلفة، كمصنفات ابن خزيمة، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم وغيرهم، وذلك لاستكمال العمل العلمي الكبير الذي بدأ في القرن الثالث.

المطلب الأول:

المصنفات الموضوعية في أبواب الإيمان (العقيدة) [1]

تطالعنا مصنفات في جميع فروع الدين من عقائد، وعبادات، وتربية، وسلوك، وأخلاق، وفتن.... كلها أو أغلبها جديدة مبتكرة، لا عهد لمن سبقهم بها، بل إن هذه الفترة أخصب فترة إنجاز علمي في هذا الباب، وقد سميت هذا العصر عصر الابداع والتأسيس العلمي وذلك لجدة التصنيف وعمقه وأوليته في هذا العصر عموماً، وكلامنا هنا عن المصنفات المفردة في موضوعات محددة- وليس عن كتب الجوامع.

فقد ألف العلماء في مسائل **الإيمان والاعتقاد**، وكان يطلق اسم الإيمان على الأمور المتعلقة بقضايا العقيدة. فصنف أبوعبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٣) كتاب الإيمان، وأبو بكر بن أي شيبة (ت٢٣٥) كتاب الإيمان، وأحمد بن حنبل (ت٢٤١) كتاب

١ هذه المصنفات جميعها مذكورة في الكتب التالية: ١ ابن حجر، (المعجم المؤسس والمعجم المفهرس)، والكتاني (الرسالة المستطرفة)، ومصطفى هنلا (معجم ما طبع من كتب السنة)، ومحيي الدين عطيه، (دليل مصنفات الحديث الشريف المطبوعة)، والأحدب، خلدون، (التصنيف في السنة وعلومها)

الإيمان، ومحمد بن أبي عمر العدني (ت٢٤٣) الإيمان أيضاً. وهشام بن عمار بن نصير أبو الوليد السلمي (ت٢٤٥) كتاب المبعث، وللبخاري (ت٢٥٦) خلق أفعال العباد، ولأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥) البعث والقدر. ولمحمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت ٢٩٥) كتاب العرش، وللنسائي أحمد بن شعيب (٣٠٣) كتاب الإيمان وشرائعه. والتوحيد لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١)، والصفات للدار قطني (ت٣٨٥) والإيمان لمحمد بن إسحاق بن مندة (ت٣٩٥)، والبيهقي له شعب الإيمان والقدر، والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي (ت ٤٠٣)، ولعبد الرحمن بن عمر بن يزيد بن كثير الزهري الملقب (رسته) له كتاب الإيمان.

أما المنهج المتبع في التصنيف في هذه الفترة، فأبينه من خلال نماذج من الكتب التي تقدم ذكرها، ومنها كتاب الإيمان [1] للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة المتوفى سنة (٢٣٥) هـ، وقد جعل كتابه رحمه الله تحت باب واحد سماه ما ذكر في الإيمان، والكتاب عمل حديثي بحت حيث إنه يروي الأحاديث المرفوعة والآثارمرتبة حسب المسائل، ولكن دون تراجم له أو تقسيم للأبواب، وأغلب نصوصه من المرفوعات والموقوفات. فالكتاب هام في موضوعه لاعتماده على الحديث الشريف لا على مجرد الرأي وخاصة في مسائل العقيدة.

ومنها كتاب العرش[2] لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت٢٩٧) وقد بحث فيه مؤلفه مسألة واحدة، وهي علو الله عزوجل واستواؤه على عرشه، وقد ألفه للرد على الجهمية الذين كانوا خالفوا منهج المؤلف في هذه المسألة، وقد عرض في كتابه هذا لآراء الجهمية المخالفة، ثم عرض بعد ذلك ما يراه حقاً من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثارعن الصحابة والتابعين في المسألة، فالكتاب أول عمل علمي يفرد هذا الموضوع في مؤلف مستقل.

ومع القيمة العلمية الكبيرة للكتاب فإنه يلاحظ عليه أمران أولهما: أن مصنفه

١ ابن أبي شيبة، (الإيمان)، مطبوع ضمن كتاب- من كنوز السنة- رسائل أربع، تحقيق الشيخ الألباني، دار الارقم- الكويت ط٢، ١٩٨٥.

٢ ابن أبي شيبة، محمد بن عثمان، (العرش)، تحقيق ودراسة د. محمد خليفة التميمي، مكتبة الرشد- الرياض، ط١، ١٩٩٨.

لم يهتم بالترتيب والتنظيم، وثانيهما: أنه جمع في كتابه هذا بين الغث والسمين، ففيه أحاديث ضعيفة بل وموضوعه، كما فيه إسرائيليا(١)، ومعلوم أن مثل هذه الأحاديث لا يصلح الاستشهاد بها في العقيدة ولا في غيرها. ومثله في المنهج إلى حد بعيد كتاب القدر للفريأبي (٢)، الذي جعله في موضوع واحد هو القدر، وأحاديثه فيها الصحيح وفيها الضعيف، والمؤلف لا ينقد الحديث كما أنه لا يستنبط شيئاً من نفسه بل مجرد رواية وترتيب.

وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل(٣) لابن خزيمة (ت٣١١)، من الكتب المشهورة في مسائل الإيمان، وقد ألفه رحمه الله لأنه رأى انحراف اعتقاد الطلبة عن منهج السلف في مسألتي القدر وصفات الله عزوجل، فأراد أن يبين وجه الحق فيهما، وأراد رحمه الله أن يحتج بالأحاديث الصحيحة الثابته عن النبي صلى الله عليه وسلم، الا أنه خالف شرطه ولم يلتزم به فتراه يروي عن الضعفاء والمتروكين الأحاديث الواهية، وقد كان يورد الآيات القرآنية في المسائل كما يورد حديث النبي عليه الصلاة والسلام، وآثار الصحابة والتابعين، وتراه أحياناً يذكر الأقوال المخالفة ويرد عليها. ورغم إخراجه للضعيف كما سبق، وإكثار الأبواب في الموضوع الواحد، فعقد أربعة عشر فصلاً لإثبات اليد لله سبحانه مثلا، الا أنه يبقى له مكانته المرموقة بين الكتب في هذا الباب.

ومن الكتب التي تميزت بمنهجها كتاب الشريعة للآجري(٤) (ت٣٦٠) هـ، وهو يختص بمسائل الإيمان، وقد بدأ مصنفه بمقدمة واسعة، وينقل أقوال الفرق المختلفة ويسوق من الأحاديث ما يرد عليهم سواء كان مرفوعا أم موقوفاً، الا أنه تميز عن غيره بأنه يعقب على كل مجموعة من الأحاديث ببيان وجه الدلالة فيها، كما أنه يستنبط منها معان حسنة في الموضوع، ولم يحكم على الحديث. وقريب من المنهج السابق منهج

---

١ المرجع السابق، مقدمة التحقيق، ص ٢٥١.

٢ الفريابي، (القدر) تحقيق عبدالله بن حمد المنصور، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٩٩٧.

٣ ابن خزيمة، (التوحيد)– مقدمة المحقق– دعبد العزيز الشهوان،دار الرشد،الرياض، ط١، ١٩٨٨.

٤ الآجري، (الشريعة)، تحيق محمد بن الحسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، (١٩٩٥)

الحافظ ابن مندة (١) رحمه الله، في كتاب الإيمان الذي سماه كتاب الإيمان على رسم الاتفاق والتفرد، حيث كان يقرر مسائل الإيمان عن طريق الآيات القرآنية والأحاديث والاثاربعد أن يورد أقوال المخالفين، ويترجم تراجم واضحة دالة على المراد، وكان أغلب فقهه في تراجمه، وقد اشتمل كتابه رحمه الله على معظم شعب الإيمان.

المطلب الثاني
المصنفات الموضوعية في أبواب العبادات

في أبواب **العبادات** نجد التصنيف قد تناول كل فروع العبادات، حتى لا يكاد يترك منها شيء، ففي مسائل **الصلاة** وما يتعلق بها نجد كتاب الصلاة لعبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١)، والصلاة لأبي نعيم الفضل بن دكين(٢١٩)، ولأبي عبيد القاسم بن سلام كتاب الطهور، والقراءة خلف الإمام، ورفع اليدين في الصلاة للبخاري رحمه الله (ت٢٥٦)، وألف إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥) كتاب الطهارة، والرسالة السنية في الصلاة للإمام أحمد (ت ٢٤١)، والإمامة والجماعة للنسائي (ت٣٠٣)، وصفة الصلاة لابن حبان (ت٣٥٤)، والاذان والمواقيت لأبي الشيخ بن حيان، والقنوت لابن مندة (ت٣٩٥)، وصلاة الضحى للحاكم أبو عبد الله (ت٤٠)

وفي **مسائل أخرى في الفقه** الاشربة لعلي بن المديني (ت ٢٣٤)، والاشربة والمناسك وأحكام النساء للإمام أحمد، والانتفاع بجلود السباع للإمام مسلم بن الحجاج(٢٦١)، والاطعمه لعثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠)، وسجدات القرآن لإبراهيم الحربي (ت ٢٨٥)، واتباع الاموات له والصيام لأبي بكر بن أبي عاصم (ت ٢٨٧)، والجهاد لمحمد بن الحسن الصفار(ت٢٩٠) وأحكام العيدين والصيام للفريأبي (ت٣٠١)، والجنائز لابن حفص بن شاهين (ت ٣٨٥)، والجنائز لعبد الوهاب بن عطاء، والمناسك لأبي نعيم الفضل بن دكين،. والاطعمه والجهاد لابن أبي عاصم (ت٣٨٧)، وحجة الوداع لعلي بن أحمد بن حزم الاندلسي الظاهري (ت٥٦).

---

١ ابن مندة، (الإيمان)، تحقيق علي بن محمد بن ناصر، ج١ ص ٨٠،و١٠٢(مقدمة التحقيق)، دار الفضيلة – الرياض– ط٤، ٢٠٠١.

وفي مسائل المال كتاب الخراج ليحيى بن آدم. الاموي (ت ٢٠٣) والأموال للقاسم بن سلام (ت ٢٢٤)، ولمحمد بن زنجويه (ت ٢٥١).

وفي الأدعية والأذكار كتاب الدعاء لأبي سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني إمام المذهب الظاهري (ت٢٧٠)، والدعاء لأبي داود السجستاني، (ت ٢٧٥). وفضل الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم – لإسماعيل الجهضمي القاضي (ت ٢٨٢)، ولابن أبي عاصم (ت ٢٨٧) كتاب المذكر والتذكير والذكر والدعاء، والدعاء للمحاملي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل (ت٣٣٠)، والدعاء للطبراني (ت ٣٦٠)، والدعاء لأبي الحسن علي بن محمد المدائني.

أما المنهج المتبع في التصنيف في أبواب **العبادات** فنأخذ على سبيل المثال كتابي البخاري رفع اليدين في الصلاة و القراءة خلف الإمام. أما رفع اليدين في الصلاة (١) فجاء للرد على من أنكر رفع الايدي في الصلاة عند الركوع، وقد وصف المنكر للمسألة بالتكلف فيما لا يعنيه واتباعه للبدعة، وبين أن الرفع ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفعل أصحابه والتابعين من بعدهم، وبدأ كتابه بعد خطبته الافتتاحيه بذكر الآيات التي تأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر الأحاديث المرفوعه، والموقوفه بل والمقطوعة، ولم يذكر في كتابه هذا الا هذه المسألة، وكذا مسألة رفع اليدين عند الدعاء، وقد ناقش رحمه الله أقوال مخالفيه، وضعف آرائهم بالأدلة الواضحة.

ويقرب منه جزء القراءة خلف الإمام الذي احتوى على ثلاثمائة حديث بين مقبول ومردود، حيث إنه لم يلتزم الصحة في إخراج أحاديثه، وإن كان أغلبها صحيح، ومن حيث المنهج العام يتشابه منهجه في جزء القراءة مع منهجه في جزء رفع اليدين، وكلا الكتابين يعتبران مثالا واضحاً للحديث الموضوعي.

وكتاب تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤) من الكتب المهمة في الموضوع، فقد ألف أبو عبد الله الفقيه العابد إمام أهل الحديث في عصره(٢)، كتابا في الصلاة سمّاه تعظيم قدر الصلاة، وتمثل منهجه بأن(١) : قسم كتابه على الأبواب وبدأ بمقدمة فيها الحمد والثناء على الله عزوجل، كما انه كان يذكر الآيات الدالة على المقصود في كل باب ويقرن الآيات بالأحاديث ويعضد أحدهما بالاخر، ويستنبط من الآيات الكريمة المعاني الدالة على المقصود، ويستنبط فقه الآيات والأحاديث كذلك، ويذكر الحديث الواحد من عدة طرق بروايات وألفاظ مختلفة. وقد يذكر بعض أخبار بني إسرائيل. وينقل أقوال الصحابة والتابعين، وينقل عنهم تفسير بعض الآيات وشرح بعض الأحاديث، وناقش الأقوال السائدة في عصره والمخالفة لما عليه غالب العلماء كأقوال المرجئة والمعتزلة، واستوعب كل ما يتعلق بالمسألة موضوع الكتاب تعظيم قدر الصلاة. ولعل إفراد مثل هذا العنوان بالتصنيف لم يسبق إليه أحد قبل المروزي رحمه الله، وهو يمثل الحديث الموضوعي بأبهى صوره.

وفيما يتعلق بكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام. وموازنة بينه وبين كتاب الخراج لأبي يوسف، والخراج ليحيى بن آدم. فقد ألف أبو عبيد رحمه الله كتاب الأموال(٢)، وهو أول عمل كبير يصل إلينا، يعرض للأحوال الاقتصادية في الإسلام وفيه الخصائص الآتية: يشتمل الكتاب على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ووقائع وتطبيقات الأموال في الشريعة، ويبين مذاهب الفقهاء في المسألة والكتاب كتاب حديثي مسند همه جمع وتصنيف ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عن الصحابة والتابعين، واستنباط ما جاء فيها من أحكام، فهو يبدأ بالمرفوعات ثم ينتقل إلى غيرها من الآثار الموقوفة والمقطوعة وأقوال الفقهاء. ويبين أبو عبيد رأيه في المسائل المطروحة، مستخلصاً إياه من الدليل.

أما كتاب الخراج لأبي يوسف(٣) فقد كان إجابة فقيه مجتهد على أسئلة وجهت إليه، وهي ست وعشرون سؤالا أفرزها الواقع، وحملها الخليفة هارون الرشيد إلى أبي يوسف طالباً فيها رأيه، فكان أبو يوسف يجيب عن الاسئلة، وفي كل إجابة يذكر

---

١ البخاري، (رفع اليدين في الصلاة)، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٦.

٢ المروزي، (تعظيم قدر الصلاة)، مقدمة التحقيق، ص٧.

---

١ المروزي، (تعظيم قدرالصلاة)، تخريج أحمدأبو المجد، دار العقيدة، الاسكندرية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٢ أبو عبيد، (الأموال)، مقدمة التحقيق، محمد عمارة، ص ١٢– ٣٠، دار الشروق، ط١– ١٩٨٩م.

٣ المرجع السابق، ص١٢ (مقدمة التحقيق)، وانظر كتاب الخراج للقاضي أبو يوسف

الأحاديث المرفوعة والموقوفة والبلاغات، ويستدل بها. فكتاب أبي يوسف أقرب إلى الفقه الذي يطلب له الدليل، وكتاب أبي عبيد أقرب إلى الدليل الذي يستنبط منه الفقه[1]. وأما كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي[2] (ت ٢٠٣) فإنه لم يزد على ذكر النصوص فقط عن النبي -صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين والفقهاء في زمانه، دون أن يعلق عليها أو يذكر فيها رأيه الا في النادر، وكان يترجم للأبواب ترجمة مختصرة.

فكتاب أبي عبيد، ويحيى بن آدم يعدان من الحديث الموضوعي، أما كتاب الخراج لأبي يوسف فليس كذلك، لأنه سلك طريقة الفقهاء في كتابه، ولم ينطلق في تصنيفه من الحديث، وقد ذكرته هنا للتنبيه والتفريق بين ما يلتحق بالحديث الموضوعي وما ليس منه.

المطلب الثالث

المصنفات الموضوعية في أبواب الفضائل والترغيب والترهيب

كتب في هذه الفترة مصنفات كثيرة متنوعة في هذه الأبواب منها: فضائل القرآن للشافعي، وفضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، وفضائل القرآن الكريم للفريأبي، وفضائل الصحابة وفضائل القرآن للنسائي (ت٣٠٣)، وفضائل القرآن لكل من ابن أبي داود، وأبي ذر الهروي، وجعفر بن محمد الفريابي، وجعفر بن محمد المستغفري، ومحمد بن أيوب بن يحيى ابن الضريس (ت ٢٩٥).

وفضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)، والاحاد والمثاني لأبي بكر بن أبي عاصم (ت٢٨٧)، وللدولأبي محمد بن أحمد، كتاب الذرية الطاهرة المطهرة، وفضائل الانصار لأبي داود (ت٢٧٥)، وخصائص علي للنسائي (ت ٣٠٣). وفضائل بني هاشم لمحمد بن القاسم بن معروف (ت ٢٨٣). وعمل اليوم والليلة لابن السني الدينوري (ت٣٦٤)، وفضائل الأعمال وكتاب القناعة له، والطب

١ المرجع السابق، (مقدمة التحقيق)، ص ١٢ فما بعدها.

٢ يحيى بن آدم، (كتاب الخراج)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩ [illegible]

النبوي، والصراط المستقيم. والأدب لابن أبي شيبة (ت٢٣٥)، وللنسائي عمل اليوم والليلة، والاستعاذة، والعلم، وعشرة النساء، والطب أيضاً. والزهد للإمام أحمد، والورع، والفتن والسنة له جميعاً. والعلم لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي (ت٢٣٤)، ومساوئ الأخلاق ومذمومها للخرائطي محمد بن جعفر(ت ٣٢٧)، ومكارم الأخلاق له. والترغيب في فضائل الأعمال لأبي جعفر بن شاهين (ت٣٨٥)، والبر والصلة للحسين بن الحسن المروزي (ت ٢٤٦)، والزهد لسيار بن حاتم (ت ٢٠٠ هـ، وأدب النفوس والتفرد والعزلة للآجري (ت٣٦٠).

والترغيب والترهيب، وفضائل الأعمال لحميد بن زنجويه (ت٢٥١)، وفضائل الولاة العادلين، وفضائل الخلفاء الأربعة، وجزء فضل الديك، لأبي نعيم الفضل بن دكين (ت٢١٩)، والأدب لابن أبي شيبة (٢٣٥)، وكتاب الكرم والجود و سخاء النفوس لمحمد بن الحسين البرجلاني (ت٢٣٨)، والترغيب لحميد بن زنجويه (ت٢٥١)، والأدب المفرد، وبر الوالدين للبخاري، وفضائل البصرة لعمر بن شبة (ت ٢٦٢)،، وفضائل الرمي في سبيل الله لإسحاق بن ابراهيم المؤدب (ت٤٢٩)، وفضائل الشام ودمشق لعلي بن محمد الربعي المالكي (ت ٤٤٤)، وفضل التهليل وثوابه الجزيل لأبي علي الحسن بن أحمد البغدادي (ت ٤٧١)، وصفة الجنة لأبي نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠)، وصفة النفاق ونعت المنافقينّ وفضائل الصحابة له. وفضائل سورة الاخلاص وما لقارئها للحسن بن محمد الخلال (ت٤٣٩) وفضائل شهر رجب له، وفضائل القرآن لأبي الفضل عبدالرحمن بن أحمد الرازي (ت٤٥٤)، وفضائل العلم لأبي نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠)، وقربان المتقين أن الصلاة قرة عين الموحدين وعمل اليوم والليلة له، واقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ت٤٦٣)، وشرف أصحاب الحديث والرحلة في طلب الحديث له.

ولبيان المنهج العام في المصنفات في **الأدب والرقائق** نتناول كتاب الأدب للمحافظ أبي بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥) والأدب المفرد للبخاري رحمه الله. فقد أفرد ابن أبي شيبه في مصنفه الكبير أبواباً في الأدب، ولكنه أراد أن يفعل مالم يسبق إليه، فصنف كتاب الأدب، وجعل أبوابه متجانسة تتحدث عن أمر واحد هو السلوك

والتربية، ومنهج المسلم وأخلاقه، فابن أبي شيبه أول من صنف تصنيفاً مفرداً في الأدب، ثم لحق به الإمام البخاري رحمه الله فألف كتابه الأدب المفرد.

وبمقارنة يسيرة بين كتاب الأدب لابن أبي شيبة والأدب المفرد للبخاري نجد: أسبقية ابن أبي شيبة في التصنيف. وشمول كتاب الأدب لابن أبي شيبة، وذلك لأنه ليست له شروط الراوي التي التزم بها الإمام البخاري، فنجد أبواباً وأحاديث كثيرة موجودة عند ابن أبي شيبة ليست عند البخاري، وقلة أبواب الأدب لابن أبي شيبة مع كثرة الأحاديث، وعكسها للبخاري. فأبواب كتاب الأدب المفرد٦٤٤باباً، وعدد أحاديثه ١٣٢٢ حديثا، بينما عدد أبواب كتاب الأدب ٨٢ بابا، وأحاديث الكتاب ٤٢٢ حديثاً، وهذا له علاقة واضحة بحسن تبويب الإمام البخاري وتقسيمه.

وقدتفرد كتاب ابن أبي شيبه بذكر الروايات التي لم تشتهر عند المحدثين(١)، ولا نجد مثل هذه عند البخاري – رحمه الله-، وأخرج ابن أبي شيبة في كتابه المرفوع والموقوف والمقطوع وبعض الآثار، كما أنه يروي الأحاديث التي تقرر أمراً معيناً في الباب، وضدها أيضاً، دون تعليق منه على ذلك، والبخاري كذلك يذكر المرفوع والموقوف وقليل من الآثارعن التابعين ويستدل بالآيات ولكنه لا يذكر مختلف الحديث(٢).

المطلب الرابع

المصنفات في الطب النبوي والفتن والأخلاق وغيرها

في الطب النبوي هناك كتب كثيرة منها: رسالة في الطب النبوي للإمام علي بن موسى الرضا (ت ٢٠٣)، والطب النبوي لعبد الملك بن حبيب الاندلسي (ت ٢٣٨)، والأحكام النبوية في الصناعة الطبية لعلي بن عيسى الحموي الكحال (ت ٤٣٠)، والطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني، وجعفر بن محمد المستغفري (ت٤٣٢).

وفي الفتن: كتاب المهدي لأبي نعيم الفضل بن دكين (ت٢١٩)، والفتن لنعيم

١ قهوجي، محمد رضا، مقدمة تحقيق كتاب الأدب لابن أبي شيبة، ص٩٥-١٠٠، دار البشائر، ط١، ١٩٩٩.

٢ المرجع السابق ص ١٠٦.

ابن حماد المروزي (ت ٢٣٧) والفتن لعثمان بن أبي شيبة (ت ٢٣٧).

وفي أمور متفرقة: للآجري أبو بكر محمد بن الحسين. الأربعون حديثاً التي حث النبي -صلى الله عليه وسلم – على حفظها، والغرباءله، والتوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصفهاني عبد الله بن أحمد (ت٣٦٩)، والعزلة لأبي سليمان الخطابي حمد بن محمد (ت ٣٨٨)، والرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت لأبي علي الحسن بن احمد البغدادي (ت ٣٩٦)، والحث على التجارة والصناعة للخلال أبي بكر أحمد بن محمد (ت٣١١)، والاسخياء والاجواد وصفة الكرم وذم البخل، للدارقطني، علي بن عمر (ت٣٨٥)، والمستجاد من فعلات الاجواد له. وتعبير الرؤيا للنسائي، (ت٣٠٣)، والمجالسة وجواهر العلم للدينوري، والامثال لكل من: أبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤)، وأبي الحسن العسكري، وأبي عروبة الحراني، الحسين بن محمد بن مودود (ت ٣١٨)، وكتاب الامثال والاوائل، وكتاب نوادر الأصول والمنهيات للحكيم الترمذي (ت٢٩٥)، والاصنام، لهشام بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤). والقضاء لسريج بن يونس (ت ٢٣٥). والحرب لابن قتيبة الدنيوري (ت ٢٧٦)، وجزء النهي عن اللقب لإبراهيم بن إسحاق الحربي (ت٢٨٥)، وإكرام الضيف له أيضاً.

هذه المصنفات في هذه الفترة الزمنية تدل دلالة واضحة على سعة التصنيف وتنوعه، ولا أستطيع الجزم بأن كل هذه المصنفات هي من التصنيف الموضوعي للحديث، ولكن مما لا شك فيه أن أغلبها كذلك من خلال ما اطلعت عليه من مصنفات.

فأما المصنفات المتعلقة بالفتن، فنبين منهجها من خلال كتابين هما: الفتن لنعيم بن حماد (ت٢٦٦) والفتن لحنبل بن إسحاق. فعند النظر إلى كتاب الفتن لنعيم نجد أنه: يحتوي على الكثير من الأحاديث والآثارالتي تتعلق بموضوعه وهو الفتن. الاأنه لم يحاول رحمه الله تنقيته وتبيين الصحيح من السقيم. فقد جمع فيه مؤلفه الكثير من الإسرائيليات(١). حتى قال عنه الذهبي: لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب الفتن فأتى فيه بعجائب ومناكير، وقال ابن حجر عن نعيم في تقريبه: نعيم بن حماد، صدوق يخطئ كثيراً فقيه عارف بالفرائض، وقد تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه، وباقي

١ انظر: حنبل بن إسحاق، (الفتن)، مقدمة التحقيق لعامر حسن صبري، دار البشائر، ط١، ١٩٩٨م.

حديثه مستقيم، وقال مسلمة بن القاسم: له أحاديث منكرة في الملاحم تفرد بها [1].

وبمقارنه يسيرة بين فتن نعيم بن حماد والفتن لأبي علي حنبل ابن إسحاق الشيباني، ابن عم الإمام أحمد بن حنبل والمتوفى سنة (٢٧٣) الذي وصلنا منه مقدار الربع وتضمن هذا الجزء الأحاديث في الدجال وما يتعلق به فقط، نجد أن أحاديث حنبل أنقى، وكان صاحبها أشد تحريا في انتقاء أحاديثه من نعيم، وإن كان بعضها لا يثبت، وبلغ عدد أحاديثه في هذا الجزء ٤٣ حديثا فقط[2]، فالكتابان في الحديث الموضوعي الا أن الانتقادات الكبيرة لكتاب نعيم تقلل من شأنه وتضعف الاعتماد عليه لعدم اعتماده على الثابت من الأحاديث والاثار.

المطلب الخامس

الحافظ ابن أبي الدنيا ومصنفاته، وهل هي من الحديث الموضوعي؟ مع مقارنته بالبيهقي في المصنفات على الموضوع

ابن أبي الدنيا هوعبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي، المؤدب، ولد سنة ٢٠٨ [3] تصانيفه كثيرة جداً، قال عنها الذهبي: فيها مخبآت وعجائب [4]، وأدب أولاد الخلفاء، وكان قليل الرحلة، وكان صدوقاً أديباً إخبارياً كثير العلم، قال عنه ابن كثير: كان صدوقاً حافظاً ذا مروءة [5]. وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق حافظ صاحب تصانيف [6]، فابن أبي الدنيا أحد المصنفين الكبار الذين أكثروا من التصنيف على الموضوع، ولكن هل مصنفاته تعتبر في الحديث الموضوعي، أم هي من المصنفات العامة في الزهد والأدب والرقائق وغيرها... ؟

---

١ انظر: نعيم بن حماد، (الفتن)، مقدمة التحقيق، لأحمد سفيان، ص ٦-١١.

٢ حنبل بن إسحاق، (الفتن).

٣ الذهبي، (سير أعلام النبلاء) ج ١٣ص٣٩٧.

٤ المرجع السابق، ج١٣/٣٩٩.

٥ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (البداية والنهاية)، ١١/٧١، مكتبة المعارف – بيروت

٦ ابن حجر،(تقريب التهذيب)، ص٣٢١ ترجمة رقم ٣٥٩١ تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد حلب ط١ ١٩٨٦

لقد امتازت كتب ابن أبي الدنيا بعدة ميزات منها [1]: أنه كان يورد في كتبه الأحاديث المرفوعة أولاً ثم أقوال الصحابة والتابعين، ويسوق أبياتاً من الشعر في الموضوع. ولم يتعرض للنصوص بنقد أو تقييم. ونظم كتبه عموماً تنظيماً حسناً من حيث التبويب والتنظيم، ودقة العناوين، والنصوص المدرجة تحتها، وتوزيع الأحاديث على الأبواب. وعالج رحمه الله موضوعاته بمنهج شمولي، وإحاطة في الموضوع، واستوعب جميع الموضوعات الداخلة تحت الموضوع الرئيسي، وكانت شخصيته الحديثية تظهر من خلال التبويب، وسعة المرويات، وكثرة الطرق، وأساليبه في تكرار الحديث، وباختصار فإن مصنفاته تمتاز بالوحدة الموضوعية، واالحرص على التخصص، وجودة الترتيب ورواية النصوص والآثارمسندة إلى قائليها [2]. هذه الميزات والخصائص جعلت بعض الباحثين يؤكدون أن مصنفاته كلها على تنوعها تعتبر كتباً حديثية، وذلك لأنها مروية بالإسناد، وقد تلقاها من مشايخه، وله رأي يعتبر عند الائمة في نقد الرجال [3].

إلا أن هناك رأيا آخر في مصنفات ابن أبي الدنيا، يستند إلى الملاحظات التالية:

أولا: أن كتب ابن أبي الدنيا، ليست في الحديث أساساً، ولا هي معتمدة عليه أصلاً، إنما وجودها في مصنفاته مثل وجود غيرها من المكونات، كأقوال الصحابة، أو أقوال الحكماء، أو الاشعار، فليس منطلقه رحمه الله من الحديث، ولم يرد أن يبين المنهج النبوي في موضوع ما.

ثانيا: أن عدد الأحاديث في بعض مصنفاته قليل جداً، ولا يعقل أن نبني كتاباً كاملاً بطريقة ابن أبي الدنيا على ثلاثة أحاديث، دون شرح أو تعليق عليها[4].

هذه الملاحظات حدت ببعض المصنفين أن لا يذكروا مصنفاته ضمن المصنفات في الحديث الشريف[5]. والحقيقة التي أقتنع بهاهي: أن مصنفات ابن أبي الدنيا فيها

---

١ نجم، عبدالرحمن (مقدمة تحقيق كتاب العيال)، ص١٥ – ٢٠.

٢ نجم خلف، (مقدمة تحقيق كتاب العيال) لابن أبي الدنيا، ص ٧٠.

٣ المرجع السابق ص٩٢.

٤ محيي الدين عطيه، (دليل مصنفات الحديث الشريف المطبوعة)، ج١، ص ١٩.

٥ المرجع السابق.

الحديث وفيها غيره، ووجود الحديث فيها كغيره من المكونات، وكان يقصد أن يجمع كلام الآخرين كما يجمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن مقصده بيان الهدي النبوي بالتحديد في أغلب كتبه، ولو أنه جعل كلام الآخرين توضيحاً لمنهاج النبي - صلى الله عليه وسلم - في المسألة أو تأكيداً له أو شرحاً عليه لكان تصنيفه في الموضوعي، أما والحال هذا فوجود الحديث في كتبه كوجود غيره من المكونات.

فأغلب مصنفات ابن أبي الدنيا ليست في الحديث الموضوعي، لأنها لا تنطلق أساساً من الحديث، ولا تجعله عمدتها، ولا يقصد المؤلف بتأليفه إظهار المنهج النبوي في الموضوع الذي يتناوله. وهذا لا يعني أن مصنفاته غير ذات قيمة، ولكن إذا أردنا أن نجيب عن سؤال حول مصنفاته عموما وهل هي من الحديث الموضوعي أم لا؟ فإن الأقرب للصواب أن نجيب بالنفي للاعتبارات السابقة، ويلتحق بابن أبي الدنيا كل من سار على نهجه في تصنيفه ممن لم يكن قصده إظهار الهدي النبوي في الموضوع المطروق.

ومن باب المقارنة بين مصنفات البيهقي ومصنفات الحافظ ابن أبي الدنيا فإننا نرى أن البيهقي ممن كان له دور بارز في الحديث الموضوعي، وهو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخُسْرَوجردي البيهقي(٣٨٤- ٤٥٨)، صاحب المكانة العلمية الرفيعة، والمصنفات المتقنة المبتكرة، وشيخ السنة في وقته. (١) قال الإمام الذهبي: تصانيف البيهقي عظيمة القدر، غزيرة الفوائد، قلّ من جوّد تواليفه مثل الإمام أبي بكر، فينبغي للعالم أن يعتني بهؤلاء سيما سننه الكبير(٢). وقد قامت منهجية الإمام البيهقي في أغلب كتبه على منهجية علمية منضبطة تتمثل(٣) : بأنها مسندة، ويعتني بالمتون واختلاف ألفاظها، وعللها، واضطرابها، وتصحيفها،

١ نجم خلف، (الإمام البيهقي)، دار القلم، ط١، ١٩٩٤.

٢ الذهبي، (سير أعلام النبلاء)، ١٨/١٦٨.

٣ نجم خلف، (الإمام البيهقي)، ص، ١٤٣-١٦٧- بتصرف، وقد ذكر أن هذه المنهجية هي للسنن الكبرى، ولكن رايت أن هذه المنهجية تنطبق على أغلب كتبه الحديثة المصنفة على الأبواب، وانظر: مقدمة كتاب الزهد الكبير- تحقيق د. تقي الدين الندوي، ص ٩٧، [illegible] الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.

ومنظمة على الأبواب الفقهية، ويجعل الباب ضمن ثلاث وحدات تنظيمية هي الكتب، والأبواب، وجماع أبوب الحديث، وهي بمثابة الفصل، وأغلب كتبه تحمل طابع الاستيعاب للموضوع الذي أفرده من جميع جوانبه، ويكرر الحديث لغرض فقهي أو إسنادي أو تربوي، واستعمل المراسيل والموقوفات وغيرها، خاصة إذا تعذرت الأحاديث المرفوعة. واستعمل الآيات القرآنية ضمن مناسباتها في الأبواب.

ومن منهجه الاقتصار على ما يصح، وتمييز الصحيح من السقيم، ولا يخرج الواهي والموضوع، الا إذا كانت مصحوبة بأحكامه النقدية عليها، والتزامه بالورع في سائر منهجه، واستعماله للأسلوب التربوي، واعتماده الدليل في ما يقرره من أحكام، وتقديمه النص على غيره من التأويلات والاجتهادات. والإضافة المعرفية على من سبق من العلماء في الموضوع ذاته الذي ألف فيه(١). واحتواء كتبه على فقه الصحابة والتابعين فمن بعدهم، كما امتازت مؤلفات البيهقي بأنها جمعت بين علم الحديث والفقه، وبيان علل الحديث، ووجه الجمع بين الأحاديث(٢)، وقد تفرد رحمه الله بإفراد بعض الموضوعات بالتصنيف مثل كتابه إثبات عذاب القبر(٣).

هذه المنهجية الراقية في التصنيف عموما وفي الحديث الموضوعي خصوصا لا يستغني عنها من يتصدى للكتابة في موضوعات الحديث الشريف. ومن أشهر كتبه في مجال التصنيف الموضوعي الجامعة أو المفردة في موضوع معين (٤) : السنن الكبرى، وإثبات عذاب القبر، الأسماء والصفات، والبعث والنشور، وحياة الانبياء في قبورهم، وكتاب الرؤية، وكتاب القضاء والقدر، والقراءة خلف الإمام، والزهد الكبير، والزهد الصغير، وفضائل الصحابة، ودلائل النبوة، وشعب الإيمان، والآداب، والدعوات الصغير، والدعوات الكبير، وفضائل الاوقات.

وكل مصنفاته رحمه الله نافعة ماتعة حتى قال عنه ابن كثير، وجمع أشياء كثيرة نافعة لم يسبق إلى مثلها، ولا يدرك فيها، منها كتاب السنن الكبير إلى أن قال: وغير ذلك من

١ نجم خلف، (الإمام البيهقي)، ص ١٦٨.

٢ المرجع السابق، ص ١٧٣.

٣ البيهقي، (إثبات عذاب القبر)، مقدمة المحقق د شرف القضاة، ص ١٩، دار الفرقان ط١ ١٩٨٥.

٤ نجم خلف، (الإمام البيهقي) مبحث آثار البيهقي، ص ١٣٩- ١٤٠.

المصنفات الكبار والصغار التي لا تسامى ولا تدانى[1].

المطلب السادس

نتائج وملاحظات من المبحث الثاني

أولا: فيما يتعلق بعناوين المصنفات، وشمول التصنيف لكل فروع الشريعة

وأهم ما يمكن أن يلاحظ هنا مايلي:

١. اختار المصنفون عناوين واضحة لمصنفاتهم تدل على المقصود.

٢. خلت صياغة العناوين من المحسنات اللفظية الا ما ندر.

٣. تناول التصنيف في هذه المرحلة كل فروع الشريعة من عقائد وعبادات ومعاملات.

٤. عالجت المصنفات المسائل العلمية والعملية والمشكلات السلوكية والاجتماعية التي كانت في عصرهم، ويظهر هذا واضحاً في كتب الجوامع كصحيح البخاري، ومؤلفات البخاري الأخرى كخلق أفعال العباد، والأدب المفرد، ومصنفات ابن خزيمة كالتوحيد، ومصنفات أبي عبيد كالأموال، ومصنفات ابن أبي شيبة كالأدب، وخصائص أمير المؤمنين علي للنسائي، وفضائل الصحابة للفريابي، والفتن لنعيم بن حماد، وحنبل...

٥. التزم المصنفون بمطابقة العنوان لمضمون الكتاب عموماً.

ثانيا: فيما يتعلق بأهداف المصنفين

من خلال النماذج التي قدمتها، ونص بعض الأئمة على أهدافهم من التصنيف نلاحظ ما يلي:

١. كثير من العلماء أراد تقريب الحديث للناس بتصنيفه على الموضوع، وليعرف المسلم ماله وما عليه، وبيان الهدي النبوي من خلال الأحاديث، وأغلب المصنفات من هذا النوع.

---

١ ابن كثير، (البداية والنهاية) ١٢/ ٩٤، وانظر المرجع السابق [illegible]

٢. قصد بعض العلماء الرد على أصحاب الآراء المنحرفة عن منهج الجماعة كابن أبي شيبة في العرش، والبخاري في جزء رفع اليدين، وأبو عبيد في فضائل القرآن.

٣. رأى بعض المصنفين انحراف الناس عن المنهج الحق في بعض المسائل فأراد أن يكتب كتاباً يبين فيه وجه الحق، كابن خزيمة في التوحيد، والإمام أحمد في الزهد.

٤. ألف بعض العلماء كتبهم استجابة لطلب خليفة أو أمير، ليكون الكتاب بمثابة مرجع أو دستور للمسلمين في موضوع ما كموطأ مالك، والخراج لأبي يوسف.

ثالثا: أهم السمات الإيجابية للتصنيف في هذه الفترة من خلال النماذج المدروسة

١. رواية الحديث بالسند، وذلك لإعطاء الناقد قدرة على معرفة الصحيح من غيره.

٢. وأفضل من ذلك من تعهد بعدم إخراج الحديث الضعيف، أو لم يذكر في كتابه الا حديثاً مقبولاً.

٣. يسجل لكثير من مصنفي هذه الفترة حسن التنظيم والتبويب، وتوزيع الأحاديث على الأبواب، والتطابق بين الترجمة والمضمون، ودقة التراجم.

٤. أبدى كثير من المصنفين رأيهم في الموضوع، ودخلوا في مناقشات علمية جادة لبيان وجه الحق.

٥. جلّى بعض المصنفين الحديث النبوي الذي ساقه للاستدلال به، وذلك من خلال بيان غريبه ومعناه، والنصوص الأخرى الموافقة له، وذلك بأسلوبه الموافق لعصره.

٦. عالج المصنفون مشاكل عصرهم من خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧. ذكر المصنفون أقوال الصحابة والتابعين وفتاواهم، من أجل فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستكشاف معانيه ودلالاته وفقهه.

٨. ذكر بعض المصنفين الحكايات والأشعار في مصنفاتهم، مما قربها إلى قلب السامع وشوقه لقراءتها.

رابعاً: السمات السلبية لبعض المصنفات على الموضوع في هذه الفترة.

١. عدم الاهتمام بصحة الحديث في التصنيف.

٢. مخالفة المصنف لشرطة في عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف أو الواهي أو الموضوع.

٣. سرد الروايات الإسرائيلية للاحتجاج أو الاستشهاد بها في مسائل العقائد وغيرها.

٤. عدم الترجمة أو تقسيم الموضوع إلى أبواب، وعدم مراعاة التنظيم والتنسيق.

٥. الإطالة في ذكر الأحاديث والنصوص والأبواب، دون مبرر منطقي.

٦. عدم ذكر السند للحديث في تلك المرحلة.

٧. سرد بعض المصنفين نصوصهم سرداً متتابعاً دون فواصل، أو تراجم، أو تنظيم، أو استباط للمعاني من النص.

المبحث الثالث

التصنيف الموضوعي في القرن الخامس والسادس والسابع.

(٤٥٠- ٦٦٠)

(مرحلة التكرار والتقليد والجمع والاختصار)

عاش العالم الإسلامي فترة مضطربة خلال هذه المرحلة تمثلت بالحروب الصليبية، وهجمات التتار، وسقوط بيت المقدس ثم إعادتها على يد صلاح الدين ثم سقوط بغداد بعد ذلك وانتقال الخلافة إلى القاهرة، وطبعت هذه المرحلة بسمات عامة، وأحداث سياسية واجتماعية متنوعة منها:

انحطاط الخلافة العباسية وتفككها، ونشاط الفرق الباطنية بشتى صورها، واستيلاءها على مقاليد الحكم في المشرق، وفساد الحكم وكثرة الاضطرابات بالمغرب [1]، فقد بدأت الحملات الصليبية في أواخر القرن الخامس الهجري، واستمرت حتى عام (٦٦٠هـ)، واحتلت القدس في هذه الفترة ثم أعادها صلاح الدين رحمه الله عام (٥٨٣هـ) [2].

ودهم العالم الإسلامي خطر آخر ألا وهو الخطر المغولي، فتسلط التتار على المسلمين في نهاية القرن السادس وبداية السابع، وبلغت سطوتهم ذروتها بسقوط بغداد عام (٦٥٦) واستمرت المعارك معهم فكانت معركة عين جالوت التي انتصر فيها المسلمون عام (٦٥٨)، وموقعة (شقحب) التي قادها الإمام ابن تيمية رحمه الله[3] آخر المواقع مع التتار عام (٧٠٢).

وبدأ الانحطاط العلمي والفكري يدب في أرجاء العالمي الإسلامي في أوائل القرن الخامس، الا أن ذلك لم يمنع ظهور أعداد من العلماء الكبار الذين كان لهم دور كبير في الحركة العلمية وبعثها [4]، ووجود إبداع علمي، ولكنه اقتصر على نخبه محدودة من أهل العلم، وكانت السمة الغالبة على الانتاج العلمي اتصافه بالتكرار والتقليد والجمع

---

١ نجم خلف، (الإمام البيهقي)، ص ١٧- ١٨.

٢ الزهراني، محمد بن مطر، (تدوين السنة النبوية)، نشأته وتطوره، ص ١٩٩- ٢٠٣، دار الهجرة - ١٩٦٦.

٣ المرجع السابق.

٤ المرجع السابق.

والاختصار (١) وكان لبعض العلماء مكانة عالية في نفوس العامة، بل وفي نفوس الأمراء، كالنووي، وابن عبد السلام، وابن الصلاح، وغيرهم رحمهم الله (٢).

المطلب الأول

المصنفات على الموضوع خلال هذه الفترة

أما المصنفات الموضوعية في هذا العصر فقد تنوعت على كافة فروع الشريعة، إلا أنها لم تكن بالاتساع الذي كانت فيه في العصر السابق، كما أن تكرار العنوان أو حتى الموضوع واضح في هذا العصر. **ومن أبرز المؤلفات ما يلي**

أ- ففي أحاديث الأحكام وما يتعلق بها ظهر كثير من المصنفات منها: الإمام في بيان أدلة الأحكام، لعز الدين بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ). وخلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام للضياء المقدسي (ت٦٤٣هـ). ودلائل الأحكام من كلام خير الانام لعبد الغني المقدسي (ت٦٠٠). والمنتقى من أخبار المصطفى لمجد الدين أبي البركات عبد السلام بن تيمية (ت٦٥٢). وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، والإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العبد (ت٧٠٢). والأحكام الشرعية الصغرى الصحيحة، والأحكام الشرعية الكبرى لعبد الحق الاشبيلي (ت٥٨١). وأحكام النساء لابن الجوزي (ت٥٩٧). وأقضية رسول الله -صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن الفرج بن الطلاع (ت٤٩٧). وتلقين الولد الصغير لعبد الحق الإشبيلي، (ت٥٨١).

ب- وفي الطب النبوي نجد كتباً كثيرة منها: كتاب الطب النبوي لضياء الدين المقدسي (ت٦٤٣)، والشفا في الطب عن السيد المصطفى صلى الله عليه وسلم، لأحمد بن يوسف التيفستاني (ت٦٥١) والطب من الكتاب والسنة لعبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت ٦٢٩).

١ العمري، أكرم، (التراث والمعاصرة)، ص ١٢٤.

٢ العليمي، أحمد، (ابن تيمية محدثاً)، فصل العصر الذي عاش فيه، ص (...).

ج- ومن المصنفات في أبواب الترغيب والترهيب والسلوك والتربية والفضائل والفتن:

فضل الجهاد والمجاهدين لأحمد بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٢٣). وفضائل بيت المقدس لضياء الدين المقدسي (ت٦٤٣)، وفضائل الشام للسمعاني عبد الكريم بن محمد. وترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام لأبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام، (ت٦٦٠)، والمواعظ النبوية، والبر والصلة لابن الجوزي (ت ٥٩٧). ومدح التواضع وذم الكبر، والتوبة، وفضل شهر رمضان، وذم ذي الوجهين، وفضل يوم عرفة، وثواب المصاب بالولد، وتعزية المسلم من أخيه، وذم من لا يعمل بعلمه، كلها لابن عساكر (ت ٥٧١)، والأربعين في تصحيح المعاملة لأبي القاسم القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت٤٦٥)، والأربعين في دلائل التوحيد لأبي إسماعيل الهروي (ت٤٨١)، وأربعون حديثاً في اصطناع المعروف للمنذري (ت٦٥٦)، وثواب قضاء حوائج الإخوان، لمحمد بن علي النرسي الأبي (ت٥١٠هـ)، والانتصار لأصحاب الحديث لأبي المظفر السمعاني، منصور بن محمد (ت ٤٨٩)، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لعبد الرحمن بن محمد بن عساكر (ت٦٢٠)، والترغيب والترهيب للمنذري، وعقد الدرر في أخبار المنتظر ليوسف بن يحيى السلمي (ت٦٥٨)، والنصيحة للراعي والرعية من الأحاديث النبوية، لأبي الخير التبريزي بدل بن أبي المعمر بن إسماعيل (ت٦٣٦)، وجزء أحاديث الشعر لعبد الغني المقدسي (ت٦٠٠)، والابتهاج في أحاديث المعراج لأبي الخطاب، عمر بن حسن بن دحية (ت٦٦٣)، والأربعون حديثاً في حقوق الإخوان لمحيي الدين محمد بن عبد الله الحسيني الحلبي (ت٦٣٤)، وفضائل رمضان والترغيب في الدعاء لعبد الغني المقدسي، وأحاديث شهر رمضان، لعبد الصمد بن عساكر (ت٦٨٦)، والنصيحة في الأدعية الصحيحة لعبد الغني المقدسي (٦٠٠)، وفضائل الأعمال لضياءالدين المقدسي، وثواب قارئ القرآن لمحمد بن عبد الواحد الغافقي (ت٦١٩)، وفضائل الأعمال لضياءالدين المقدسي (ت٦٤٣). وله كتب كثيرة أخرى في موضوعات متفرقة منها، فضائل القرآن، وصفة الجنة، وصفة النار، والنهي عن سب الاصحاب، وذم المسكر

والموبقات، وكلام الأموات والهجرة إلى أرض الحبشة، وفضائل القراء، ودلائل النبوة، والطب والرقيات، واتباع السنن، واجتناب البدع كلها له.

المطلب الثاني

مناهج المصنفين في هذه المرحلة

إذا أردنا بيان المنهج المتبع في التصنيف في هذه المرحلة فنتناول منهج بعض العلماء في مصنفاتهم، فمن علماء هذا العصر الذين ألفوا في موضوعات خاصة الإمام ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩- ٥٧١). ومن مصنفاته: كتاب الأربعين في الحث على الجهاد. وقد ألفه استجابة لأمر الملك العادل المجاهد نور الدين زنكي- رحمه الله- للحث على الجهاد، ورفع الهمم للجنود المسلمين في حربهم ضد الصليبيين في تلك المرحلة. فاستجاب ابن عساكر لهذا الطلب، وكتب أربعين حديثاً في الجهاد واضحة المتن، متصلة الإسناد، مرضية عند أهل المعرفة والانتقاد، بعد أن اجتهد في جمعها غاية الاجتهاد، كما ذكر في مقدمته للكتاب (١). الا أنه بعد البحث والتحري، نجد حديثين موضوعين من بين الأربعين، وثلاثة ضعيفة جداً، وثلاثة ضعفها محتمل (٢). وللإمام ابن عساكر مجالس حديثية ذات موضوع واحد، مثل مجلسه في التوبه الذي ذكر فيه اثني عشر حديثاً مرفوعاً، وأثرا موقوف واحد، وآخر مقطوعا، وأبياتاً من الشعر لبعض الحكماء، وكانت أحاديثه ما بين الصحيح والحسن والضعيف المنجبر(٣).

ومن المصنفات التي عالجت مسألة ملحة لقضية مهمة كتاب فضائل بيت المقدس (٤)، للحافظ ضياء الدين المقدسي، حيث يذكر الحديث بسنده ثم يذكر من أخرجه من الائمة وقد يذكر رأيه في الحديث، وقد رتب كتابه على الأبواب، وأغلب أحاديثه مرفوعات وفيها بعض الموقوفات والمقطوعات وبعض أخبار بني إسرائيل، ويروي الحديث الواحد بعدة طرق عن الصحابة، ومجموع نصوصه في هذا الكتاب ٩٦ نصاً.

ومن المصنفات التي عالجت موضوعاً مهما كتاب اتباع السنن واجتناب البدع (١) للضياء المقدسي، جاء في مقدمته أما بعد فقد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه الأحاديث ما فيه كفاية لمن أراد الله رشده، وهداه لاتباع سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أعلم النبي -صلى الله عليه وسلم - أن كل محدثه بدعة، وأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وإن هذه الأمة تتبع سنن من قبلها شبراً شبراً، وذراعاً بذراع. وقد كثرت في زماننا هذا البدع فظهرت، وعمل بها خلق كثير من الناس، وزاولها طريقاً إلى الله تعالى، فمن ذلك حضور الغناء والمزامير والرقص، ومؤاخاة النسوان، والحضور مع المردان، حتى إن بعضهم ليرى ذلك أفضل من الصلاة وقراءة القرآن، فنعوذ بالله من الخذلان، ونستعينه على أداء الشكر وكثرة الذكر في جميع الأحيان، ونسأله بكرمه أن لا يجعل للشيطان علينا سلطان.... ، ثم بعد ذلك ذكر الأبواب التي قسم الكتاب إليها، والتي أراد من خلالها كما يظهر في مقدمته أن يعالج الانحراف الذي أصاب الكثير من الناس في أبواب مختلفة من الدين، وقد كان منهجه يتمثل بذكر الأحاديث المرفوعة- بدون إسناد- في وجوب اتباع السنن، وضرر البدعة. وذكر بعض مواقف الصحابة في الرد على أهل البدع، ونقل أقوالا للعلماء كالشافعي، والإمام أحمد، في مسائل مبتدعة يفعلها أهل زمانه، وذكر بعض المنامات وذكر شعراً في ذم ما يفعله صوفية زمانه من التكلف والرقص وغيرها من المبتدعات، والمنهج الذي مشى عليه المؤلف في هذا الكتاب استعمله في كتب أخرى مثل كتاب الطب والرقيات والأمراض والكفارات من الحديث النبوي(٢).

ولبيان منهج التصنيف في كتب الفتن، نتناول كتاباً ألف في هذه الفترة، وهو كتاب عقد الدرر في أخبار المنتظر(٣)، ليوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي الشافعي السلمي، الذي ألفه صاحبه بناءً على طلب بعض إخوانه، بعدما رأى من

---

١ ابن عساكر، (الأربعون في الحث على الجهاد)، مقدمة المؤلف، ص ٤٨.، دار الخلفاء، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.

٢ المرجع السابق، مقدمة التحقيق، ص٤١.

٣ ابن عساكر، (التوبة)، ص٢٤، مقدمة المحقق، مشعل محمد الحدادي، دار ابن الاثيره الكويت، ط١، ١٩٩٧.

٤ الضياء المقدسي، (فضائل بيت المقدس)، تحقيق محمد مطيع حافظ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ.

---

١ الضياء المقدسي، (اتباع السنن واجتناب البدع)، مقدمة التحقيق ص(٢٥).

٢ الضياء المقدسي، (الطب والرقيات).

٣ السلمي، (عقد الدرر في أخبار المنتظر)، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط١، بدون دار نشر.

فساد حال الناس، وبعدهم عن الدين، وغيرها من الأمور، مما جعل الناس ييأسون من تحسن الأحوال وتعدل الأوضاع، وينفي بعضهم ظهور المهدي، وينكر الأحاديث الواردة في ذلك، فألف هذا الكتاب ليبين فيه حقيقة المهدي، ويثبت خروجه، ويبعث الأمل في نفوس الناس بتعدل الأحوال وتغير الأوضاع.

والكتاب وإن كان يختص بالمهدي المنتظر الا أن فيه الحديث عن الكثير من الفتن والملاحم، وقد ذكر مؤلفه انه يريد أن يذكر الأحاديث الواردة في الموضوع محذوفة الأسانيد طلباً للاختصار، ويسوق المؤلف بالإضافة إلى الأحاديث، الآثار والأخبار والأقوال ويعزو الأحاديث إلى أصحابها، ومصادره هي كتب السنة المشهورة، بالإضافة إلى كتب الفتن كفتن نعيم بن حماد، وأبي عمروالداني، وأبي نعيم الأصفهاني في كتبه، وغيرها من الكتب، ولم ينتقد المؤلف رواياته إلا في القليل النادر، ورتبه على الأبواب، وفي بعض الأبواب فصول. والذي ينتقد على الكتاب هو ما ينتقد على كتب الفتن عموماً من حيث رواية الضعيف والموضوع، والأخبار المقطوعة، والإسرائيليات من غير بيان لحالها. @

المطلب الثالث

ملاحظات ونتائج من المبحث الثالث

يتضح أن حجم الانجاز العلمي في هذه الفترة كان متواضعاً مقارنة بالعصور السابقة في هذا المجال بشكل عام، وأن العلماء في هذه المرحلة بدؤوا بحذف الأسانيد من مصنفاتهم، واتجهت أكثر المصنفات نحو المواعظ والأدب والفضائل وما يتعلق بها، كما اتجه العلماء نحو التصنيف في المجال الفقهي، ويتضح جلياً أن لطبيعة المرحلة الزمنية من هجمات صليبية وتتارية دور في توجه العلماء نحو موضوعات معينة يحتاجها الناس.

ونلاحظ زيادة المصنفات في تجريد أحاديث الأحكام والعناية بها مع التدقيق والاهتمام بصحة الحديث، وظهور المصنفات الموسوعية في أبواب الترغيب والترهيب والتي تدقق في اختيار الحديث كالترغيب والترهيب للمنذري، وازدادت العناية بالمصنفات التي تحث على الجهاد، كما يلحظ ضعف التصنيف [illegible] أبواب الإيمان.

وازداد ظهور كتب الأربعين وهي الكتب التي تضم أربعين حديثاً، ينتقيها المصنف سواء أكان على الأبواب أو المسانيد أو الفروع، أو الرقائق، أو مختلطة. المهم أنها أربعون حديثاً وقد بدأها الإمام الكبير عبد الله بن المبارك المروزي، ثم تلاه آخرون وهم كثر منهم الحسن بن سفيان، وأبو بكر الآجري، وأبوعبد الله الحاكم النيسأبوري، وأبو بكر البيهقي، وأبو نعيم الأصفهاني، وأبو القاسم بن عساكر، وأبو طاهر السلفي و النووي، والمنذري... (١). والذي حملهم على هذا الصنع هو الثواب المروي في ذلك، وهو ثواب عظيم وأجر كبير (٢). والحديث هو: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً(٣). قال عنه الدارقطني: كل طرق هذا الحديث ضعاف لا يثبت منها شيء (٤)، وضعفه وحكم ببطلانه كثير من العلماء، وبعضهم جعله في الموضوعات٥.

كما يلاحظ نشاطاً علمياً في مصنفات البلدان وخاصة في بيت المقدس، علماً أن إفراد التصنيف في فضائل البلدان بدأ في منتصف القرن الثالث الهجري تقريباً، ثم استمر بعد ذلك فصنف عمر بن شبه (ت ٢٦٢) في فضائل البصرة وصنف أحمد بن محمد السرخسي (ت٢٨٦) في فضائل بغداد، وصنف مغفل بن محمد (ت٣٠٠) في فضائل مكة... وغيرها من المصنفات غير أن التصنيف في فضائل بيت المقدس، وفضائل الشام انتشر في هذه الفترة الزمنية وكان له الحظ الأكبر بين بقية البلدان، ويرجع ذلك للأمور الآتية(٦) :

---

١ ابن عساكر، (الأربعون في الحث على الجهاد)، مقدمة التحقيق، ص ٥-٧، دار الخلفاء، الكويت، ط١، ١٩٨٤م، وانظر أيضاً بشار عواد معروف، المنذري وكتابه التكملة ص ٧٦، مطبعة الأدب، النجف ١٩٦٨.

٢ المرجع السابق، ص ٧.

٣ ابن الجوزي، (العلل المتناهية)ج١ص١١٩ دار الكتب العلمية – بيروت،ط١ ١٤٠٣ تحقيق: خليل الميس.

٤ ابن عساكر، (الأربعون في الحث على الجهاد)، مقدمة التحقيق، ص ٣٤.

٥ المرجع السابق ، ص ٣٤.

٦ عادل بن سعد، (مقدمة تحقيق كتاب فضائل الشام) ص٧.

١- حث النبي -صلى الله عليه وسلم - على فتح الشام، والترغيب في سكناها ونشر الدين فيها.

٢- كثرة الأحداث وتعاقبها على بلاد الشام، وخاصة الغزو الصليبي لها.

٣- احتلال القدس من قبل الصليبيين ثم استرجاعها على يد القائد المظفر صلاح الدين رحمه الله.

ومن الكتب التي صنفت في فضائل الشام في هذه الفترة والتي تليها [1] : فضائل الشام ودمشق، لأبي الحسن علي بن حمد الربعي (ت٤٤٤). فضائل الشام للحافظ السمعاني (ت٥٦٢). فضائل الشام للضياء المقدسي (ت٦٤٣). ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام للعز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ). فضائل الشام لابن عبد الهادي (ت٧٤٤). فضائل الشام لابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥). وهناك عشرات المصنفات حول فضائل بيت المقدس، وفضائل الشام[2]، وليس جميع هذه الكتب من قبيل الحديث الموضوعي، بل بعضها كذلك، وبعضها ليس كذلك، إذ هو تأريخ لمدينة القدس أو الشام، ولا يعتمد الحديث أساساً في تصنيفه.

ومن الملاحظات على مصنفات فضائل البلدان عموماً، وفضائل الشام وبيت المقدس خصوصاً مايلي:

١. كثرة الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة بها، فبعض الأبواب لا يثبت فيها أي حديث أو أثر.

٢. كثرة الأحاديث الضعيفة، قال ابن تيمية- رحمه الله-: وقد صنف طائفة من الناس مصنفات في فضائل بيت المقدس وغيره من البقاع التي بالشام، وذكروا فيها من الآثار المنقولة عن أهل الكتاب، وعمن أخذ عنهم مما لا يحل للمسلمين أن يبنوا عليه دينهم، وأمثل من ينقل عنه تلك الإسرائيليات كعب الأحبار، وكان الشاميون قد أخذوا عنه كثيراً من الإسرائيليات، وقد قال معاوية رضي الله عنه-: ما رأينا في هؤلاء المحدثين من أهل الكتاب أمثل من كعب، وإن كنا لنبلوا عليه الكذب أحياناً[3].

---

١ المرجع السابق، (مقدمة التحقيق)، ص٦.

٢ محمد مطيع حافظ، (مقدمة تحقيق كتاب فضائل بيت المقدس)، ص ٢٢.

٣ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (اقتضاء الصراط المستقيم)، ص[illegible] حامد الفقي.

المبحث الرابع

التصنيف الموضوعي في العصر المملوكي

(من منتصف القرن السابع إلى نهاية القرن العاشر)

كانت مصر والشام في يد المماليك بعد سقوط بغداد ثم انتصار المسلمين في معركة عين جالوت، وبقيت في يدهم حتى عام ٩٢٣هـ، وانتقلت الخلافة إلى القاهرة فزاد نشاطها العلمي، بينما تضاءلت أهمية المراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي[1]، فانتعشت حركة التأليف وخاصة الكتب الموسوعية، وقد اعتبر بعض الباحثين عصر المماليك عصر جمع وشرح وتفسير لا عصر إبداع واستنباط[2].

وقد تميز حكم المماليك بعدم استقرار في الأوضاع السياسية، والظلم الاجتماعي، والعداوة بين العلماء والحكام عموماً[3]. ثم وقعت الدولة المملوكية في داء الهرم، الذي إذا وقع في جسم دولة أدى إلى زوالها[4]، وقد أدى ذلك إلى فساد الحياة الاجتماعية والاقتصادية من ظهور للجور، وقلة الدين، وذهاب الحياء من الناس، وتعدد المحن، وظهور البدع، والخرافة والتنجيم[5].

وأما الحركة العلمية في مجال العلوم الدينية في عصر المماليك، فقد كان من أبرز خصائصها [6] : حفظها للتراث السابق، ومعالجتها لمشكلات حياتية مستجدة، وكان للعلماء مكانة في نفوس العامة والأمراء، وتنوعت الاجتهادات في العلوم الدينية لمواجهة ما طرأ على الحياة من امتزاج الثقافات وتبدل الأوضاع، و تصويب هفوات

---

١ شاكر محمود، (ابن حجر العسقلاني)، ص ٣٥، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٧م.

٢ شاكر محمود، (المرجع السابق)، ص ٣٦، وقد نقله عن مقدمة نظم العقيان للدكتور فيليب حتي وغيرهُ من المؤلفات، وانظر كتاب (الإمام السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه) للسيد بديع اللحام، ص ٥٠، ود. أحمدالعليمي (ابن تيمية محدثاً)، فصل العصر الذي عاش فيه، ص (٣٠-٥٣) دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٢. وبكر أبو زيد، (ابن قيم الجوزية- حياته وآثاره)، ص٣٣ مطابع دار الهلال، ط١، ١٩٨٠.

٣ أمينة الجابر، (ابن رجب الحنبلي)، ص٣٠٦، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥، ط١ـ قطر.

٤ بديع اللحام، (الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي)، ص ٣٣.

٥ المرجع السابق، ص ٣٧-٤٥.

٦ المرجع السابق، ص ٣٧.

المصنفين القدامى، وتقريب المصنفات السابقة إلى أفهام الناس.

وأما علم الحديث في هذا العصر، فقد عكف العلماء على استيعاب كتب الحديث الأولى جمعاً أو ترتيباً أو اختصاراً أو شرحاً أو تخريجاً، وامتازت كتب الحديث في هذا العصر بتزايد كتب الزوائد، والمجاميع، وكتب أحاديث الأحكام، وكتب تخريج الأحاديث والأطراف وشرح الصحاح، وغيرها[1]، ويمكن القول إن عصر المماليك يعد من العصور الذهبية في علم الحديث، وأن مؤلفات ذلك العصر لم تزل هي الحجة إلى يومنا هذا[2]. وربما كان الداعي إلى ازدهار الحركة العلمية أن أهل البلاد في الشام ومصر لم يكن لهم شيء من الحكم، فكان من الطبيعي الاتجاه نحو العلم. وللدلالة على ما وصل إليه علم الحديث في هذا الزمان، فيكفي أن نستعرض بعض علماء هذا العصر فمنهم مثلاً، ابن تيمية (ت٧٢٨)، ابن بلبان (ت٧٣١)، وابن سيد الناس (ت٧٣٤)، والمزي (ت ٧٤٢)، والقطب الحلبي (ت٧٣٥) والزواوي (ت ٧٤٣)، وسنجر(ت٧٤٨)، والذهبي (ت٧٤٨)، وابن القيم (ت٧٥١)، ومغلطاي (ت٧٦٢)، وابن كثير (ت٧٧٤)، والزركشي (ت٧٩٤)، وابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥)، وابن الملقن (ت٨٠٤)، والبلقيني (ت٨٠٥)، والعراقي (ت٨٠٦)، والهيثمي (ت٨٠٧)، والفيروز أبادي (ت٨١٧)، وأبو زرعه العراقي (ت٨٢٦)، والدماميني (ت٨٢٧)، وسبط بن العجمي (ت٨٤١)، وابن ناصر الدين (ت٨٤٢)، والدميري (ت٨٤٢)، وابن حجر (ت٨٥٢) والسخاوي (ت٩٠٢) والسيوطي (ت٩١١)، وغيرهم كثير[3] وكل واحد من هؤلاء الاعلام له عدة مصنفات في الحديث رواية أو دراية. فهذا العصر كان غنياً جداً، حتى جعله بعضهم من العصور الذهبية في علم الحديث[4]، وهو كذلك.

---

١ شاكر محمود (المرجع السابق)ص٤١، وانظر بديع اللحام، (الإمام السيوطي)، ص ١٩٩-٢٠٠.

٢ صالح معتوق، (بدر الدين العيني)، ص ٣٧، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٣ صالح يوسف معتوق، بدر الدين العيني ص ٣٧-٤٩.

٤ المرجع السابق، ص ٣٧.

المطلب الأول

المصنفات الموضوعية في هذه الفترة.

أ. المصنفات في أحاديث الأحكام.

بدأ إفراد أحاديث الأحكام بالتصنيف في مرحلة مبكرة، وما سنن أبي داود والنسائي وغيرهم الا من هذا النوع، وبقي التصنيف فيها مستمرا في كل العصور وبأساليب مختلفة، وفي هذا العصر ظهرت بعض المصنفات في الأحكام، وبعضها كانت له أهمية كبرى حتى أصبح عمدة الطلاب والباحثين كبلوغ المرام، ومن هذه المصنفات أيضا إحكام الأحكام، شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (ت٧٠٢)، والالمام بأحاديث الأحكام له. وأحكام الأحكام الصادرة من بين شفتي سيد الانام لمحمد بن علي النقاش المغربي. وفتاوى رسول الله صلى الله عليه وسم، لابن قيم الجوزية (٧٥١)، وتقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للعراقي (٨٠٦).

ويلحق بها المصنفات في موضوعات فقهية ومنها: صوم النبي صلى الله عليه وسلم، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١)، وحجة الوداع، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤)، وجزء في صلاة الضحى للسيوطي. وتأييد الانكار لأتيان الطيور ونحوها في الاوكار، لشمس الدين بن طالون الصالحي، وتحقيق الفلاح في ترك الاشارة بالسلاح، والترشيح لبيان صلاة التسبيح له أيضا، والزجر بالهجر للسيوطي، والكلام على سنة الجمعة قبلها وبعدها لأبي حفص عمر بن الملقن (ت٨٠٤هـ). وخصائص يوم الجمعة للسيوطي.

ب. المصنفات في الأدعية والأذكار: لم ينقطع التصنيف في هذا المجال أبدا الا انه وجدت مصنفات أكثر تحقيقا من غيرها كمصنفات ابن القيم وابن تيمية ومن هذه المصنفات:

الكلم الطيب، لابن تيمية (ت٧٢٦)، والوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية (ت٧٥١، وسلاح المؤمن في الذكر والدعاء، لمحمد بن محمد بن همام بن الإمام (ت٧٤٥)، ومطالع السعد بكشف مواقع الحمد لابن القيم، وسهام الاجابة في الدعوات المستجابة، وأحاديث رفع اليدين في الدعاء للسيوطي، والقول البديع في

الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي، وذكر الآثار التي تحرس قائلها من كيد الجن لابن حجر العسقلاني (٨٥٢).

ج: المصنفات في الفضائل: لم تكن هذه المصنفات مبتكرة جميعها الا أنه لا تخفى الإضافات الكثيرة والمهمة سواء من حيث الموضوع أو من حيث المنهج ومنها:

فضائل الشام، لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥)، وفضائل القرآن لعماد الدين إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤)، وفضائل مكة الواردة في السنة لابن رجب (ت٧٩٥)، وتحفة العجلان في فضائل عثمان للسيوطي، والغرر في فضائل عمر له، وفضائل المدينة المنورة لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢)، وبذل الماعون في فضل الطاعون، وتبيين العجب بما ورد في فضل رجب لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، وأربعون حديثاً في فضل آية الكرسي ليوسف بن عبد الله الارميوني الشافعي (ت٩٥٨)، والأربعون في الجهاد للسيوطي (ت٩١١)، وإتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام لابن حجر المكي الهيثمي (ت٩٧٤)، والقول التمام في فضل الطيلسان للسيوطي (ت٩١١)، وإحياء الميت بفضائل أهل البيت له، والاعلام بسن الهجرة إلى الشام، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٩٨٥هـ)، وشرح الصدر بذكر ليلة القدر لأحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت٨٢٦)، والصحيح المسند من فضائل الأعمال والاوقات والامكنة لعلي بن محمد المغربي (ت٩٢٣)، وفضل ذي الحجة، ويوم عرفة لابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢)، والقرب في فضل العرب للعراقي (٨٠٦)، واللفظ المكرم بفضائل عاشوراء والمحرم لابن ناصر الدين (٨٤٢).

د. المصنفات في الترغيب والترهيب: وجدت المصنفات في الترغيب والترهيب في جميع العصور، وذلك لأهميتها في ضبط سلوك المسلم عن المحرمات، وتشجيعه على الطاعات الا أن لكل عصر سمته الخاص من حيث طريقة طرح الموضوع ومفردات التصنيف للكتاب، وقد زادت المصنفات التي تتحدث عن مكفرات الذنوب وعن الكبائر وغيرها في هذا العصر ومن هذه المصنفات ما يلي:

الكبائر للذهبي (ت٧٤٨)، وأسباب المغفرة، لابن رجب الحنبلي، ومكفرات الذنوب ودرجات الثواب له، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي الهيثمي (ت٩٧٤)، والجواهر في عقوبة أهل الكبائر لزين الدين المليباري (ت٩٢٨)، وبشائر المحبوب بتكفير الذنوب، لعبد الرحمن بن خليل الاذرعي الشافعي (ت٨٦٩)، والأربعون حديثاً في تارك الصلاة ومانع الزكاة لنجم الدين الغيطي (ت٩٨١)، والأربعون في ردع المجرم عن سب المسلم لابن حجر العسقلاني. وتطهير العيبة من دنس الغيبة لابن حجر العسقلاني. وغاية المطلوب وأعظم المنة فيما يغفر الله به الذنوب، ويدخل الجنة، لعبد الرحمن بن علي بن الدبيع الشيباني (ت٩٤٤). و مختصر الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني.

و. المصنفات في أشراط الساعة وما يتعلق بها: كان هناك قدر مشترك بين المصنفات في الفتن في جميع العصور الا أن هناك اختلافا كبيرا أيضا بينها نظرا لاختلاف نوع الفتن وطريقة معالجة المصنف للموضوع ومن المصنفات في هذا الباب:

علامات يوم القيامة، والفتن والملاحم، لابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤)، والقناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة للسخاوي (ت٩٠٢)، والقول المختصر في علامات المهدي المنتظر، لابن حجر المكي الهيثمي، (ت٩٧٤) والبرهان في علامات مهدي آخر الزمان لعلي بن حسام المتقي الهندي (ت٩٧٥)، والعرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي (ت٩١١).

ز. المصنفات في الطب النبوي، وهي من المصنفات المشتركة بين جميع العصور لحاجة المجتمع إليها ومنها: الطب النبوي لابن قيم الجوزية، (ت ٧٥١)، وللإمام الذهبي (ت٧٤٨) هـ. ومختصر الطب النبوي للسيوطي.

ح. مصنفات في موضوعات متفرقة: الغنية في مسألة الرؤية، لابن حجر العسقلاني. ووظائف اليوم والليلة للسيوطي. وإعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، لمحمد بن علي بن طولون الصالحي (ت٩٥٣)، ومطلع البدرين فيمن يؤتى أجره مرتين للسيوطي. وأحاديث الضيافة لأبي بكربن داود الحنبلي (ت٨٠٦). وأسنى المطالب في صلة الارحام والاقارب، والافادة لما جاء في المرض والعيادة، لابن حجر المكي الهيثمي (ت ٩٧٤). والجواهر المجموعة والنوادر المسموعة في الجود والبخل، وقضاء حوائج الإخوان، للسخاوي (٩٠٢)، وما رواه الواعون في أخبار الطاعون للسيوطي، ومستند الاجناد في الات الجهاد، لعبد العزيز بن محمد الحموي (ت٧٦٧)، والغربة والغرباء، لابن تيمية (ت٧٢٦)، وإثبات الشفاعة للذهبي

(ت٧٤٨). ولطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ومطلع البدرين فيما يؤتى أجره مرتين. وتمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش للسيوطي، وتسلية الاباء بفقدان الابناء. وأبواب السعادة في أسباب الشهادة. وقوة الحجاج في عموم المغفرة للحجاج لابن حجر العسقلاني، والعقد التمام فيمن زوجه النبي عليه السلام، ليوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي (ت٩٠٩)، والأمر بالعزلة في آخر الزمان لمحمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠)، وكشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، لابن رجب الحنبلي.

وهذا الكم الكبير والمتنوع من المصنفات يكشف لنا عن القدر العلمي الكبير الذي كان يعيشه هذا العصر.

المطلب الثاني

مناهج المصنفين في هذه المرحلة

ولبيان المنهج المتبع في التصنيف في هذه الفترة، نستعرض مناهج بعض المصنفات في موضوعات مختلفة منها: كتاب جلاء الافهام. لابن القيم أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر (٦٩١ – ٧٥١) وهومن علماء هذا العصر البارزين. قال عنه تلميذه ابن رجب تفقه في المذاهب وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيه المنتهى، والحديث ومعانية وفقهه، و دقائق الاستنباط فيه، لا يلحق في ذلك(١).

قال ابن القيم –رحمه الله – في مقدمة كتابه عنه: وهو كتاب فرد في معناه لم أسبق إلى مثله في كثرة فوائده وغزارتها، بينا الأحاديث الواردة في الصلاة والسلام عليه، وصحيحها من حسنها ومعلولها، وبينا ما في معلولها من العلل بياناً شافياً، ثم أسرار هذا الدعاء، وما اشتمل عليه من الحكم والفوائد ثم في مواطن الصلاة عليه ومحالها، ثم الكلام في مقدار الواجب فيها، واختلاف أهل العلم فيه، وتزجيح الراجح

---

١ ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن،(ذيل طبقات الحنابلة)، ج٥ص١٧٠ مكتبة العبيكان–الرياض ط١ ٢٠٠٥

وتزييف الزائف، ومخبر الكتاب فوق وصفه(١).

وكتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم تعد من المصنفات الحديثية الموضوعية، أراد أن يوضح الهدي النبوي في كثير من المسائل من خلال جمع الأحاديث واستنباط فقهها وهو من الكتب النافعة جدا، ولو أعيدت صياغته بطريقة علمية معاصرة تناسب روح العصر على طريقة الحديث الموضوعي لكان له مكانة عالية من بين المصنفات الأخرى المماثلة.

ومن المصنفات التي تمثل الحديث الموضوعي بشكله المتكامل كتاب بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجر، ولاكتمال الفوائد من المنهج في هذا الكتاب، فإني سأبينه بشيء من التفصيل(٢) : رتب الحافظ كتابه على خمسة أبواب وخاتمة وفصل قصير، وألحق بالكتاب فهرسين في أوله، فهرس للأبواب عموماً، وآخر للفصول، وعرض في الباب الأول مبدأ الطاعون، وأنه رجز على الأمم السابقة، ورحمة لهذه الأمة، وعرف بالطاعون في الباب الثاني، واشتقاقه اللغوي، وأقوال الاطباء فيه، وقارنه بالوباء، وذكر من الأحاديث ما يفيد أنه من وخز الجن، والحكمة من ذلك، وألحق به الأحاديث التي تحرس قائلها من كيد الجن.

وذكر في الباب الثالث الأدلة على كونه شهادة للمسلمين، وتعرض لمعنى الشهيد ومراتب الشهداء، وشروط الشهادة. وضمن الباب الرابع ما يتعلق بالطاعون من أحكام، كالخروج من البلد الذي يقع فيه أو دخوله، وذكر في الباب الخامس ما يشرع للناس فعله عند وقوع الطاعون كالدعاء برفعه، والاجتماع لذلك أو عدمه وما يتعلق منه بالارث والآداب المتعلقة بمن أصيب به. وختم الكتاب بخاتمه تكلم فيها باختصار على الطواعين الواقعة في الإسلام، إلى سنة ٨٤٨. وختم كل باب بفصل بين فيه شكل الألفاظ الواقعة في الباب، فضبط من الحروف ما يحتاج إلى ضبط، وفسر ما يحتاج إلى تفسير.

وقد كان الحافظ يرجع في كل ما ينقله إلى المراجع الأصلية في كل فرع من الفروع التي تناولها من الحديث أو اللغة أو الطب، ويتحرى صحة النسخ التي يعتمدها. ومن

---

١ ابن قيم الجوزية، (زاد المعاد)، ١٥٨/٢

٢ ابن حجر، (بذل الماعون في فضل الطاعون)، تحقيق أحمد الكاتب، دار العاصمة– الرياض.

ميزات الكتاب، أنه استوعب طرق أحاديث الطاعون والكلام عليها، أما ما وقع من الأحاديث استطراداً، فقد سكت على بعض الأحاديث وغالبها صحيح أو حسن، ويندر أن يسكت على خبر فيه ضعف ظاهر. وقد قال في المقدمة وسقت الأحاديث محذوفة الأسانيد غالباً، لكني أنبه على من أخرجها من الائمة وعلى حكمها من الصحة أو الحسن أو الضعف، ملخصاً لبيان علته تارةً، ومستوعباً أخرى.

ومن الأمور الجديرة بالذكر والاهتمام في هذا الكتاب أن الحافظ وقف على كل ما صنف قبله في الطاعون من الكتب والأجزاء، ومن أجل ذلك تميز كتابه بالشمولية والدقة العلمية، حيث يمكن اعتباره فعلاً خير ما كتب في بابه، لذا فقد أصبح كتابه هو المعتمد لكل من جاء بعده من المصنفين، وكل من بعده عالةعليه.

ومن المصنفات الموضوعية تبين العجب فيما ورد في فضل رجب لابن حجر رحمه الله، التي أراد أن يبين درجة الأحاديث فيها من حيث الصحة والضعف لموضوع معين، حيث استعرض ابن حجر في هذا المصنف ثمانية وثلاثين حديثاً، بين أسانيدها ونقدها مع متونها، كما بين مدى ضعفها، وقوتها وتوصل إلى أنه لم يرو بشأن رجب حديث صحيح أو حسن، وهو أسلوب عملي لاجتثاث البدع حينما يسير الناس في بيداء الوهم(١).

ومن المصنفات التي أراد أن يستقصي كل ما ورد فيها من أحاديث كتاب الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة، وقد رتبه على أربعة أبواب مشتملة على الأحاديث الواردة فيه والاثار، وقال في مقدمته: فهذه الأحاديث النبوية تتبعتها في كتب غريبة ومشهورة، وكلها داخلة تحت معنى واحد رائق، وهو العمل بما ورد الوعد والوعيد فيه بغفران ما تقدم من الذنوب، وما تأخر على لسان الصادق المصدوق، ورتبتها على الأبواب ليسهل كشفها على الطلاب، وسميتها بالخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة(٢). وقد تميز منهجه بذكر الحديث وبيان طرقه، ورجاله وشواهده، وتعيين مرتبته، وما إذا كان قوياً أو ضعيفاً، ثم تكلم عن فضل طول العمر، واستشهد بأحاديث وأشعار في تقوية ما يراه من المعاني،

١ شاكر محمود، (ابن حجر العسقلاني) ص٢٦١.
٢ المرجع السابق، ص ٦٢٩.

ومن مصنفات الحافظ ابن ناصرالدين الدمشقي (ت٨٤٢)، الذي ولي دار الحديث الاشرفية، وله مؤلفات كثيرة في الحديث على الموضوع، رسالة اسمها الذب عمن تاب من الذنب، طلباً لمرضاه الرب، حيث أراد أن ينتصر للتائب الذي أقلع عن الذنب وتاب إلى الله عزوجل، فذكر في هذه الرسالة بعض الآيات وتفسيرها فيما يختص بموضوع الرسالة، وذكر الأحاديث في الموضوع، ووجه هذه الأحاديث، دون تعرض للحكم على الحديث. وذكر الاثار، واستشهد بأقوال العلماء في المسألة- بأسلوب وعظي يرقق القلب ويجري الدمع، ويناقش بعض ما احتج به خصمه، ممن لا يرى رأيه، ويرد كلامهم ويشرح بعض ما يتعلق بالحديث مما يتعلق بالموضوع.

وألف السيوطي رحمه الله جملة كبيرة من المصنفات الحديثية على الموضوع منها، كتاب الزجر بالهجر فقد كان متمسكاً بهذه السنة، وهي هجر أهل البدع. يقول رحمه الله: وقد ألفت في هذا مؤلفاً حسناً سميته الزجر بالهجر لاني كثير الملازمة لهذه السنة، والكتاب عبارة عن رسالة صغيرة، ذكر فيها السيوطي- رحمه الله- بعض الأحاديث في الهجر، مرفوعة وموقوفة ومقطوعة، وما حدث بين الصحابة من هجر، ونقل فقه هذه الأحاديث عن بعض العلماء كابن عبدالبر، والخطابي، وابن حجر، وذكر أسماء الصحابة المهاجرين، ومن بعدهم من التابعين في ما يقارب ٨ صفحات بالحجم المتوسط. وأغلب أحاديثه قد أخرجها من كتب البيهقي، وابن عدي، والديلمي، والطبراني ونحوهم، وقد يذكر تعليق الائمة على الحديث وقد لا ينقل، ولم يقسم الكتاب إلى فصول، وأبواب، بل ساقه سياقاً واحداً دون تقسيم.

والظاهر أن الإمام السيوطي –رحمه الله– وبسبب الخصومات العلمية الكثيرة التي كانت بينه وبين علماء عصره، أراد أن يؤلف لنفسه كتاباً يبرر فيه ما يسلكه في هذا الأمر(١). وسبب هذه الخصومات أنه ادعى الاجتهاد المطلق، وهو مرتبة بين المستقل مثل أبي حنيفة وبين مجتهد المذهب كالبويطي والرافعي والنووي، وبنى دعواه في الاجتهاد على أمرين هما: عدم جواز خلو العصر من قائم بالحجة استدلالا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله

١ انظر اللحام، بديع السيد (الإمام السيوطي وجهوده في علم الحديث)، ص ١٢٩–١٤٨.

وهم ظاهرون. و تكامل أدوات الاجتهاد عنده وتبحره في العلوم(١).

وله كتب أخرى في موضوعات مفردة تعتمد الحديث الشريف أساسا وتنطلق منه وتبين الهدي النبوي في مسائل معينة منها(٢)، أبواب السعادة في أسباب الشهادة، والأحاديث الحسان في فضل الطيلسان، وأحاديث الشتاء، وإحياء الميت في فضائل أهل البيت، وأربعون حديثاً في رفع اليدين في الدعاء، و حصول الرفق بأصول الرزق، وخصائص يوم الجمعة، أو نور اللمعة في خصائص الجمعة. والروض في أحاديث الحوض ونشر العلمين المنيفين في إحياء الابوين الشريفين والنضرة في أحاديث الماء والرياض والخضرة.

المطلب الثالث

نتائج وملاحظات من المبحث الرابع

تعددت مناهج التصنيف على الموضوع في هذا العصر وازداد عدد المصنفات في كافة المجالات والموضوعات وأخذت طابعا جديدا من حيث المنهج والموضوع، فقد ظهرت كتب الزوائد المرتبة على الموضوع، كما أن شروح الصحيحين كفتح الباري تضمنت أبحاثا متنوعة تعد من الحديث الموضوعي عند شرح بعض الأحاديث من حيث جمع الطرق وترتيبها والحكم عليها والاستنباط منه.

كان الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله من أبرز علماء هذا العصر في علم الحديث عموما: كذلك في التصنيف على الموضوع وقد ظهرت جهوده في هذا المجال من خلال أمور عدة منها، استقصاء الموضوع من جميع أطرافه ككتاب بذل الماعون، والترتيب المنهجي للمصنفات، ووجود عناوين وموضوعات جديدة، والإضافة العلمية الكثيرة التي تتميز بالتدقيق والتحقيق، ومن الميزات العامة لهذا العصر أيضا

١ اللحام، بديع السيد، (الإمام السيوطي وجهوده في علم الحديث)، ص ١٥٢.

٢ انظر مصنفات الحافظ السيوطي في كتاب اللحام، بديع السيد، (الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، وجهوده في الحديث وعلومه)، دار قتيبة، ط١، ١٩٩٤ [illegible]

الحكم على الحديث مع بيان درجته من الصحة والضعف كما لاحظنا في كتاب جلاء الأفهام وكتاب بذل الماعون.

وكتب كثير من المصنفين في جمع وبيان طرق حديث معين، واشتهر ابن حجر رحمه الله بهذامثل طرق حديث الائمة من قريش وطرق حديث الأعمال بالنيات وغيرها كثير[١]، كما أن للذهبي جهودا في هذا المجال مثل طرق حديث الطير وطرق حديث الرحمة وغيرها[٢].

وعلى سبيل المثال فكتاب قوة الحجاج في عموم المغفرة للحاج، الذي ناقش موضوع مفرد معين، من خلال جمع طرق الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع يعتبر من الحديث الموضوعي، فالكتاب هو إجابة عن سؤال هل يغفر لعموم الحجاج أم لا ؟ فكانت الاجابة أنه: يغفر لعموم الحجاج، استناداً إلى حديث بمجموع طرقه وشواهده مجتمعه، وأن الاجابة على السؤال السابق استدعت من المصنف رحمه الله ذكر طرق الحديث التي وصل إليها ومناقشتها، والحكم على كل طريق وبيان حال الرجال، ليتسنى له الحكم على الحديث، وهذا النوع من التصنيف ينفع في الأمور التي لم تحسم بسبب عدم معرفة هل الحديث صحيح أم لا، فيقتضي مناقشة الحديث لإثبات مرتبته ثم فقهه بعد ذلك-.

وهناك بعض الملاحظات العامة على مصنفات السيوطي الذي يمثل منهجا في التصنيف لكثرة مصنفاته وتنوعها، والتي تمثل بعض مناهج الحديث الموضوعي، ومن هذه الملاحظات : أن أغلبها عبارة عن رسائل قصيرة في صفحة واحدة أو عدة صفحات، وعدم الاهتمام بصحة الحديث عموماً، أو التساهل في التصحيح، وصياغة العنوان على نسق واحد (السجع)، وقلة الاهتمام بالتبويب والترتيب، وفيها الحديث والتفسير وأقوال الصحابة وغيرهم، وبعض المصنفات لا يوجد فيها حديث أصلاً،

١ انظر عبد الستار الشيخ، (الحافظ ابن حجر) ص٤١١-٤١٨وقد ذكر له ما يقارب ٣٠ مصنفا في هذا المجال

٢ انظر عبد الستار الشيخ، (الحافظ الذهبي) ص٣٧٣-٣٧٥ دار القلم، دمشق ط١ ١٩٩٤

ولذا لا تعد من الحديث الموضوعي، وبعض المصنفات لها قيمة علمية إصلاحية، وبعضها لا يهتم بها الا قليل من الناس، وبعضها قد توصل فيها لنتائج غريبة (١).

---

١ مثل كتابه (تحفة الجلساء برؤية الله للنساء)، الذي رجح فيه أن النساء لا يرين الله الا في العيد خاصة:

- وانظر المرجع السابق، ص ١٣٢- ١٤٩.
- ومسألة أبوي النبي صلى الله عليه وسلم هل هما ناجيان أم لا؟ وقد ألف فيها مع [illegible] كما قال، وانظر المرجع السابق ص ١٤٠.

المبحث الخامس
التصنيف الموضوعي في القرون المتأخرة
(من القرن الحادي عشر إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري)

كان العالم الإسلامي في هذه المرحلة ينقسم إلى قسمين كبيرين الأول: العالم العربي وما جاوره والثاني الهند وما جاورها، أما المشرق العربي الذي كان يحكمه السلاطين الاتراك فرغم القوة السياسية التي كانوا يتمتعون بها في البداية الا أن الحركة العلمية بدأت بالاضمحلال. فالحالة العامة في هذا العصر كما قال المؤلف الأمريكي الدكتور لوتروب اسكودور في كتابه حاضر العالم الإسلامي: في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي، قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة، فأربد جوّه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه، ورجاء من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي(١).

ويغلب على الانتاج العلمي في هذا العصر ذوق الأدب والشعر، وثقافة المجالس والنوادي، ولا يبدو أن العلماء قد ابتكروا شيئاً جديداً في مجال العلم والمعرفة(٢). كما انتشرت خلال هذه الفترة أنواع عديدة من صور الشرك والبدع والخرافات والدعوة إلى الدهرية، وظهور مدعي النبوة والتعصب المذهبي، وكثرة الطوائف والفرق(٣).

وعلى الجانب الآخر فقد حكمت الدولة المغولية الهند من عام (٩٣٣- ١٢٧٢هـ) (١٥٢٦- ١٨٥٦) (٤). ثم جاء دور الاستعمار الانجليزي من عام (١٢٧٣هـ) (١٨٥٧- ١٩٤٧) م، وخلال هذه الفترة، جاهد المسلمون من أهل الهند، وحدثت حوادث جمة متعلقة بهذا الأمر، ووجد المسلم الهندي نفسه وجهاً لوجه أمام تحديات التنصير والتغريب(٥).

---

١ لوثروب ستودارد (حاضر العالم الإسلامي)، تعريب عجاج نويهض دار الفكر ط٢ ١٩٧٣، ج١ ص ٢٥٩-٢٩٠ وانظر الكوثري، (المقالات) ص١٦٦

٢ الندوي، (الإمام ولي الله الدهلوي)، ص ٢٩.

٣ الأحمد، علي، (صديق حسن خان) ص٣٠، مكتبة الرشد، ط١ ٢٠٠٣

٤ المرجع السابق، ص٣٠.

٥ المرجع السابق، ص٣٠.

برز خلال هذه الفترة علماء كثيرون في الهند، وأكثرهم ينتسبون إلى مدرسة الإمام ولي الله الدهلوي (ت١١٧٩)، والذين كانوا على اتصال مع علماء الحرمين وغيرهم، والذي كان له أكبر الأثر في توطيد أركان علم الحديث عامة. ووجدت مدارس شرعية كثيرة في هذه الفترة كان هدفها نشر العلم الشرعي الصحيح المستند إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل مدرسة دار العلوم، وديوبند، ومدرسة مظاهر العلوم، ومدرسة صديق حسن خان... وغيرها من المدارس.

وبالرغم من كثرة الاضطرابات الداخلية في البلاد الإسلامية بعامة، فقد كان العلماء في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن وإيران والهند منصرفين إلى التدريس والافادة، ومقبلين على التأليف والتصنيف، ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم دور بارز في الحياة العلمية، أبو الحسن السندي الكبير (ت ١١٣٨)، والشيخ محمد حياة السندي (ت ١١٦٣)، والشيخ إسماعيل العجلوني (١١٦٢)، والشيخ محمد بن أحمد السفاريني (ت١١٨٨)، ومحمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني (١١٤٢)، والشيخ محمد سعيد السنبل (١١٧٥)، والشيخ عبد الغني النابلسي (١١٤٣) [1].

وفي علم الحديث خاصة حيث كانت الريادة فيه لأهل الهند وعلمائها، وكانت هناك غفوة كبيرة بل رقاد طويل في الشرق الإسلامي بكامله، الا أفراداً معدودين من أهل العلم في الشرق الإسلامي، قال رشيد رضا رحمه الله. ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر، لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة، حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر [2].

ويتضح جليا أن لعلم الحديث دورا كبيرا جداً، تشهد به كل فترات التاريخ الإسلامي، ويتمثل دوره في نشر الهدي النبوي الصحيح، وإحياء السنن، وإماتة البدع. وفي العصور التي خفت فيها ضوء هذا العلم رأينا الطامات الكبرى تغزو المجتمع الإسلامي، وعلى لسان الكبار من أهل العلم في ذلك الوقت، فمثلاً عند استعراض الحياة الإسلامية في الهند في القرن العاشر الهجري، نجد أن كتاباً اسمه (جواهر خمسة) للشيخ محمد غوث الكواليارى، قد انتشر انتشاراً عظيماً، ولقي قبولاً كبيراً عند الناس، ومع ذلك يتحدث الكتاب عن عادات مبتدعة، وأخلاق مخترعة ما أنزل الله بها من سلطان، وما ذلك الا لغياب الحديث وعلماءه في تلك الفترة [1]، بينما نجد إماماً كعلي القاري مثلاً الذي سافر إلى الحجاز، وقرأ على كبار أساتذتها ومحدثيها، ينافح عن السنة الصحيحة، ويدافع عنها، وينشر هديها، لأنه تشبع من هذا العلم النافع المبارك.

المطلب الأول
المصنفات الموضوعية في هذه المرحلة

ومع كل هذا الضعف في شتى العلوم والمعارف فقد ظهرت مصنفات موضوعية متنوعة ؛ففي الفضائل والترغيب والترهيب: أربعون حديثاً في فضل القرآن المبين، ورفع الجناح، وخفض الجناح بأربعين حديثاً في النكاح، ومعرفة النساك في معرفة السواك كلها لعلي القري الهروي (ت١٠١٤). وبلوغ المرام ببيان ما تنفر منه الملائكة الكرام، لمحمد بن جعفر الكتاني (ت١٣٤٥). وتحفة أهل الإيمان عن الكذب والظن والبهتان لمحمد بن حسين بن محسن الانصاري (ت١٣٤٤). والكبائر لمحمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٤) والجنة في وصف الجنة، لمحمد بن يوسف أطفيش (ت١٣٣٢). والكواكب الدرية فيما ورد في إنزال القرآن على سبعة أحرف من الأحاديث النبوية، لمحمد الشهير بالحداد بن علي بن خلف الحسيني المالكي الازهري، والارشاد في فضل الجهاد، لحسن إبراهيم الشافعي البيطار (١٢٧٢)، والعبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، لصديق حسن خان، (ت١٣٠٧). وتحفة الذاكرين، بعدة الحصن الحصين للشوكاني (ت١٢٥٠)، وحسن النبا في فضل مسجد قبا، لمحمد بن علي بن محمد بن علان الصديقي (ت١٠٥٧)، وفضائل الشهور والأيام، لعبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣)، وما ثبت في السنة في أيام السنة، لعبد الحق بن سيف الدين الدهلوي (ت١٠٥٢)، ورسالة في مكفرات الذنوب لمحمد الطيب بن عبد المجيد بن

---

١ الندوي، (الإمام الدهلوي)، ص٣٧.

٢ رشيد رضا، (مقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة) للأستاذ [illegible]

---

١ الندوي، (الإمام ولي الله الدهلوي)، ص٣٩، دار القلم، ط١، ١٩٨٥،

كيران الفاسي (ت١٢٢٧)، وشفاء الاسقام والالام مما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والاثام، لمحمد بن جعفر الكتاني الفاسي (ت ١٣٤٥)، ورسالة في التهنئة والتعزية والأصلاح بين الناس، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢). واللمعة في فضائل الجمعة، لمحمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨). والدر المنظم في فضل شهر الله المحرم، وتحفة النساك في فضل السواك، والدر المنثور في فضل يوم عاشورا ومنتخب الزهد للإمام أحمد، كلها له.

وفي الفتن: يلاحظ أنه قد كثرت المصنفات فيما يتعلق بالفتن في الهند خاصة بسبب ظهور حركة القاديانية التي ادعى صاحبها النبوة، فكانت هناك حركة علمية قوية للتصدي لهذه الأفكار الهدامة المضللة، فأتت عدة كتب بشأن نزول المسيح، وأشراط الساعة، والمسيح الدجال.. كرد علمي عملي على هذه الفرقة المنحرفة[1].

ومن المصنفات أحاديث في الفتن والحوادث، لمحمد بن عبد الوهاب النجدي (ت١٢٠٤)، والاذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة لصديق حسن خان (ت١٣٠٧)، والاشاعة لأشراط الساعة، لمحمد بن رسول الحسيني البرزنجي (ت ١١٠٣)، والاعلان لما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم - في أحوال الزمان، لمحمد الزمزي بن محمد الصديق الغماري (ت ١٣٥٠)، والتصريح بما تواتر من نزول المسيح، لمحمد أنور رشاه الكشميري (ت١٣٥٢). ومن علامات القيامة الكبرى – المسيح الدجال- لمحمد أحمد السفاريني (ت١١٨٨)، وعلامات قيام الساعة الكبرى، ليوسف بن إسماعيل النبهاني (ت١٣٥٠).

وفي مسائل فقهية وعقدية: ألف الإمام اللكنوي (ت١٣٠٤) عدة مصنفات منها، إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام، والتحقيق العجيب في التثويب، وسباحة الفكر في الجهر بالذكر وغيرها، وصنفت مصنفات أخرى في مسائل فقهية فرعية منها فتح الغفور في وضع الايدي على الصدور، لمحمد حياة السندي، والاستدعاء في الاستسقاء لعلي القاري الهروي (ت١٠١٤)، وهدي النبي -صلى الله عليه وسلم - في الحج والعمرة، لمحمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦). وحسن الاسوة

١ انظر: الكشميري، (التصريح بما تواتر في نزول المسيح)، مقدمة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص٧ و ٣٠.

بما ثبت من الله ورسوله في النسوة لصديق حسن خان (١٣٠٧)، والآيات البينات في عدم سماع الاموات عند الحنفية السادات، لنعمان بن محمد الالوسي (ت١٣١٧)، والصافي عن الكدر فيما جاء عن سيد البشر في القضاء والقدر، لمحمد بن رسول البرزنجي (ت١١٠٣)، ومسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم - لابن عبد الوهاب.

المطلب الثاني

مناهج التصنيف في هذه المرحلة

كان للامام الدهلوي رحمه الله جهود كبيرة في خدمة الحديث الشريف، تركزت على فهمه والاستنباط منه، قال رحمه الله: إن أدق الفنون الحديثية بأسرها عندي وأعمقها محتدا وأرفعها مناراً وأولى العلوم الشرعية عن آخرها فيما أرى، وأعلاها منزلة وأعظمها مقداراً، هو علم أسرار الدين الباحث عن حكم الأحكام، وأسرار خواص الأعمال ونكاتها، إذ به يصير الإنسان على بصيرة فيما جاء به الشرع[1]. فهذا الكلام من الإمام رحمه الله، يفيد أن من أعلى مراتب العلوم الحديثية استكشاف المنهج النبوي الصحيح في الأحكام والمسائل المختلفة، كاشفاً أسرار الأحكام وخواصها، وتقديم الحديث للناس في قالب ممتع مقنع مما كان له أثر كبير فيمن بعده.

ومن علماء الهند المعروفين في هذه الفترة الإمام عبد الحي اللكنوي المتوفى سنة ١٣٠٤هـ الذي عاش تسعاً وثلاثين سنة وألف أكثر من خمسة عشر ومائة كتاب ورسالة[2]، ومن كتبه: إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام، وتحفة الاخيار في إحياء سنة سيد الابرار، وتحفة النبلاء في جماعة النساء، وسباحة الفكر في الجهر بالذكر، وزجر الشباب والشيبة عن ارتكاب الغيبة، ورفع الستر عن كيفية إدخال الميت وتوجيهه إلى القبلة في القبر وغيرها[3]. ويلاحظ على مصنفات الإمام اللكنوي أنها تميل نحو تحقيق مسائل فقهية على طريقة المحدثين حيث يذكر الأحاديث والآثار في

١ الدهلوي، أحمدعبد الرحيم (حجة الله البالغة)، ص ٣، دار التراث القاهرة ١٣٥٥هجرية

٢ الندوي، (الإمام عبد الحي اللكنوي)، ص ٥.

٣ المرجع السابق، مبحث مؤلفات الإمام الكلنوي، ص ١٩.

المسألة مع بيان حالها من الصحة والضعف، ويذكر آراء الفقهاء واختلافهم مع الدليل ومناقشة هذه الأدلة وتقرير ما يراه راجحاً.

ففي كتابه تحفة النبلاء في جماعة النساء مثلاً، نجده في المرصد الأول ذكر الأخبار والآثار الواردة في مشروعية جماعة النساء وحْدهن في الفرائض والنوافل، وكيفية إقامتهن في حالة إمامتهن لهن، وفي المرصد الثاني، ذكر اختلاف العلماء في هذه المسألة، وأعقبها بمناقشة آراء العلماء وأدلتهم(١)، ومن مصنفاته إقامة الحجة على أن الاكثار من التعبد ليس بدعة، التي كان من أهم مقاصدها الاجابة عن حديث المنع والاكثار من التعبد، حيث أجاب عن هذا الحديث وذكر أفعال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وجماعة من الذين اجتهدوا في العبادة، وخلص إلى أن الاكثار من التعبد ليس بمنهي عنه في الشرع، بل هو أمر مرغوب به ولكن بشروط(٢).

ومن علماء الحديث في الهند أيضاً، العالم الأمير صديق حسن خان – رحمه الله- المولود عام (١٢٤٨)، والمتوفى سنة (١٣٠٧هـ). وقد ألف – رحمه الله – عدة مؤلفات منها الاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، وأربعون حديثاً في فضائل الحج والعمرة، وحسن الاسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، والعبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، ونزل الابرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار.

ومن نماذج جهود علماء الشرق الإسلامي في التصنيف الموضوعي: كتاب نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار(٣) للسفاريني أبي العون محمد بن احمد السفاريني (ت١١٨٨)، وهو وإن كان في شرح حديث واحد الا أنه لما توسع في شرحه، وبين كل فقرة من فقراته، وأتى بالأدلة الحديثية على شرح كل فقرة من فقراته من الأحاديث النبوية في الموضوع مع شرح للغريب، وبيان للفوائد، وبتوسع أحياناً. واستعان بالنقولات عن العلماء الربانيين في كلامهم على منازل الاستغفار، وسلك في شرحه طريقة الشرح الممزوج بالمتن، وقدم للحديث بمقدمة فيها تخريج الحديث،

---

١ المرجع السابق، ص ٢١٣.

٢ الندوي، (الإمام عبد الحي اللكنوي)، ص ٢٠٣، دار القلم، ط١– ١٩٩٥،

٣ السفاريني، (نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار)، عناية [illegible] سليمان، دار الصميعي، ط١، ١٩٩٦، الرياض.

وتراجم رواته وبهذا فقد تحول شرح الحديث الواحد إلى موضوع متكامل في مسألة الاستغفار والافتقار إلى الله عز وجل. فهذا نموذج من الحديث الموضوعي، وكل من سار على نهجه في شرح الحديث بهذه الطريقة فهو من الحديث الموضوعي.

ومن مصنفات هذه الفترة كتاب القول المعروف في أحاديث فضل المعروف، للإمام مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣)، وقد صنف الكرمي أكثر من (٨٠) مصنفاً يغلب عليها الطابع الاجتماعي عموماً كما أن له عدة مؤلفات في مسائل عيسى عليه السلام، والمهدي المنتظر، وغيرها من المصنفات ذات الطابع الاجتماعي عموما(١). وقد ذكَّر المصنف بفضائل صنع المعروف، وحث على اصطناعه كمحاولة منه – رحمه الله- لمعالجة آفة أو وضع للأمور في مكانها الصحيح، وأن فاعل الخير يجب أن يفعله لله، ولا ينتظر مكافأة أو جائزة على فعله، وقد جمع في كتابه هذا أربعين حديثاً في فضل المعروف، بعضها من كتب الصحاح أو السنة، وأغلبها من الكتب المتأخرة كحلية الأولياء، ومسند الشهاب للقضاعي، وتاريخ بغداد، ومكارم الأخلاق للخرائطي، وابن أبي الدنيا، والطبراني، وأبو يعلي البزار. ويلاحظ أيضاً أن أغلب هذه الأحاديث من الضعيف، وبعضه موضوع كما ذكر العلماء(٢)، ويظهر أن الشيخ مرعي الكرمي قد استفاد من الجامع الصغير للسيوطي في جمعه لهذه الأحاديث، لأن المحقق قد عزا كثيرا من أحاديثه- بالإضافة إلى مراجعها الأصلية- إلى الجامع الصغير للسيوطي.

---

١ الكرمي، (القول المعروف في أحاديث فضل المعروف) مقدمة التحقيق للطفي الصغير، ص (١٥–٢٦) ط١، منشورات جمعية الحديث الشريف، ١٩٩٥م.

٢ الكرمي، مرعي بن يوسف، (القول المعروف في أحاديث فضل المعروف)، حاشية ص ٣٥.

الفصل الثاني

جهود المعاصرين في الحديث الموضوعي

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: أنواع التصنيف الموضوعي وأهميته ودواعيه وسلبياته وإيجابياته.

المبحث الثاني: مصنفات معاصرة مهمة ونافعة للباحثين في الحديث الموضوعي.

المبحث الثالث: نقد التصنيف في الحديث الموضوعيبعض الرسائل الجامعية أنموذجا.

المبحث الرابع: جهود المعاصرين في تقسيم موضوعات الحديث الشريف.

المبحث الخامس: الحاسب الآلي في خدمة الحديث الموضوعي.

تمهيد

يبدأ تاريخ المعاصرة فيما يتعلق بعلم الحديث مع بداية القرن العشرين الميلادي، وبالأخص الربع الأول منه. وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض الباحثين في تاريخ المعاصرة عند المحدثين في الزمن الحالي فقال والراجح عندي هو تحديد بداية التاريخ المعاصر مع بداية الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري حتى يومنا هذا (١٣٢٥-١٤٢٥هـ)، حيث يقابله أوائل القرن العشرين الميلادي إلى بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي (١٩٠٧-٢٠٠٤)، لأنه بدأ تبلورالاتجاهات المعاصرة في هذا الزمن، أي آخرمئة سنة تقريباً من انهيار الخلافة العثمانية الإسلامية[1].

وهذ رأي وجيه في اعتبار فترة سقوط الخلافة العثمانية، وما يقاربها، هي بداية التاريخ المعاصر لعلم الحديث الشريف لعوامل مختلفة منها:

١- بداية ظهور الجامعات في العالم الإسلامي، كجامعة دار العلوم في القاهرة وغيرها، وانفصالها عن الازهر الشريف، وجامعات أخرى في العالم الإسلامي وأثرها فيما بعدها.

٢- بداية التواصل القوي والتأثر بأفكار العالم الغربي عن طريق ثورة الاتصالات.

٣- بداية ثورة الاتصالات وانتشار المطابع في العالم العربي.

٤- بداية ظهور أنواع دراسات حديثه مختلفة عما كان العهد عليه في السابق.

٥- بداية نهوض واضح لعلم الحديث تعمق فيما بعد ولم يصل إلى نهايته.

٦- بداية مراحل سياسية جديدة مختلفة في العالم العربي والإسلامي.

وإن كان هذا الرأي له من الوجاهة ما قدمنا، فقد وجدت آراء أخرى متقاربة في تحديد المعاصرة، منها رأي خلدون الأحدب[2]، حيث اعتبر المعاصرة عنده تبدأ من

---

١ عبد الرزاق أسود، (الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة)، ص ١٤. وانظر أبو صعيليك، محمد عبدالله (جهود المعاصرين في خدمة السنة) ص١١ وقد جعل القرن الرابع عشر الهجري أو العشرين الميلادي بداية المعاصرة

٢ الأحدب، خلدون، (التصنيف [illegible]

(١٣٥١هـ). إلى وقتنا الحالي، وعلل ذلك بقوله: وكان سبب توجهي في هذا العمل إلى هذه الفترة الزمنية المعاصرة (١٣٥١-١٤٢٥هـ)، بعينها دون غيرها يعود إلى كون السنة المطهرة وعلومها مرت تاريخياً بمراحل وأدوار مختلفة يمثل الدور الأخير منها **دور اليقظة والانبعاث والنهضة والتجديد**، وهذا الدور وإن كان قد ابتدأ مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري تقريباً، وظهر الكثير من ملامحه، وقسماته على أيدي العلماء المجددين المصلحين من أمثال العظيم أبادي، (١٢٧٣ - ١٣٢٩هـ)، ومحمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢)، وطاهر الجزائري. (١٢١٨ - ١٣٣٨هـ)، ومحمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤)، رحمهم الله تعالى وغيرهم، بيد أن مرحلة النضج والاكتمال والسعة والتميز، إنما كانت مع بدايات المنتصف الثاني للقرن الرابع عشر الهجري، وإلى وقتنا الحاضر كما يعلمه كل مؤرخ ناقد. ورأى بعض الباحثين المعاصرين أن النهوض والانبعاث الحقيقي للسنة كان بعد هذا التاريخ بقليل حيث قال: وكان للسنة نهضة قوية بدءاً من الربع الأخير في القرن الرابع عشر الهجري وما بعده أي منتصف القرن العشرين الميلادي وإلى يومنا هذا(١).

ومن حيث التطبيق على دراستي فإني اتبنى هذا الرأي لأنه أكثر انسجاما فيما يتعلق بالحديث الموضوعي.

أما أبرز مظاهر القوة والانبعاث للسنة في العصر الحاضر بإيجاز فهي كما يلي:

١. تصنيف الكتب الجديدة والعناية بالقديمة.
٢. التكنولوجيا الحديثة ودخول السنة بها.
٣. معاهد للبحث في السنة النبوية وعلومها.
٤. دراسات وأطروحات في المعاهد والكليات تناولت السنة من جوانبها الكثيرة.
٥. دخول السنة مواقع الانترنت.

١ . فاروق حمادة، بحث بعنوان: (قضايا في طريق دراسات الحديث والسنة)، مقدم لندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، كلية الدراسات الإسلامية العربية- دبي، ص (٩٢، ١).

أما من حيث الجهود المبذولة في الحديث الموضوعي بصورته الحديثة، والتي تختلف نوعا ما عن جهود السابقين، فقد بدأت بالظهور مع وجود أقسام مختصة بالحديث الشريف في الجامعات الإسلامية، مثل جامعةالأزهر الشريف، ودار العلوم وجامعة أم القرى، والجامعة الإسلامية، والجامعة الأردنية، وغيرها من الجامعات. وكان ذلك تقريباً في فترة الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، واتضح بشكل أبرز في بدايات القرن الخامس عشر الهجري، وما زالت هذه الدراسات إلى تقدُم وتطور ووضوح في المنهج.

المبحث الأول
أنواع التصنيف الموضوعي وأهميته ودواعيه وسلبياته وإيجابياته عند المعاصرين

المطلب الأول
أنواع ودواعي التصنيف الموضوعي وآدابه

يمكن تقسيم الجهود المعاصرة التي بذلها المعاصرون إلى أقسام ونواح متعددة، فمن حيث الموضوعات فقد تناول المعاصرون كل جوانب المعرفة الإنسانية، التي ورد بشأنها أحاديث معينة، ولم يقتصروا على جانب دون آخر. فالعقائد والمنهيات والكبائر، وأهمية السنة النبوية وكونها مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، والالتزام بالسنة ونبذ البدع، والعبادات، والمعاملات والجنايات والحدود، والزواج والطلاق وآثارهما والأسرة والطفولة، والتاريخ والحضارة، والجهاد والسير، والأحكام السلطانية، والفتن وأشراط الساعة، والفضائل والمناقب، والعلوم المعاصرة وخاصة التربوية منها، وموضوع الإعجاز العلمي في السنة النبوية، وموضوع الدراسات المعرفية والحضارية في السنة النبوية، وهي المتعلقة بالجوانب الإنسانية على وجه الخصوص، وأبرزها التربية والتعليم، والصحة والاقتصاد، وكذلك دراسات الجانب الحضاري كلها موضوعات عالجها المعاصرون.

ومن حيث أهداف الدراسات: فقد تنوعت جهودهم، فبعضها ترتيب وجمع، مثل كتاب أحاديث الصيام كما روتها كتب الصحاح وأمهات المسانيد والمعاجم للسنة الشريفة، وأخرى وصف للحال النبوي في موضوع ما مثل دراسة بعنواناللباس في عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم - مستمدة من مصادر الحديث الشريف، والبعض تخريج وانتخاب لأحاديث، ودراسات هدفها التحليل واستكشاف المنهج النبوي ومعالجة مشكلات الواقع.

ومن حيث منهجها، فقد تنوعت واختلفت فبعضها في ضوء السنة، أو في مصادر محددة، أوفي جميع المصادر، أوطرق الحديث الواحد بما يشكل رواية متكاملة عن صحابي واحد مع شواهد هذا الحديث من مثل دراسة للشيخ الألباني رحمه الله بعنوان قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله اياه على سياق رواية أبي أمامة - رضي الله عنه - مضافا إليها ما صح عن غيره من الصحابة، وبعضها جمع أحاديث موضوع واحد على سبيل الاستقصاء مثل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلمللألباني رحمه الله.

ومن حيث مستوى الباحث العلمي: تنوعت الدراسات حسب قدرة الباحث ومستواه العلمي، ويصنف الباحثون حسب المستوى العلمي لهم إلى ثلاثة مراتب هم المبتدىءوالمتقدم والمحترف ويغلب على طلبة الماجستير ومن في مستواهم من الباحثين مرتبة المبتدىء وعلى طلبة الدكتوراة ومن في مستواهم مرتبة المتقدم وعلى الاساتذة في الحديث ومن في مستواهم مرتبة المحترف، وكل واحدة من المراتب لها أهميتها وخصائصها ودورها الذي يناسبها من الدراسات، وقد تكون الدراسات العلمية المقدمة دراسات مستقلة، أو أبحاث محكمة للمؤتمرات والمجلات العلمية، أو رسائل جامعية في مرحلتي الماجستير والدكتوراة. ومن حيث الفئة المستهدفة من الدراسة؛ فبعضها موجه للمختصين في الحديث، وأخرى للمختصين في العلوم الأخرى، أو للمثقفين، أو للعامة، ويراعى في كل فئة الأسلوب المناسب لها.

أما دواعي التصنيف فقد قال النووي رحمه الله: ينبغي أن يعتني بالتصنيف إذا تأهل له، فبه يطلع على حقائق العلم ودقائقه ويثبت معه، لأنه يضطره إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة، والاطلاع على مختلف كلام الائمة ومتفقِهِ، وواضحه من مشكله، وصحيحه من ضعيفه، وجزله من ركيكه، وما لا اعتراض عليه من غيره، وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد.

وليحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف مالم يتأهل له، فإن ذلك يضره في دينه وعلمه وعرضه، وليحذر أيضاً من إخراج تصنيفه من يده إلا بعد تهذيبه وترداد نظره فيه وتكريره، وليحرص على إيضاح العبارة وإيجازها، فلا يوضح إيضاحا ينتهي إلى الركاكة، ولا يوجز إيجازاً يفضي إلى المحق والاستغلاق، وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر، والمراد بهذا أن يكون هناك مصنّف يغني عن تصنيفه في جميع أساليبه، فإن أغنى عن بعضها، فليصنف من جنسه ما يزيد زيادات يحتفل بها،

مع ضم ما فاته من الأساليب، وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع بـه، ويكثـر الاحتيـاج إليه(١).

فإذا كان هذا أدب التصنيف عموماً في مجالات الشريعة والحيـاة، فـإن المـصنف في السنة ينبغي أن يكون أكثر احتياطا في تـصنيفه. وقـد كـان للتـصنيف في الـسنة عنـد المعاصرين اتجاهات مختلفة وطرق متنوعة تتلخص في الدواعي الآتية(٢) :

أولاً: التأكيد على مكانة السنة النبوية وإثبات حجيتها ودفع الشبه عنها.

ثانياً: الاهتمام بالدراسات النقدية التي تتناول السنة النبوية، تاريخاً وعلوماً، ومناهج ومصنفين.

ثالثاً: التيسير والتقريب للسنة النبوية وعلومها، عرضاً واختصاراً، وجمعـاً وترتيبـاً، وفهرسة.

رابعاً: تخريج الأحاديث النبوية، ونقدها وتمييزها، والتقعيد لعلم التخريج.

خامساً: بيان معالم وضوابط التعامل مع السنة النبوية فهماً وتنزيلاً.

سادساً: ربط المعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية بالـسنة النبويـة، والتأكيـد عـلى دورها في إعادة بناء الحضارة الإسلامية.

سابعاً: إبراز دور السنة النبوية في معالجة مشكلات الأمة.

ثامناً: العناية بالشرح الموضوعي للحديث النبوي.

فالثلاثة الأخيرة هي التي يتناولها الحديث الموضوعي، وكـل الـدواعي الأولى لا بـد منها للوصول إلى الثلاثة الأخيرة.

المطلب الثاني

أهمية التصنيف والدراسات الموضوعية للأحاديث عند المعاصرين

إن التصنيف الموضوعي أهم أشكال التصنيف، لأن الموضوع المتفـرق في الزوايـا والخبايا، لا يشكل مفهوماً متكاملاً، بل ينتج قلقاً فكرياً ومنهجياً في كثير من الأحيان،

١ النووي، (المجموع) ج١ص٦١١ دار الكتب العلمية بيروت تحقيق عادل أحمد وآخرون ط١ ٢٠٠٢

٢ الأحدب، (التصنيف في السنة)، ج١، ص ٢٩.

والباحثون وطلاب العلم يهمهم في كل علم موضوعاته بالدرجة الأولى، ويريدون أن يصلوا إلى حصر الموضوع في القضية التي يبحثون عنها، ثم إن القيام بالتصنيف اعتماداً على العناوين والمفاهيم التصنيفية الموجودة في الكتب لا يفـي بحاجـات العـصر، ولا ينقلنا نقلة موسوعية متميزة، بل يبقينا في حدود الماضي، متخلفين عن ركـب المنـاهج الحديثة في الموسوعات، وتبقى الفجوة بين الحـاضر والمـاضي، وسـتكون أوسـع بـين المستقبل والماضي، وهذا يؤدي إلى خلل في عـرض الإسـلام والـدعوة إليـه، ويـؤخر التفات العالم إلى الإسلام، تماماً كالذي يعتمد على سراج كي يكشف عن البـضاعة في صالة العرض الواسعة، ولم يطور وسائل الإضاءة كما فعل الناس مـن حولـه، الـذين استخدموا الكشافات الضوئية التي تشد الأنظار وتخطف الأبصار(١).

إن مما دفع المعاصرين للكتابة في هذا النوع من التـصنيف -الحـديث الموضـوعي- ضمن كتابات معاصرة، وأنواع جديدة من المعرفـة، لم يكـن للـسابقين معرفـة بهـا الا ظاهراً هو هذا السيل الجارف من النظريات التربوية والتعليمية والنفسية الوافدة مـن الغرب وغيره، وذلك لإظهار أن حضارتنا الإسلامية القائمـة عـلى القـرآن الكـريم والسنة النبوية فيها ما يغني عن هذه النظريات الوافدة؛ فمن أجل ذلك هب الغيورون من أبناء هذه الأمة المسلمة لنصرة دينهم ومبادئهم، وإظهار رقي هذا الدين وتقدمـه، وسبقه للجميع، وفي جميع المجالات.

ويا ليت أن المسلمين قد أسسوا هذه العلـوم تأسيـساً ذاتيـاً دون النظـر المـسبق إلى أبحاث الأمم الأخرى، ثم محاكاتهم فيما ذهبوا إليه، ولعل هـذا المـنهج يكـون مقدمـة لمناهج لاحقه تؤسس للعلوم الكونية جميعاً انطلاقاً من هدي المصطفى صلى الله عليـه وسلم.

والملاحظ في عصرنا كثرة التركيز على أبحاث الحـديث الموضـوعي نـسبيا، فمـثلاً حسب إحصاء قام به د. عبد الرزاق أسـود في كتابـه الاتجاهـات المعـاصرة في دراسـة السنة(٢)، وجد أن عدد الأبحاث في هذا الجانب في مصر والشام أكثر من ثمانين بحثـاً

١ همام سعيد، بحث بعنوان: (بناء المكانز الموضوعية في الحديث)، مطبوع ضمن أبحاث نـدوة الـسنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة، ص١٠١ بتصرف يسير.

٢ الاتجاهات المعاصرة ص ١٣١.

من أصل ٦٣٨، مما يقارب عشر الأبحاث، وهذا يدل على قوة الاتجاه نحو الكتابة في الحديث الموضوعي عند المعاصرين لما له من أهمية بالغة في الكشف عن محاسن هذا الدين وقوته، ودوره في حياة الناس. وقد استنتج هذا الباحث في دراسته حول الأبحاث المحكمة المختصة بالسنة النبوية أن هناك كثرة في أبحاث الحديث الموضوعي بالمقارنة مع غيرها من الموضوعات التي تتميز باستقصاء كافة الأحاديث الواردة في موضوع معين، مما يعطينا فكرة متكاملة عن الموضوع المدروس(١).

المطلب الثالث

سلبيات التصنيف المعاصر وإيجابياته في الحديث الموضوعي

إن الذي يتتبع مصنفات المعاصرين في الحديث وعلومه عموماً وفي الحديث الموضوعي خصوصاً يجد بعض الثغرات في التصنيف، أهمها: أنها لا تفي بالمطلوب، ولا تسد النقص الموجود في المكتبة الحديثة، والتكرار الذي اشتكى منه الكثير، واختلاف مناهج علماء الحديث في التصنيف والتبويب، وارتباط التصنيف والتبويب بالمذاهب الفقهية، والتداخل بين العناوين، وصعوبة بعض العناوين وعدم وضوحها إلا للمختص في الشريعة، وعدم مطابقة العنوان للمضمون، وقلة وجود تصانيف خارج دائرة التصانيف القديمة رغم أن العلوم الإسلامية كانت في تطور وازدياد وتفريع، هذا بالإضافة إلى الضعف العلمي والمنهجي الواضح لبعض الدراسات، والتركيز على أنواع من الدراسات وإغفال الأخرى(٢)، بالإضافة إلى عدم مواكبة التطورات العلمية المختلفة، وقلة وجود المختصين في العلوم الإنسانية مع علم الحديث، وغياب التنسيق، وغياب العمل المؤسسي وغياب الرقابة العلمية وعدم تأهل البعض للدراسة، وقلة طرق الموضوعات الجوهرية، وارتباط الدراسات العلمية بالسياسة

---

١ المرجع السابق ص ١١٢.

٢ انظر: همام سعيد، بحث بعنوان: (بناء المكانز الموضوعية)، مطبوع ضمن أبحاث ندوة السنة النبوية ومنهجها، ص ١٠٢،وانظر أيضاً عبد الرزاق أسود في كتابه الاتجاهات المعاصرة، ص ٦٨، وص ١١٢.

إن التصنيف المعاصر بحاجة إلى إيصال فكر المختصين إلى العامة لتصبح ثقافة عامة للأمة، فإن أكثر أفكار المختصين وكلامهم لا يعرض ليصبح ثقافة عامة للأمة يسر عليهم الإدراك، وييسر عليهم الاتباع والاقتداء من بعد الإدراك والفهم، فينبغي أن نعمل على تقريب الأفكار للأمة، لإزالة الأمية الدينية، وأن نشرح السنة شرحاً ميسراً تعقله العامة حتى يتحقق الاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم(١).

ورغم وجود هذه السلبيات في التصنيف عند المعاصرين، إلا أنه كانت هناك إضافات متنوعة لهم تتمثل في توخي الابتكار في الأسلوب، والاستقلال في الفهم، والإفصاح عن المعاني بصورة محكمة، ومتانة الأسس ووضوح المعالم، وعدم الرضوخ لفكرة ما ترك الأول للآخر شيئا، وفتح باب الاجتهاد، وفتح أبواب من المعرفة ما سمع بها السابقون، وغير ذلك كثير.

وبرزت مظاهر تميز أخرى عند المعاصرين أسهمت في تقدم الدراسات الموضوعية للحديث من مثل المؤتمرات والندوات العلمية التي تخصصت في طرح موضوعات معاصرة ودراستها دراسة علمية على طريقة الحديث الموضوعي، كما ظهرت المراكز المختصة في الحديث مثل مركز أبحاث السنة والسيرة في قطر، وانتشرت الدراسات العلمية العميقة، والدراسات المشتركة بين المختصين في الحديث وغيرهم من المختصين بالعلوم الإنسانية الأخرى.

ومن هذه الندوات والمؤتمرات ندوة علمية نظمها المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، في عمان عام ١٩٨٩، وقد طبعت محتويات هذه الندوة في مجلدين عن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية سنة١٩٩١ بعنوان السنة النبوية، ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة. ومن الندوات المباركة في مجال السنة ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، ندوة علمية

---

١ فكرة مقتبسة من مداخلة للدكتور عصام الهشير ضمن ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر التي انعقدت في دبي سنة ٢٠٠٥م، ج٢، ص٧٤٢.

دولية ثانية. عقدت في رحاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. طبعته كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي- ط١، ٢٠٠٥م. ومنها مؤتمر السنة الذي عقدته كلية الشريعة في جامعة اليرموك عام ٢٠٠٧م بعنوان السنة النبوية في الدراسات المعاصرة وكانت أكثر أبحاثه في الحديث الموضوعي. ومنها الندوة العلمية الدولية الثالثة التي عقدت في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي عام ٢٠٠٧ بعنوان القيم الحضارية في السنة النبوية وتضمنت أبحاثا علمية رائدة في هذا المجال.

إن البحث والتأليف في العلوم الإسلامية عامة، خلال القرن العشرين يحتاج إلى دراسة تقويمية ونقدية شاملة، تجيب عن أسئلة عدة: ما مدى اهتمام هذه البحوث والدراسات بالمشكلات التي تواجه المجتمعات الإسلامية؟وما هي الجوانب التي ركزت عليها، وما هي الجوانب التي أغفلتها؟ ما هي الجوانب التي أشبعتها، وما هي الجوانب التي لا تزال بحاجة إلى بحث؟ وما هي مكانتها العلمية بين أنماط الدراسات المماثلة أو المقابلة عالمياً؟ هل هي مواكبة في المستوى للحركة الفكرية العالمية؟ وما مدى التزامها بالمنهج العلمي في الأسلوب والتوثيق؟ وما نسبة التكرار فيها(١).

وفي مجال الحديث الموضوعي، فبالإضافة إلى ما سبق فلا بد أن يحقق التصنيف الموضوعي أهدافاً منها: الإحاطة ما أمكن بالعناوين ذات الصلة بالحديث الموضوعي، وتجنب التكرار في العناوين والموضوعات التي أعطيت حقها من البحث، والتمييز بين العناوين، حتى لا تتداخل وتتقاطع، وسهولة الكشف عن مظان الحديث وسرعة الاتصال بين الباحث والموضوع، وتوحيد المصطلحات والعناوين وتعميمها لتكون منضبطة عند أكثر الباحثين، وإدخال عناوين جديدة تناسب عقيدتنا وفكرنا مستمدة من المعارف الإنسانية والعالمية، وإيجاد عناوين مبتكرة لفروع المعارف الإسلامية التي لم يتكامل بناؤها التصنيفي، كما هو الحال في بعض العلوم الغربية

١ العمري، أكرم، (التراث والمعاصرة)، ص ٨٥ [illegible]

كالتربية، والإعلام، والإدارة، والبيئة، والسكان، والتغذية(١)، هذا بالإضافة إلى ضرورة ربط الدراسات الحديثية الموضوعية بالدراسات الإحصائية الميدانية لمعالجة مشكلات واقعية تعيشها الأمة.

١ [illegible]

المبحث الثاني

مصنفات معاصرة مهمة لمن يتصدى للحديث الموضوعي.

من أهم العلوم علم أحوال المؤلفات، فإنه أول مرحلة من مراحل البحث لمن لم يتعود الاقتناع في العلم بما حضر، وأراد التعمق في العلم الذي يعانيه بكل ما أمكن، ومن لا يعلم ما ألف من الكتب في موضوع بحثه، يطول عليه أمد فحصه بدون أن يحصل منه على طائل(١). وقد كان أهل التحقيق يقولون: العلم معرفة المظان(٢).

ومن خلال مراجعتي الكتب والبحث فيها وجدت أن هناك بعض المصنفات المعاصرة النافعة لمن يريد أن يصنف في الحديث الموضوعي، وهذه الكتب إما كشافات للمصنفات عموماً، أو لنوع معين منها، أو للاتجاهات في التصنيف، أو لتصنيف الحديث تصنيفاً موضوعياً. لذا فإني أعرف تعريفاً مختصراً بهذه المصنفات لما لها من أثر واضح على طالب العلم الذي يريد التصنيف في الحديث الموضوعي، مرتباً إياها حسب سنة الطبع والظهور عموما، إلا إذا اقتضى المقام غير ذلك:

١ -مفتاح كنوز السنة- للمستشرق فنسنك، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي. وطبعته دار الحديث في القاهرة.

وهذا الكتاب كما وصفه السيد محمد رشيد رضا هو: معجم مفهرس عام تفصيلي للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة. وذلك بالدلالة على موضع كل حديث في صحيح البخاري، أو سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدرامي بيان رقم الباب، وفي صحيح مسلم، وموطأ مالك، ومسندي زيد بن علي وأبي داود، والطيالسي بيان رقم الحديث، وفي مسند أحمد بن حنبل، وطبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام، وسيرة ابن هشام، ومغازي الواقدي، بيان رقم الصفحات، مما يمكن الباحث الوقوف على الحديث المطلوب بغير عناء.

---

١ الكوثري، (المقالات)، ص ٥٤٢، المكتبة الازهرية مصر ١٩٩٤

٢ الأحدب، (المرجع السابق)، ص ٦.

موضوع هذا الكتاب هو دلالة القارئ على ما أودع في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير، والطبقات والمغازي، من الأحاديث والآثار والمناقب، فهو لا يدلك على مواضع الأحاديث التي تحفظها أو تحفظ أوائلها في تلك الكتب كمفتاح أحاديث الصحيحين. وإنما يدلك على ما ورد منها في كل موضوع بمراجعة أخص كلمة به تدل على أصل الموضوع، ثم ما يليها من فروع (١).

والكتاب بهذه الصورة له ميزة على غيره تتمثل بترتيب الكتاب على المعاني، والمسائل العلمية والأعلام التاريخية، وتقسيم كل معنى أو ترجمة إلى الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك، ثم ترتيب عناوين الكتاب على حروف المعجم، والاجتهاد في جمع ما يتعلق بكل مسألة من الأحاديث والآثار الواردة في هذه الكتب(٢)، مما يجعل قيمة الكتاب عالية، وخاصة في الحديث الموضوعي لأنه يؤسس العمود الفقري للموضوعات من خلال الفهرسة، ويبقى بعد ذلك جهد الباحث في نظم هذه الأحاديث لتشكيل المعنى المناسب لبحثه.

٢-معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تأليف صلاح الدين المنجد: -١٩٨. صدر عن دار الكتاب الجديد – بيروت- لبنان.

هذا الكتاب أراد مؤلفه أن يجعله معجماً خاصاً بالرسول صلى الله عليه وسلم، يرجع إليه لمعرفة التواليف التي ألفت عنه، أو تتعلق به، منذ بدأ التأليف في الإسلام. وقال المصنف فيه: اجتهدت أن يتضمن هذا المعجم جل المصادر والتواليف، قديمها وحديثها، ولم أقتصر على ما كان خاصاً بذاته الشريفة، مما ألف مفرداً عن قبيلته، ونسبه وآبائه، وأمهاته، وأعمامه، ومولده، ورضاعه، وختانه، ومبعثه، ودلائل نبوته، وسيرته، وحليته، وجوامع كلمه، وألفاظه وأفعاله، وأخلاقه، ومناقبه، وشمائله، وشجاعته، وما مدح به، وما أمرنا به من الصلاة عليه، وزيارته، والاقتداء به، والذب عن سنته، وغير ذلك.

---

١ رشيد رضا، (مقدمة مفتاح كنوز السنة)، صفحة ص

٢ انظر: أحمد شاكر، (مقدمة مفتاح كنوز السنة، [illegible]) ص

بل ذكرت أيضاً ما يتصل به وهو كثير كالعصر الذي نشأ فيه، والبلد الذي تشرف بمولده، والمدينة التي هاجر إليها، والدولة التي أسسها، والقرآن الكريم الذي أوحي إليه، والحديث النبوي الذي علم ووجه، وهدى به، والصحابة الكرام الذين ناصروه وأيدوه وصحبوه، وثم تابعوا نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله، والشريعة التي أتى بها، وغير ذلك. وقد رتبته حسب الموضوعات ليجد الباحث فيه بغيته بسرعة، ومن تأمل فيه بعين الإنصاف أدرك شموله وشأنه ونفاسته. وقسمت الكتاب اثني عشر قسماً، كل قسم يتفرع منه فروع حسب الموضوعات... (١)

وقد جعل المؤلف لكتابه فهارس منها للمؤلفين على ترتيب المعجم، ومنها للأقسام والفروع، ومن يطّلع على الفهرس والكتاب يدرك أن للكتاب أهمية عامة لجميع الباحثين، وخاصة لمن يصنف في الحديث الموضوعي حيث إن كثيراً من المصنفات هي من باب الحديث الموضوعي.

٣-كتاب السنة النبوية، ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة

وأصل الكتاب ندوة علمية نظمها المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، في عمان عام ١٩٨٩، وقد طبعت محتويات هذه الندوة في مجلدين عن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية سنة ١٩٩١.

وكان الهدف منها أن يكون بين يدي القارئ والباحث دراسات علمية متعمقة لفهم السنة النبوية، واستلهام منهجها في استئناف مسيرة الحضارة الإسلامية، وبناء معالم طريقها في التشريعات، والنظم الاجتماعية والاقتصادية، والأساليب العلمية، ومفاهيم الحياة وقضاياها بما يحقق غايات الإسلام، ويفتح للأمة آفاقاً حضارية نيرة.

وقد شارك في الندوة مئة وستة وعشرون عالماً من مختلف ديار الإسلام، ودارت على ثلاثة محاور: تضمن المحور الأول منها عرضاً لما تم عقده من مؤتمرات السنّة وندواتها، وتضمن المحور الثاني حصراً للجهود التي تبذل حالياً في جمع السنّة النبوية وخدمتها

١ المنجد، صلاح الدين، (معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) مقدمة المصنف. دار الكتاب الجديد بيروت لبنان– ١٩٨

في مجالات التأليف والتحقيق والشرح والتلخيص وما يتعلق بالجمع والفهرسة واستخدام الحاسوب في التصنيف، واشتمل المحور الثالث على تسعة بحوث ناقشها سبعة عشر عالماً، عالجت موضوع الندوة الرئيسي، فعرّفت بالسنّة، وبينت منهج الاحتجاج بها وضوابطه وطرقه وكيفية فهمها والتعامل معها قديماً وحديثاً، والشبهات التي أثيرت حولها، وتحدثت عن السنّة النبوية مصدراً للمعرفة و للتشريع وللتربية، وأبرزت وجودها في القانون الدولي، ووظيفتها في البناء الفكري والثقافي والحضاري للأمة(١).

وهذه الندوة المباركة من أعمق الندوات في موضوعها، وقد جمعت علماء كبارا من مختلف أنحاء العالم الإسلامي في التخصص، وطرحت موضوعات غاية في الأهمية، وعالجتها بأساليب علمية، ووضعت النقاط على الحروف في العديد من الموضوعات، لذا فإني أنصح من يريد أن يكتب في الحديث الموضوعي أن يطلع على هذه الأبحاث المقدمة للندوة، لأنها تمهد السبيل أمامه للكتابة.

٤-ومن الندوات المباركة في مجال السنة ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، ندوة عليمة دولية ثانية. عقدت في رحاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ١٤٢٦ هـ– ٢٠٠٥م. طبعته كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي– ط١، ٢٠٠٥م.

تطرقت الندوة لأهم ما تشغل به الأمة في العصر الحاضر الذي تتفشى فيه الشبهات حول السنة ومصداقية منهج القدامى من المحدثين في حفظها، إذ كانت محاور الندوة محددة بدقة لئلا تتحول إلى مجرد الاحتفال وتنتهي آثارها بانتهائه، فجاءت الأبحاث لتحدد أنواع المشكلات التي تقف في وجه الحديث اليوم، لا سيما في مجالي النقد والفقه مع اقتراح الحلول المناسبة والفاعلة. وكانت صبغة هذه الندوة عالمية شارك فيها باحثون من العالم العربي والإسلامي.

وقد ناقشت هذه الندوة وبأسلوب علمي ناضج التحديات المعاصرة للسنة النبوية ومن أبرزها.

١ الأسد، ناصر الدين (مقدمة كتاب السنة النبوية ومنهجها)، ص٤.

١- ردم الهوة بين أهل الحديث وأهل الفقه، ومعالجة مسائل في فقه الحديث، وأهمية وصل الحديث بالفقه في الدراسات المعاصرة.
٢- محور حول قبول الحديث ورده، ومسالك تضييق الاحتجاج بالسنة.
٣- أثر العقل في نقد الحديث ورده عند المعاصرين، وأهمية بناء الملكة النقدية، وأسس النقد المعتبرة، وأهمية تحرير ألفاظ الحديث.
٤- حول البرامج الحاسوبية وأثرها في الحديث الشريف.

والندوة نافعة بحق، فيها أبحاث قيمة، وطرحت موضوعات لها أثرها في المجال العلمي المعاصر.

٥-الدليل التصنيفي - إشراف د همام عبد الرحيم سعيد.

أصدرته جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي في عمان ١٩٩٤م.

وهذا العمل العلمي هو أولى خطوات موسوعة الحديث النبوي الشريف ورجاله. المنوي انجازها والغرض منه بناء أساس لقاعدة بيانات أساسية لتصنيف الأحاديث النبوية تصنيفاً موضوعياً، يحدد رؤوس الموضوعات ضمن عناوين رئيسية وفرعية في تركيب هرمي، يتدرج من العنوان الأعم والأكبر إلى الأخص والأصغر، والهدف تيسير الوصول إلى الأحاديث النبوية المتعلقة بأي موضوع، وقد عمل في هذا العمل العلمي ما يزيد على مائة من العلماء المختصين في علوم الشريعة والعلوم العصرية المختلفة، موزعين على عشرين لجنة فنية تخصصت كل منها بدليل من الأدلة الفرعية العشرين التي يتضمنها الدليل.

أما أهمية هذا الدليل وميزاته فأهمها ما يلي:

- أول عمل علمي جماعي منظم لتصنيف السنة حسب الموضوعات.
- التزاوج والتوأمة بين مختصين من العلوم الشرعية والعلوم المعاصرة.
- استخراج موضوعات عصرية من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.
- جودة الترتيب والتنظيم وحسن العرض.
- تسمية الموضوعات المعاصرة بمسميات أقرب إلى روح الشريعة منها إلى المسميات الغربية.
- العمل عمل مؤسسي تمت رقابته من خلال مستويات عدة، ومناقشته في ندوات مختلفة للوصول به إلى أعلى درجات الكمال البشري.

ومن الملاحظات على العمل في الدليل التصنيفي.

- أن الدليل هو للموضوعات فقط، ولا يذكر الأحاديث التي تمثل هذه الموضوعات، ولا يشير إليها، ولو أشار الدليل إلى أرقام هذه الأحاديث مثلاً لكان العمل أجدى وأنفع، إذ قد يحتار الباحث في الوصول إلى الحديث من خلال الموضوع، ولا أعلم إن كان طبع ملحقات لهذا الكتاب يعالج هذه المسألة أم لا.
- أن العمل في الدليل -حسب علمي- وقف بعد إصدار الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وكنت أود أن يستمر العمل بخطوات متتالية إلى يومنا الحاضر للوصول إلى أفضل النتائج ومتابعة كل جديد في هذا العلم المبارك.
- ينبغي أن لا يؤخذ هذا العمل على أنه نتائج نهائية، ولكنه كشاف يبين الموضوعات وتفصيلاتها في السنة الشريفة، والاستدراك عليه مفتوح لكل صاحب نظر علمي بالدليل.

٦-دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة، القديمة والحديثة.

تأليف: محيي الدين عطية، وصلاح الدين حنفي، ومحمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١ ١٩٩٥.

هذا الكتاب دليل لكل ما طبع من مصنفات الحديث الشريف القديمة والحديثة، وامتاز هذا الكتاب بأمور منها:

- يشمل الكتب المطبوعة والرسائل الجامعية فقط، دون الكتب المدرسية والجامعية المقررة على الطلاب، والنشرات، وبحوث المؤتمرات والندوات، والاجتماعات.....
- تم تصنيف المواد الحديثية طبقاً لتصنيف الدكتور عبد الوهاب أبي النور الوارد بكتابه التصنيف البيليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي - القاهرة: دار الثقافة

١٢٩٣هـ، مع إضافات منهجية جديدة، إضافة إلى تقسيمات جديدة وتعريفات عديدة لأصول الموضوعات، حتى كادت أن تكون خطة متميزة.

- اعتمدت الكتب الحديثية المباشرة في هذا الدليل، أي ما كانت أساساً في الحديث الشريف، أو معتمدة عليه، دون ما يشبهها في الموضوعات أو ما يلحق بها، مثل كتب الزهد والرقائق إلا ما كان معظمها من الحديث.
- لم تودع كتب ابن أبي الدنيا في هذا الكتاب لأنها ليست في الحديث أساساً، وإنما هي في الزهد والرقائق.
- لم يضم الدليل أيضاً الموضوعات المختصة المستندة على الكتاب والسنة، فهي ذات تصنيف آخر مثل الحجاب في الكتاب والسنة، والربا في ضوء القرآن والحديث، التي تصنف في موضوعاتها الاجتماعية أو الفقهية.
- ووضع للكتاب فهارس متنوعة أهمها الفهرس الموضوعي الذي هو فهرس المحتويات.
- والكتاب جاء سداً لفراغ كبير في المكتبة الإسلامية التي لم تجد إلى الآن عملاً مستقلاً مثل هذا..

٧-وكتاب المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف، تأليف محمد خير رمضان يوسف، دار الرشد، ط١، ٢٠٠٣.

والكتاب تكملة ومستدرك على دليل مؤلفات الحديث الشريف كما قال مؤلفه: وهذا مستدرك على السابق وتتمه له، وقد بقي تزويد الكتاب بالكتب حتى عام ١٤٢٢هـ.

٨-كتاب التعريف بما أفرد من الأحاديث بالتصنيف

ليوسف بن محمد بن إبراهيم العتيق. دار الصميعي، ١٩٩٧م.

هذا الكتاب هو فهرسة لنوع خاص من المؤلفات. وهي المصنفات التي أفردت لحديث معين، سواء كان من حيث فقهه أو مسائله أو إعرابه أو غريبة. فإذا كان المصنف من أوله إلى آخره يدور حول حديث واحد فإن المصنف يذكره في هذا الكتاب. وفائدة هذا الكتاب واضحة، إذ إن من أفرد حديثاً واحداً بالتصنيف فغالباً ما يكون قد استوعب ما فيه، وسهل على من بعده اقتناص الفوائد التي يريدها منه سواء من حيث الحكم عليه صحة وضعفاً، أو فقهاً ومعنى.

ومن يكتب في الحديث الموضوعي يستفيد منه، بمعرفة الأحاديث التي أفردت بالتصنيف حتى لا يعود لدراستها دراسة مستقلة مرة أخرى، فيريحه من عناء البحث، ويوجه همته إلى البحث عن المعاني والأسرار في هذه الأحاديث وغيرها.

٩-كتاب موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة، وهدي الخلفاء الراشدين.

إعداد: خديجة النبراوي، عن دار السلام في القاهرة(١٤٢٤) في (٥) مجلدات، واشتملت على(١٤٨٤٩) حديثاً. قال عنها د. خلدون في كتابه التصنيف في السنة، ج٢، ص ٤٧١.

والمؤلفة أجزل الله لها المثوبة، قامت في عملها الجليل المتميز هذا بترتيب أحاديث كتاب كنز العمال في السنن والأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥)، والذي أصله كتاب جمع الجوامع... لجلال الدين السيوطي (ت٩١١)، حسب موضوعات العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ووفق تقسيمات متنوعة كثيرة تتسم بالشمول والعلمية والمعاصرة، والدقة والإتقان، بعد حذف الأحاديث المكررة والمتشابهة. ولم أطلع على هذه الموسوعة.

١٠- كتاب الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر وبلاد الشام.

وهي رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب محمد بن عبد الرزاق أسود. في جامعة القاهرة – كلية دار العلوم – قسم الشريعة. بإشراف الدكتور محمد نبيل غنايم ٢٠٠٥م.

وقد كان من أهداف هذا البحث، استقراء جهود علماء الحديث المعاصرين في بيان الدراسات والأبحاث التي أظهروا فيها السنة النبوية، بكافة الوسائل والقنوات العلمية المتاحة.

وقد جعل الباحث هذا الكتاب في أربعة أبواب هي:

١- اتجاه جمهور علماء الحديث في دراسة السنة النبوية.

٢- الاتجاه السلفي ودراسته للسنة النبوية

٣- الاتجاه العقلي ودراسته للسنة النبوية.

٤- الاتجاه المنحرف ودراسته للسنة النبوية.

وإن كان كل ما في هذه الرسالة مفيد ومهم، إلا أن الذي يعني الدارس والمصنف في الحديث الموضوعي أكثر من غيره هو، **الباب الأول**: الذي قسمه إلى خمسة فصول وهي:

الأول: تعريف علم دراية ورواية الحديث الشريف وأقسام دراستها.

الثاني: أبحاث المؤتمرات والندوات المختصة بدراسة السنة النبوية.

الثالث: الأبحاث المحكمة المختصة بدراسة السنة النبوية.

الرابع: دراسات العلم الحديث في السنة النبوية.

الخامس: جهود المؤسسات العلمية، وإنتاج الحاسب الآلي، ومواقع الشبكة الدولية للمعلومات المختصة بالسنة.

وكل فصول هذا الباب مهمة ونافعة إلا أن أنفعها فيما يتعلق بالحديث الموضوعي، المبحث الثالث: من الفصل الأول، بعنوان: أقسام دراسات علم رواية الحديث، وجعل المطلب الخامس منه بعنوان: الدراسات المتصلة بالحديث الموضوعي. وفي الفصل الثاني أفرد أبحاث الحديث الموضوعي الواردة في المؤتمرات. وكذلك في الفصل الثالث، حيث أفرد الأبحاث المحكمة المتعلقة بالحديث الموضوعي، سواء كان في الإعجاز العلمي أو الطب النبوي، والكتاب نافع جداً، وخاصة في الدلالة على أنواع ما كتب في الحديث عموماً، والموضوعي خصوصاً، ومعرفة مكان وجود هذه الأبحاث مع نقد عام يسير في بداية مطالبه أو مباحثه.

١١-دليل التاريخ والحضارة الإسلامية في الأحاديث النبوية.

تأليف أ. د.عماد الدين خليل و م. حسن الزرو. دار الرازي- الأردن - ط١، ٢٠٠٤.

تأتي فائدة هذا الدليل وأهميته في أنه ثمرة للتعاون بين مختص في التاريخ والحضارة، وآخر مختص في الفهرسة والحديث الشريف. وقد جاء هذا العمل ليقدم لنا دليلاً للتأريخ والحضارة مستمدة من الأحاديث الصحيحة من الكتاب والسنة فقط، ضمن السياقات التالية:

١- الأمم والجماعات والنبوات والأديان السابقة.

٢- عصر الرسالة.

٣- النبوءات التاريخية، الملاحم والفتن، المهدية وأشراط الساعة.

٤- قيم السلوك التي تعين على نهوض الجماعات والدول والحضارات.

٥- قيم السلوك التي تعجل بانهيار الجماعات والدول والحضارات وزوالها.

وقدم الدكتور عماد الدين خليل لكتابه هذا بمقدمة نافعة، تبين دور الحديث الشريف في كل موضوع من الموضوعات السابقة، والأطر العامة لما يمكن للباحث أن يقدمه من خلال الأحاديث الصحيحة. وقد استفاد الدكتور حسين فريحات في انتقاء رسالته المعنونة بقيام الحضارات وانهيارها من منظور السنة النبوية من هذا الكتاب، وقد لقي الدكتور عماد الدين خليل، وناقش معه خطة موضوعه قبل البدء بالكتابة كما أخبرني بذلك.

وبين الدكتور عماد الدين بعض وظائف هذا الدليل بقوله: هذا فضلاً عن أن الدليل نفسه يفتح الطريق، عبر فصوله الخمسة للعديد من البحوث والدراسات، ويمنح الفرصة على سبيل المثال لتحقيق نوع من المضاهاة أو ما يسمّى في المصطلح النقدي التناص بين النص القرآني، والنص النبوي في إطار مفردة ما أو حشد نمطي من المفردات، لتبين طبيعة العلاقة بين النصين فيما يمكن أن يقدم للخبرة التاريخية فضلاً عن الدراسات المعنية بعلوم القرآن والحديث، نتائج ذات قيمة بالغة[1]

وكان أسلوب الكاتبين في هذا الدليل أنهم: يذكرون العنوان العام للفصل، ثم يذكرون العناوين الفرعية له، ويذكرون تحت كل عنوان مجموعة الأحاديث المتعلقة به بدون ذكر الإسناد، مع إعطاء رقم عام متسلسل لكل حديث من أول الكتاب إلى

---

١ عماد الدين خليل، [illegible]

آخره، ورقم آخر خاص بالفصل، وتخريج الحديث تخريجاً مختصراً بذكر من أخرجه رمزاً، ورقم الحديث في الكتاب فقط.

١٢- كتاب التصنيف في السنة وعلومها من (١٣٥١ - ١٤٢٥هـ) للدكتور خلدون الأحدب، مؤسسة الريان- بيروت- ط١، ٢٠٠٦م.

هذا الكتاب أراد فيه مصنفه حصر ما صنف في كل جانب من السنة طوال هذه الفترة الزمنية التي تمتد خمسة وسبعين عاماً، على امتداد رقعة العالم الإسلامي.

وقد حصر الموضوعات التي صنف فيها أهل الحديث في اثنين وعشرين جانباً هي: حجية السنة النبوية ومكانتها، ودفع الشُّبه عنها، وتاريخ السنة النبوية وعلومها، ومعاجم الشيوخ والإثبات، وعلوم الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلم النقد عند المحدّثين، وعلم مناهج المحدثين، وأئمة الحديث وآثارهم، وبيان أثرهم في السنة النبوية وعلومها، والدراسات الحديثية المتنوعة، والمجاميع الحديثية، وعلم التخريج، وعلم الزوائد، وشروح الحديث النبوي، وفقه السنة النبوية، والدراسة المعرفية والحضارية في السنة النبوية، والدراسة اللغوية والأدبية في الحديث النبوي، والإعجاز العلمي في السنة النبوية، والتهذيب والاختصار والجمع والترتيب، وجوامع الفنون، وترتيب كتب الرواية في الحديث، والفهرسة، والردود والتعقبات. ثم قسم هذه الجوانب إلى أقسام متنوعة محكمة تقوم على النظر العلمي، وبأسلوب مبتكر معاصر لتحقيق منهجية التكامل المعرفي في السنة النبوية وعلومها، ومعرفة ما بلغته من دقة وشمولية، ولتذليل سبل البحث والتحصيل على الباحثين والدارسين.

والكتاب نافع في معرفة اتجاهات التصنيف في السنة بالإضافة إلى مساعدة من يكتب في الحديث الموضوعي في مجالات متنوعة.

المبحث الثالث

نقد التصنيف في الحديث الموضوعي

(بعض الرسائل الجامعية أنموذجاً)

أولا: نقد ما يتعلق بموضوعات البحث

بعد الاطلاع على أكثر من سبعين رسالة من الرسائل التي كتبت لنيل درجة الماجستير في الحديث النبوي الشريف في بعض الجامعات الأردنية وقراءة منهجها، والتدقيق في النقد من أجل الوصول إلى أعلى مستوى من الدراسات المعمقة فيما يخص الحديث الموضوعي، التي بدأت بالظهور في نهاية الثمانينات من هذا القرن، ثم انتشرت واستمرت إلى يومنا الحاضر، نلاحظ عدة أمور فيما يتعلق بالموضوع منها:

ابتدأت الدراسات بموضوعات علمية لها ارتباط بالعصر والواقع المعاش، مثل رسالة الأحاديث الواردة في حقوق العمال ومسؤولياتهم، عام ١٩٨٩م، وروايات الزينة عام ١٩٩٠، والأحاديث الواردة في أحكام النصارى والنصرانية ١٩٩٠، وأحاديث التصوير١٩٩١، والأحاديث الواردة في حماية البيئة الطبيعية وتطويرها ١٩٩٣. وعالجت بعض الرسائل موضوعات فقهية من مثل رسالة أحاديث الطهارة الخاصة بالنساء ١٩٩٥، والأحاديث الواردة في مخالفة الكفار١٩٩٦. فالملاحظ إذا أن أغلب هذه الرسائل كانت ذات موضوع متصل بالواقع المعاصر، ولكنه كان معروفاً عند السابقين كفن أو علم بالمعنى العام له، حتى وإن تغير عنوانه وتفصيلاته في عصرنا.

إن أغلب الرسائل عالجت موضوعات يعايشها الناس، وكتب فيها أكثر من مصنف أو دراسة، إلا أنه كان لا بد من تأصيلها بدراسة مستمدة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم. فمثلاً موضوعات الشهيد، والكرامة، والزينة، وحقوق العمال، والبيئة، والحضارة والمدنية، ومخالفة الكفار، والأمن الغذائي، وكلها لها صدى كبير في الساحة مما حدا بالباحثين إلى جمع وبيان الأحاديث المتعلقة بالموضوع.

واستمر المنهج الذي يربط الأحاديث بالواقع المعاصر -مع كونه ليس جديداً كلياً على العلم- فظهرت رسائل مختلفة بعد عام ٢٠٠٠م، ضمن هذا المنهج، منها

مثلاً: الأحاديث الواردة في التغذية، وأحاديث الرخص، وأحاديث القصر والجمع بين الصلاتين، والأحاديث في ابتلاء الرسول -صلى الله عليه وسلم - وأهله، والمرويات الواردة في صلة الرحم، والرؤى والأحلام في السنة النبوية... وغيرها.

وبدأت تظهر رسائل علمية جديدة ذات عناوين وموضوعات معاصرة بحتة لم يكن للسابقين معرفة بها، ويرجع ذلك إلى الانفتاح الكبير على الثقافات المختلفة، ووسائل الإعلام المتنوعة التي انتشرت انتشاراً واسعاً جداً في هذا العصر، لذا أصبحت تظهر عندنا رسائل علمية ذات طابع مختلف من حيث الموضوع إلى حدٍ ما، منها على سبيل المثال: الهدي النبوي في إدارة القوى البشرية و الأحاديث الواردة في الحرب النفسية، والحرية الإعلامية في الحديث النبوي الشريف، والهدي النبوي في نقد الذات ونقد الآخر، وحماية المستهلك في السنة النبوية، ولغة الجسم في السنة النبوية، والاتصال الإنساني، والاتصال الخارجي، والسلامة العامة، واستمر ظهور الدراسات من مثل هذه العناوين التي تحمل طابعاً عصرياً متطوراً، مستمداً في أصوله وفروعه أيضاً من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

والدراسات التقليدية بقيت موجودة على الساحة العلمية، وعندما أقول التقليدية لا يعني هذا انتقاصاً منها، أو حطاً من قدرها بل على العكس، فإنها ستبقى تؤدي دوراً مهماً لا نستغني عنه في أي مرحلة مهما تقدم العصر واختلف الزمان والمكان، إنما هو اختلاف مناهج، واختلاف نظر، واختلاف أولويات.

ويلاحظ أيضاً قلة وجود دراسات موضوعية متعلقة بالعقيدة الإسلامية، وما يتفرع منها، رغم أهميتها في حياة المسلم، واحتلالها المراتب الأولى في تصوره عن الكون والإنسان والحياة. وعدم وجود ترابط منطقي منهجي بين الرسائل المختلفة، مما يدل على عدم وجود عمل مؤسسي منظم يحكم عملية التصنيف والدراسة، بل هي أفكار الطلبة وتوجهاتهم، وليس للمؤسسة دور في توحيد هؤلاء، اللهم إلا النصح والمشورة.

ثانيا: خدمة الدراسات للواقع المعاصر، وإسهامها في حل مشكلاته

إن الدراسات التي صدرت حتى الآن تمثل في أغلبها حلاً لمشكلات واقعية، وفي جوانب مختلفة ومتعددة، ويلاحظ على أغلبها أنها تهتم بالجانب التربوي بشكل عام، أو المسائل الفكرية التي لها وجود على الساحة، والتي قد يكون حولها نوع من الجدل، بحيث تعطي تصورا معقولا حول هذه القضية من خلال جمع وترتيب أحاديث النبي صلى الله وعليه وسلم. والأمثلة على ذلك كثيرة منها مثلاً- خاصة في الرسائل في السنوات ما بعد سنة ٢٠٠٠م- أخلاق المهنة في السنة النبوية، والأحاديث الواردة في رعاية الشباب، وحماية المستهلك في السنة النبوية، والأحاديث الوازدة في الوقاية من الفواحش، والأحاديث الواردة في حقوق الإنسان في الحرية والعدل. وبعض هذه الدراسات تناولت جانباً فقهياً له اتصال بواقع الناس وحياتهم مثل أحاديث الرخص، وأحاديث الطهارة، والأحاديث الخاصة بالنساء. وهكذا نجد أن هناك تواصلا بين الرسائل العلمية، وبين العصر الذي نعيشه، والواقع الذي نحياه.

وبعض الرسائل-وإن كانت لا تعدم فائدة-إلا أن من الأولويات أن تعطى الموضوعات الأكثر أهمية فرصة أكبر للظهور من أجل الإسهام في الارتقاء بواقعنا؛ فمثلاً رسالة أحاديث البحر، ورسالة الأحاديث الواردة في النوم، والأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى، هل تشكل هذه الموضوعات أهمية أو أولوية عند المسلمين في هذا الزمان، فقد كان الأولى أن تبذل الجهود في موضوع أكثر أهمية يسهم في رفعة المجتمع ورقيه ويحل بعض إشكالاته، وهذا ما ينبغي أن تتوجه له همم الباحثين هذه الأيام، وللحق فإن الغالبية العظمى من هذه الدراسات، أسهمت في تغطية جزء مهم في المكتبة الإسلامية يحتاجها الناس.

ثالثا: المناهج العامة في هذه الدراسات

تنوعت مناهج الدراسة في الرسائل الجامعية المتعلقة بالحديث الموضوعي إلا أن الغالب على هذه الدراسات هو منهج (الجمع والتصنيف والدراسة)، فقد جاءت أغلب الرسائل ضمن هذا المنهج، وقد تختلف المسميات فبعضهم يسمي رسالته (جمع وتصنيف وتخريج ودراسة)، وبعضهم (جمع ودراسة وتخريج)، وبعضهم (تخريج

ودراسة)، وبعضهم(جمع وتصنيف وتحقيق)، وبعضهم (دراسة حديثة)، وبعضهم (جمعاً ودراسة)، وبعضهم (دراسة تأصيلية)، وكل هذه الدراسات تجتمع في أهداف واحدة كما جاء في مقدمات الرسائل هي:

١- جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع.
٢- تصنيف الأحاديث تصنيفاً موضوعياً.
٣- تقديم هذه الدراسات للمختصين للاستفادة منها.
٤- الحكم على الأحاديث من حيث الصحة والضعف.

بالإضافة إلى أهداف خاصة أخرى كل حسب الموضوع الذي يكتب فيه.

ورغم أن الغالب على هذه الدراسات إرادة تحقيق المنهج السابق، إلا أن هناك بعض الرسائل خطت خطوة أخرى نحو الإمام في الحديث الموضوعي، يتمثل بزيادة مهمة هي بيان الهدي النبوي في موضوع معين، وأبرز مثال على ذلك رسالة الحرية الإعلامية في الحديث النبوي التي تمثل منهجها بالإضافة إلى ما سبق، بأن الباحث حاول استخلاص المنهج النبوي بشكل متكامل مترابط: فقد أعطى الحديث حقه من حيث الدراسة والتخريج والحكم، كما أعطى الموضوع حقه من حيث ربطه بالقرآن الكريم والدراسات المعاصرة. مع جودة اللغة والأسلوب وسهولة العبارة والانسجام فيما بين الحديث ومعناه دون فواصل، وحسن التصرف فيما بين الصلب والحاشية، ومناقشة الأفكار السائدة في الواقع مع تهذيبها ومناقشتها، وطريقة كتابته للحديث وطريقة سياقته لها. ومكان التخريج ومناسبته من حيث الطول والقصر وترقيم الأحاديث، فكانت هذه الرسالة أكثر مثال متقدم للحديث الموضوعي بين جميع ما قرأت من الرسائل، ومع هذا فإن هناك بعض الملاحظات على هذه الرسالة تأتي في موضعها بإذن الله.

فهذا المنهج الذي يربط الموضوع بالواقع والذي تمثل من خلال عناوين عدة وبصياغات مختلفة مثل الأحاديث الواردة في المنافقيندراسة موضوعية، وإدارة المال العام في السنة النبوية دراسة حديثية موضوعية، وأخلاق المهنة في السنة النبوية دراسة موضوعية ، وكذلك المنهج الذي يقوم على استكشاف الهدي النبوي في موضوع ما، مثل الهدي النبوي في نقد الذات والآخر ، والهدي النبوي في الوقاية من الذنوب، يمثلان منهجاً متقدماً في دراسات الحديث الموضوعي.

فالمنهج الموجود بين أيدينا يمكن قسمته إلى نوعين أساسيين:

الأول: منهج الجمع والترتيب والتصنيف والتخريج، مع بيان الأركان الرئيسية للموضوع من خلال الحديث.

الثاني: منهج الدراسة الموضوعية المتمثل باستكشاف المنهج النبوي في موضوع ما من خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكلاً من المنهجين له أركانه وأهدافه، وفوائده، سيأتي الحديث عنها بإذن الله عز وجل.

ورغم وجود فرق بين المنهجين إلا أن الواقع التطبيقي يبين أن هناك تداخلا، وعدم انفصال بينهما، فدراسات الجمع والترتيب والتخريج، تدخل على منهج الدراسة الموضوعية، بل وبعضها يتعمق في ذلك حتى تخرج الدراسة عن حدودها، كما أن بعض دراسات الحديث الموضوعي لبيان الهدي النبوي، توغل في عملية الجمع والترتيب والتخريج حتى أخرج الموضوع عن حده وبات يصعب الفصل بين كل من المنهجين.

رابعا: ملاحظات مختلفة حول هذه الدراسات

١- حول التخريج

نجد بعض الباحثين يعزون الحديث إلى مصادر غير أصلية كالزيلعي في نصب الراية فقط، ولا أدري لماذا يفعل بعض الباحثين ذلك، وهل الحديث موجود في الكتب قبله؟ وبعض الرسائل يطول في التخريج جداً، ويستكثر من طرق الحديث، ولا يدع شاهداً ولا رواية ولا طريقاً إلا أخرجها، حتى إن الحديث الواحد يستغرق عدة

صفحات، وقد يكون أخرجه البخاري ومسلم، فيخرج الحديث من ابن عاصم، وابن أبي الدنيا، وحلية أبي نعيم، ومعاجم الطبراني، بتطويل لا فائدة منه(١).

٢-في العنوان

هناك بعض الرسائل لا تدل عناوينها على مضمونها، فالعنوان شيء والرسالة شيء آخر، ومثال ذلك رسالة الأحاديث الواردة في العمران، فقد كان الأصل أن تسمى معالم العمارة في المدينة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها مختصة بالعمران في زمانه عليه الصلاة السلام، ولا تتحدث عن العمران بشكل عام، وكذا رسالة أخلاق المهنة في السنة النبوية، وكان الأجدر تسميتها بـ (الأخلاق المهنية الخاصة)، وقد ذكرت الباحثة نفسها في الخاتمة أن هذه الدراسة بينت الأحاديث الشريفة الخاصة بموضوع أخلاقيات المهنة. ورسالة الأحاديث الواردة في التغذية، حيث كان العنوان عام، وتفصيلاته لا تدل على المقصود بالعنوان، فهو عام بحاجة إلى ضبط وتخصيص.

٣-ضعف الباحث في الموضوع الذي يكتب فيه وعدم تمكنه منه.

وهذه ملاحظة في بعض الرسائل، وكان الأولى أن يتمكن الطالب من التخصص الذي يكتب فيه ليكون هناك توافق بين الموضوع الذي يكتبه وبين حديث النبي صلى الله عليه وسلم(٢). إذ إن الباحث إن لم يكن عالما بمصطلحات الموضوع الذي يكتب فيه ومفرداته، فقد يأتي بشيء مغلوط، أو شيء ناقص غير مستكمل، وفي الدراسات المتعلقة بالسنة ينبغي أن نقدم أرقى ما يمكن، لأننا نتكلم عن دين الله عز وجل الذي جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم.

٤-الأحاديث الضعيفة في الرسائل.

---

١ انظر رسالة: (الأحاديث الواردة في العقل في الكتب التسعة). ورسالة (الأحاديث الواردة في حقوق العمال) ص ١٩ ورسالة (الأحاديث الواردة في حماية البيئة)، حيث ذكر الباحث حديثاً صحيحاً، وأخرج له (١٠) طرق في عشر صفحات ممتلئة، ورسالة (الأحاديث الواردة في بني قريظة)، ورسالة (المرويات الواردة في الأيتام).

٢ انظر: رسالة (الأحاديث الواردة في الرخص)، ورسالة (المعالم المدنية في العهد النبوي)، حيث لم يستطع أي منهما أن يقدم منهجاً في الموضوع الذي طرحه، وذلك أنهم غير متمكنين من الموضوع، ولم يرجعوا فيه إلى مراجعه الأصلية، فجاء الموضوع غير مستكمل، وقد ذكروا في مقدمة رسائلهم ما يشير إلى هذا.

وهنا مسألة ينبغي الوصول فيها إلى حل ألا وهي الأحاديث الضعيفة، وما هي العلاقة في رسائلنا بين الأحاديث الضعيفة والصحيحة المشتركة في موضوع واحد.

فقد وجدت من خلال الرسائل التي درستها ما يلي:

١- كثير من الباحثين يذكر الأحاديث الضعيفة مع الصحيحة في سياق واحد، وبترقيم متسلسل(١)، دون فصل بينهما، وكأنها جزء من الرسالة.

٢- بعض الباحثين يبني مطالب ومباحث على أحاديث ضعيفة، ولا يوجد في المبحث حديث واحد صحيح(٢).

٣- يحتج بعض الباحثين بالأحاديث الضعيفة جنباً إلى جنب مع الأحاديث الصحيحة(٣)، كما في رسالة الأحاديث الواردة في العمران، حيث احتج الباحث بحديث مرسل ضعيف، ذكره في التعريف بحجرة أم سلمة –رضي الله عنها–، أو يسوق الباحث حديثاً صحيحاً ثم يتبعه بأعداد من الضعيف دون طائل(٤)، حتى وإن بين أن فيها ضعفاً.

ولا أدري مدى حاجتنا في الدراسات الموضوعية إلى أحاديث يحكم عليها الباحثون أنفسهم بأنها ضعيفة جداً، فهذه الأحاديث تشتبه على القارئ، وقد يعلق بذهنه منها أمور موهمة، ويصعب انتزاعها، ذلك لأن الباحث أصلاً قد ترجم لها بتراجم واضحة فينبغي أن تستبعد حين الكتابة في الحديث الموضوعي للأسباب التي قدمتها.

٥-التعامل مع الموقوف والمقطوع وغيره.

١. اقتصر بعض الباحثين على الروايات المرفوعة رغم أهمية الموقوف في مثل رسالته، وكان الأحرى به أن يتعامل مع الموقوف بحكمة في مثل هذه الرسالة، ففي رسالة

---

١ رسالة (الرؤى والأحلام)، ورسالة (أخلاق المهنة في السنة النبوية)، ص ١١٠- ١١٣،

٢ انظر: رسالة (الأحاديث الواردة في البحر)، ص ١٧-١٨-١٩، وغيرها كثير، ورسالة (الرؤى والأحلام)، ص ٦٧، حديث رقم (٤٠). ورسالة (الاتصال الخارجي في السنة): ورسالة (حماية المستهلك في السنة النبوية)، ورسالة (الأحاديث الواردة في الأيتام)، ص ٢٥.

٣ انظر رسالة (الأحاديث الواردة في رعاية الشباب).

٤ رسالة (أحاديث البحر)، حيث كان عدد الضعيفة ٤٦حديثا بينما الصحيح والحسن ٣٩ حديثا.

ورسالة (الأحاديث الواردة في [illegible]

أحاديث الجمع والقصر بين الصلاتين – جمعاً وتصنيفاً ودراسة – نجد أن للموقوف أثرا بالغا في بيان الحكم الشرعي في هذه المسألة.

٢. وبالمقابل نجد بعض الباحثين يؤسس قاعدة بناء على قول بعض التابعين، ويسوق الروايات المقطوعة، ويرقمها رقماً متسلسلاً مع الأحاديث النبوية، فكيف يتسنى لنا تأسيس قاعدة شرعية بناء على قول تابعي مهما كانت مكانته[1].

٦-في الحكم على الأحاديث:

١- تصحيح أحاديث غير مستند إلى دليل ومثاله قول الباحث في رسالة الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى، في حديث رقم ١٤ من رسالته: وإسناد الحديث المرسل، إذ أن فيه انقطاعاً بين سليمان بن سعد، وبين النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون الراوي المحذوف غير صحابي، وللعلماء في قبول المرسل مذاهب، وهذا من مراسيل التابعين، فلعل الحديث يرتقي لدرجة الحسن. وهذا حكم غريب، فلماذا يرتقي الحديث الحسن بهذه الصورة، وما هي مبررات ذلك، وما هي القرائن لارتقائه، وهل يحكم على الحديث بهذه الصورة؟؟.

٢- أخرج بعض الباحثين حديثاً، وقال عنه الحديث ضعيف جداً، فقد روي بدون إسناد[2]، فهل يحكم على الحديث الذي ليس له إسناد هكذا؟؟.

٣- بعض الباحثين كان يحكم على الحديث هكذا (السند رجاله ثقات- والحديث أخرجه البخاري) وكان يعرف برواة البخاري أيضاً، فهل نحن فعلاً بحاجة إلى مثل هذا؟؟[3].

٧-المشكل والمختلف.

يذكر بعض الباحثين الأحاديث وبعضها مشكل، وبعضها مختلف، ولا يتخلص الباحث من الإشكال أو الاختلاف بالشكل المطلوب، ويبقى الحديث في دائرة المشكل، رغم أن هذه الدراسات ينبغي أن يكون من أهدافها حل المشكل والمختلف

١ رسالة (الرؤى والأحلام في السنة النبوية)، حيث نقل الباحث رأي ابن سيرين في مسألة حول تفسير الأحلام وجعله دليلاً لقاعدة في التأويل.

٢ انظر: رسالة (الاتصال الخارجي في السنة النبوية).

٣ [illegible] رسالة (الأحاديث الواردة في يهود بني قريظة)، ص[illegible]

وبطريقة مناسبة[1] وأكثر الرسائل التي أطلعت عليها كان اهتمامها بمشكل الحديث ومختلف الحديث قليل، وبعضها لم يتطرق إليه أصلاً رغم أهمية الموضوع وخطورته، ودوره في حسن فهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

٨-صغر حجم الرسالة، وقلة الأحاديث الواردة فيها.

فبعض الرسائل لا تتجاوز في حقيقتها (٦٠) صفحة، فتصلح أن تكون بحثاً فقط، وبلغ عدد الأحاديث في بعض الرسائل (٦١) حديثاً فقط، عدد الضعيفة منها (٣٣) حديثاً، كما ذكرت الباحثة صاحبة الرسالة[2]، وفي البعض الآخر كان عدد صفحات الرسالة (٨٠) صفحة، وعدد أحاديثها (٥٧) حديثا النصف منها تقريباً أحاديث ضعيفة[3].

٩-رسائل نتردد في اعتبارها من الحديث الموضوعي أو أنها من أضعف أنواعه.

وذلك مثل رسالة الأحاديث الواردة في الخوارج، لأن الهدف الرئيس هو الجمع ودراسة الأحاديث دراسة إسنادية تاريخية، فقد استغرقت دراسة حديث واحد بطرقه مثلاً في هذه الرسالة خمسا وستين صفحة (١٢٢- ١٧٦)، ورغم أن الباحث استنبط بعد تخريجه للأحاديث والحكم عليها، فوائد مهمة أسقطها على الواقع التاريخي وعلى الحاضر بأسلوب حديثي، إلا أن طبيعة الدراسة تجعلنا نتردد في اعتبارها من الحديث الموضوعي. ومثلها رسالة الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى (تخريج ودراسة)، التي ناقش فيها الباحث الأحاديث الواردة في الموضوع سواء كانت صحيحة أو ضعيفة، وأطال في التخريج جدا وكذا في الترجمة للرواة. ومثلها رسالة الرؤى والأحلام في السنة النبوية، (دراسة وجمع وتصنيف وتخريج)، التي جمع فيها الباحث كل ما ورد في الرؤى والأحلام، سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً أو موضوعا، موقوفاً، كان أو مقطوعاً، دون أن ينتهي إلى منهج واضح لموضوع متكامل معتمد على الحديث الصحيح فيما يتعلق بالرؤى والأحلام، ويشفع له أن رسالته في الأساس هي دراسة

١ انظر: رسالة (الأحاديث الواردة في رعاية الشباب)، حديث٣، ص٦٤.

٢ رسالة (الاتصال الخارجي في السنة)، ص٧٩.

٣ انظر: رسالة (حماية المستهلك في السنة النبوية).

جمع وتصنيف وتخريج ومثل هذه الرسائل ينتفع بها المختصون فقط. ومنها رسالة المرويات الواردة في صلة الرحم جمعاً ودراسة، حيث إن الباحث لم يدرس الموضوع وإنما درس الأحاديث من حيث صحتها وضعفها، وبيان تخريجها، ورجالها، وغريبها، وجاء الموضوع (صلة الرحم)، تبعاً وليس أصالة، لذا فإني أتردد في اعتبار هذا العمل من الحديث الموضوعي، لأن له هدفا آخر، هو جمع الأحاديث وتخريجها، والحكم عليها، ودراستها دراسة مفصلة دون إبراز للموضوع. ورسالة أحاديث التصوير(جمع وتصنيف، وتخريج، وتعليق) التي إلى الفهرسة أقرب منها إلى الحديث الموضوعي، حيث كانت الدراسة للحديث من حيث الصحة والضعف لا من حيث الدلالة والمعنى، فالاهتمام بالحديث لا بالموضوع.

١٠-ملاحظات سلبية أخرى.

١- الترجمة لجميع رجال السند، والتطويل بالترجمة الذي اعتبره إضاعة للوقت، وإطالة وتطويل للرسائل بغير طائل.

٢- ذكر السند كاملاً في الرسالة، وهذا كثير في الرسائل.

٣- بعض الرسائل عبارة عن جمع وتخريج والجهد الحقيقي المبذول فيها لبيان الموضوع يسير، لا يليق برسالة الماجستير، وقسمت موضوعاتها كتقسيم السابقين دون فرق جوهري بينها وبين أي كتاب حديثي في القرن الثالث أو الرابع، بل يظن أنه جاء بكتاب من القرون السابقة ووضع العناوين ذاتها للموضوع مع تغيير يسير جداً(١).

٤- اهتمت بعض الدراسات بتكثير طرق الحديث، وجمع رواياته المختلفة - من غير طائل- على حساب جوهر الموضوع(٢).

٥- ونجد بعض الرسائل جاء عنوانها (كموضوع)، ولكن في حقيقتها هي تخريج للفظ لا للموضوع، حيث خلط الباحث بين الموضوع وبين اللفظ، فمثلاً رسالة

---

١ انظر: رسالة (حماية المستهلك في السنة النبوية)، مثلاً

٢ انظر: رسالة (الأحاديث الواردة في العقل في الكتب التسعة)، ومثلها رسالة (الأحاديث الواردة في البحر)، حيث إن الباحث تتبع لفظ البحر في السنة، وليس موضوع (البحر)، وهناك فرق كبير بينها، بحيث أدخل مثلاً مبحثاً حول (عدد أصحاب موسى الذين جاوزوا البحر) وهل هذا له علاقة بمنهج النبي في بيان ما يتعلق بالبحر.

الأحاديث النبوية الواردة في العقل في الكتب التسعة، يظن القارئ أنه سيقرأ موضوعاً حول العقل، وأهميته، ودوره، ومجالاته، وطرق تنميته، إلا أن الباحث تناول ما ورد في السنة من لفظ (عقل)، أينما ورد، ثم درس هذه الألفاظ، ورتبها بطريقة معينة، والنتيجة أنه لم يخرج لنا موضوعاً وأدخل في البحث أمورا ليست منه وأخرج منه أموراً من صميمه، وكان الأحرى أن يسمّي رسالته (لفظ العقل في السنة النبوية)، ومثلها رسالة الأحاديث الواردة في البحر.

٦- ونجد بعض العناوين غير واضحة، وغير متطابقة مع المضمون، وواسعة جداً ولا تعطي تصورا واضحا عن الموضوع الذي اختاره الباحث(١). ونحن في الحديث الموضوعي إنما نبحث عن بيان المنهج النبوي في موضوع معين، أو على الأقل وضع الأسس العامة والأركان لهذا المنهج.

٧-كثير من الباحثين كانوا يذكرون أن دراساتهم هي فهرسة موضوعية للحديث، ولم يذكروا أن رسالتهم في الحديث الموضوعي، وهناك فرق بين الفهرسة والدراسة الموضوعية.

٨-يفصل أغلب الباحثين في طريقة الكتابة بين الحديث والحكم عليه ورجاله، وبين ما يستفاد من الحديث، حيث يجعلون الحكم على الحديث في مطلب مستقل، وفقه الحديث في مطلب آخر، فلا يتشوق القارئ لاستكمال القراءة، لذا فإن دمج الحديث بفقهه بأسلوب شيق هو الحل لهذه المسألة.

١١-أهم السمات الإيجابية في الرسائل:

١. اقتصرت بعض الرسائل على الأحاديث الصحيحة والحسنة لم تخرج غيرها في موضوعها، وذلك مثل رسالة أحاديث الرخص(جمع وتصنيف ودراسة).

٢. ربط الموضوع الحديثي بالعلوم الأخرى ذات العلاقة، وذلك مثل رسالة أحاديث الرخص أيضاً التي ذكر الباحث فيها أنه توخى أن يكون هذا الجهد جديداً من حيث الربط بين علم الحديث، والعلوم الأخرى، لا سيما علم الفقه وأصوله. ولكنه لم يلتزم بما قال، رغم أهمية التأصيل الأصولي القوي لمثل هذا الموضوع.

---

١ [illegible]

٣. بعض الرسائل لم يطل أصحابها في التخريج بل أعطوه حقه بغير نقص، مثل رسالة أحاديث الرخص وغيرها.

٤. شكلت بعض الرسائل منهجاً متميزاً في الحديث الموضوعي، حيث أبرزت الموضوع متكاملا معتمدا على حديث النبي صلى الله عليه وسلم، رغم وجود ملاحظات عليها مثل رسالة الحرية الإعلامية، ورسالة المرويات الواردة في الأيتام، جمعاً وتصنيفاً ودراسة، ورسالة المدح في السنة النبوية.

٥. جعل بعض الباحثين الأحاديث الموضوعة في دراسته على شكل ملحق مثل رسالة الأحاديث الواردة في رعاية الشباب.

٦. كتابة مقدمة ضافية للموضوع ذي العلاقة مما يساعد على فهم الحديث الشريف بعد ذلك، وذلك كمقدمة رسالة المرويات الواردة في الأيتام.

الاختصار في التخريج، والاعتماد على المدار في تصحيح الحديث.

٧.ربط الموضوع بالآيات القرآنية الكريمة بوضوح واختصار.

٨.فصل الأحاديث المقبولة عن الضعيفة، وعدم التأسيس لحكم بناء على حديث ضعيف.

الجدة والابتكار في بعض الموضوعات.

٩. عدم ذكر أسانيد الأحاديث مطلقاً.

١٠.جمع طرق الحديث والزيادات التي لها دور في الموضوع باختصار، وبأسلوب مناسب، مع عدم إثقال الرسالة بها.

١١. حسن التصرف فيما بين المتن والحاشية، فلا يثقل المتن، مع ترتيب الحاشية وعدم إثقالها، وبالمقابل فإن هناك حواشي مثقلة جداً تتزاحم فيها المعلومات حتى تكاد تضيع بسبب الزحام، مثل رسالة المرويات الواردة في الأيتام، رغم أن الرسالة تمثل منهجاً متقدماً في الحديث الموضوعي.

المبحث الرابع
جهود المعاصرين في تقسيم موضوعات الحديث الشريف

المطلب الأول

الجهود النظرية (المقترحة) في تقسيم موضوعات السنة.

ظهرت بعض الدراسات والأبحاث المعاصرة من أجل تصنيف السنة على الموضوع، لأنها تقرب السنة إلى الفهم، وتيسر على الباحثين الرجوع إليها بأيسر جهد، وتواكب حاجات العصر ومتطلباته، وقد اقترح بعض الباحثين (١)، أن تكون السنة ضمن هذه الأقسام، وهي:

١- السيرة النبوية، وبها يجب البدء، لأنها مدخل الإسلام.
٢- مصادر العلم بالإسلام، ومنها يعرف الإسلام.
٣- العقائد، وهي أساس البناء كله.
٤- العبادات، وهي أركان الإسلام وشعائره العظمى، ويلحق بها الأذكار والأدعية والتلاوة ونحوها.
٥- الأخلاق والسلوك، وهي ثمرة العقائد والعبادات.
٦- الأدب، وهي المكملة للثلاثة السابقة، والمجملة للحياة الإسلامية.
٧- الأسرة المسلمة، وهي أساس المجتمع الكبير.
٨- المجتمع المسلم، وهو الذي تتجلى فيه الحياة الإسلامية والقيم الإسلامية:
٩- الدولة المسلمة وهي المسؤولة عن المجتمع المسلم توجيهاً، وتشريعاً، وحماية وعن تبليغ الإسلام للعالم، (وتشمل نظام الحكم، والجهاد، والعلاقات الدولية ونحوها).

---

١ د. يوسف القرضاوي، (الموسوعة للحديث النبوي- مشروع منهج مقترح)، بحث مقدم لندوة
[illegible]

١٠- الاقتصاد والمعاملات.

١١- الجرائم والعقوبات -الحدود و القصاص والتعزير.

١٢- متفرقات: التاريخ- المناقب- التعبير- الرقائق، وغيرها.

وبعد هذا التقسيم الأساسي، تجزأ الأقسام إلى كتب أو موضوعات رئيسة، فالسيرة مثلاً تقسم على ثلاثة أقسام:

أولا: حياته صلى الله عليه وسلم: من الميلاد إلى البعثة، ومن البعثة إلى الهجرة، ومن الهجرة إلى الوفاة. وثانيا: شمائله وهدية صلى الله عليه وسلم- في علاقته بربه، وعلاقته بأسرته، وعلاقته بصحبه داعيا ومعلماً وصديقاً ورئيساً وقائداً، وفي علاقته بأعدائه: المجاهرين والمنافقين في السلم والحرب... الخ. وثالثا: دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم- وما أظهر الله على يديه من معجزات، وما سبقه من مبشرات وإرهاصات. وهكذا الأقسام الأخرى من عقائد، وعبادات، وأخلاق، وآداب، ومعاملات... الخ.

وكان هناك جهد جماعي آخر -أشرت إليه في مبحث المصنفات المعاصرة- لتقسيم السنة تقسيماً موضوعياً معاصراً يتعاون فيه أهل الحديث وأهل الاختصاص، وقد صدر هذا التقسيم في كتاب اسمه الدليل التصنيفي، وقد أسفرت نتائج الأبحاث في هذا الميدان عن تقسيم موضوعي للسنة إلى خمسة عشر موضوعاً رئيساً، يتفرع عن كل موضوع موضوعات فرعية كثيرة، وقد يتفرع الموضوع الفرعي أيضاً إلى فروع كثيرة.

أما الحقول الرئيسة التي يشملها الدليل التصنيفي فهي:

العقائد، والعبادات، والمجتمع ويشمل: الأسرة، والتربية والتعليم، التكافل الاجتماعي، ويتضمن الرعاية والخدمة الاجتماعية، والسكان والتنمية، والقيم والأخلاق، والآداب الاجتماعية، والضبط والتغير الاجتماعي، والاقتصاد والمعاملات المالية، والجهاد والتعبئة العسكرية والقضاء، والتاريخ والسيرة النبوية والمناقب، والصحة، والغذاء والتغذية، العقوبات، والدعوة الإعلام والاتصال والتفسير وعلوم القرآن والحديث، والدولة، واللباس والزينة.

إن الدليل التصنيفي هو قوائم رؤوس موضوعات لعدد من العلوم الشرعية والتطبيقية، وهذا الدليل يصلح لأن يكون قاعدة معلومات توزع عليها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة ويجد الباحثون المختصون [illegible] مرتبة مبوبة تبويباً منطقياً. وبالنسبة للموضوعات الفرعية التي يتناولها الدليل، فقد تصل إلى سبعة مستويات.

ومثال التفريع، أن موضوع المجتمع هو عنوان للدليل التصنيفي الفرعي الثالث دليل المجتمع، وينقسم إلى ستة موضوعات فرعية يحمل كل منها رقماً خاصاً من خانتين (١: ٣ الأسرة، ٢: ٣ التربية والتعليم... ٦: ٣ الضبط والتغيّر الاجتماعي)، يشير الأول إلى رقم الدليل الفرعي (٣: المجتمع)، والثاني إلى أحد الاقسام المتفرعة عن هذا الدليل(٢: ٣التربية والتعليم). وينقسم موضوع التربية والتعليم مثلاً، إلى خمسة موضوعات فرعية يحمل كل منها رقماً خاصاً من ثلاث خانا(ت١: ٢: ٣ التصور الإسلامي، ٢: ٢: ٣ الأهداف العامة... ٥: ٢: ٣ مؤسسات التربية والتعليم)، وينقسم موضوع التصور الإسلامي مثلاً إلى سبعة موضوعات فرعية يحمل كل منها رقماً مميزاً من أربع خانا(ت١: ١: ٢: ٣ التصور الإسلامي للإنسان.. (٧: ١: ٢: ٣ التصور الإسلامي للقيم) (١).

المطلب الثاني

الموضوعات من واقع التطبيق العملي في التصنيف

هذه الجهود السابقة كانت لتصنيف موضوعات السنة تصنيفاً نظرياً من أجل تقريبها للباحثين، أما التقسيم الموضوعي للسنة من واقع المؤلفات المعاصرة في السنة، فقد جمعها بعض الباحثين. وتدور أغلب هذه الجهود في حصر موضوعات السنة التي ألف فيها المعاصرون تأليفاً موضوعياً، في الموضوعات التالية: (٢)

العقائد والمنهيات والكبائر. وأهمية السنة النبوية وكونها مصدر من مصادر التشريع الإسلامي (يشمل أصول الفقه) والالتزام بالسنة ونبذ البدع. وأحاديث الأحكام العامة، والعبادات، والمعاملات ويشمل (الجنايات والحدود)، والزواج والطلاق وآثارهما ويشمل الأسرة والطفولة، والتاريخ والحضارة، والجهاد والسير، والأحكام

---

١ انظر: همام سعيد، (الدليل التصنيفي)، ص ١٥

٢ (المعجم المفهرس...) [illegible]

السلطانية، والفتن وأشراط الساعة، والفضائل والمناقب، وموضوعات أخرى. وبعضهم يضيف موضوع (الحديث والعلوم)، ويبرزه بشكل واضح (١)، وأحاديث الفرق الإسلامية (٢)، ويسمّي آخرون موضوع الإعجاز العلمي في السنة النبوية، وموضوع الدراسات المعرفية والحضارية في السنة النبوية (٣)، من أنواع التصنيف عند المعاصرين. والمقصود بالدراسات المعرفية من السنة، المعرفة المتعلقة بالجوانب الإنسانية على وجه الخصوص، وأبرزها التربية والتعليم، والصحة والاقتصاد، أما دراسات الجانب الحضاري، فإنه يتناول موضوعين اثنين هما: البناء والفقه الحضاري، والسلوك الحضاري (٤). فالحديث الموضوعي إذا يتناول كل جوانب المعرفة الإنسانية، التي ورد بشأنها أحاديث معينة، ولا يقتصر على جانب دون آخر.

---

١ (مقدمة دليل مؤلفات الحديث الشريف وعلومه).

٢ المرجع السابق.

٣ الأحدب، (التصنيف في السنة وعلومها) – المقدمة.

٤ المرجع السابق، ج٢، ص ٤٧١، وانظر أيضاً (الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة)، ص ١٣٤ وما بعدها.

المبحث الخامس
الحاسب الآلي في خدمة الحديث الموضوعي

لقد بدأت محاولات استخدام تقنية الحاسبات الآلية ونظم المعلومات في مجال العلوم الشرعية في بداية العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، وحظيت السنة النبوية المطهرة بالنصيب الأوفى في هذا المجال مقارنة بغيرها من العلوم الشرعية؛ ولعل هذا مرده إلى ما يلي:

١ - كثرة الهجوم الذي تعرضت له السنة من أعداء الإسلام فكان في هذا تحفيزاً للهمم للذب عن السنة باستخدام أحدث وسائل العصر ألا وهو الحاسوب.

٢ - كثرة وتشعب المصنفات في مجال السنة وتعدد مصادرها، حيث لم يمكن إلى الآن جمع السنة كلها في مصنف واحد.

٤ - قصور كتب الفهرسة الموجودة حالياً للحديث الشريف.

٥ - هناك مجالات واسعة للعمل في مجال السنة، يستطيع الحاسوب أن يؤدي فيها دوراً بارزاً.

٦ - وجود مؤسسات عديدة في الدول الإسلامية المختلفة، أنشئت خصيصاً لخدمة السنة. (١) ومن أهم الإنجازات العلمية الحديثية فيما يتعلق بالحاسب الآلي نذكر ما يلي:

الأول: جهود مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي في عمان، بالأردن (٢).

تأسس هذا المركز عام (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، وله (١٥) فرعاً في العالم منها مصر وسوريا، وهو مختص بإنتاج البرامج التي تخدم التراث العربي الإسلامي باستخدام الحاسوب، وقد أنتجت حتى الآن (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م) حوالي (٦٠) برنامجاً في كافة العلوم وقد بلغ إجمالي عدد الكتب المخدومة في هذه البرامج ما يربو على (٢٠٠٠)

---

١ عبد الرزاق أسود، (الاتجاهات المعاصرة)، ص ١٩١، وقد نقله من بحث بعنوان: (الحاسوب في خدمة السنة النبوية المطهرة)، د أحمد شرف الدين، مطبوع في مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، عدد ٨ سنة ١٩٩٥، ص ٢٥٨.

٢ المرجع السابق ص ١٩٥

عنوان كتاب، تضم ما يزيد عن (٥٠٠٠) مجلد، إلا أن براجمه تفتقر إلى العناية بها تدقيقاً ومراجعة وضبطاً، ولعل سبب ما يعتري البرامج من الخلل ضخامة الإنتاج المطروح والقدر الهائل من الصفحات المطبوعة، مما يحتاج إلى جهد كبير في المراجعة والمقابلة والضبط، ومع ذلك فبرامج المركز قيّمة ومهمة وجهوده مشكورة.

وأما إنجازات هذا المركز في مجال السنة والسيرة فتتمثل بما يلي: أولا، الموسوعة الذهبية للحديث الشريف وعلومه: وهذه الموسوعة في إصدارين هما:

الإصدار الأول: يحتوي على (١٢٨) عنوان كتاب، وتبلغ مجلدات هذه الكتب(٤٠٠) مجلد، وهي على قرص واحد، وتخريج (٢٠٠) ألف حديث.

الإصدار الثاني: يحتوي على (٥٧٦) مجلد، على قرص واحد، وتم التدقيق الإملائي لقرابة (٣٠٠) مجلد وكتاب.

وثانيا: المكتبة الألفية للسنة النبوية: وتحتوي هذه المكتبة على (١٣٠٠) مجلد، في قرص واحد وفيها بعض الأخطاء.

وهناك إصدار ثالث من هذه الألفية، وتحتوي على (٣٥٠٠) مجلد، وهي في قرص واحد، ويمتاز عن سابقة بقلة الأخطاء، وعمل الفهارس فيها.

وثالثا: موسوعة التخريج الكبرى والأطراف الشاملة: وهي أشمل موسوعة إلكترونية في تخريج الأحاديث النبوية، وفيها موسوعة أطراف حديثيه شاملة، وموسوعة أطراف للأحاديث القولية، وموسوعة أطراف للأحاديث الفعلية، وموسوعة للآثار من أمهات الكتب الحديثية، وهي على قرص واحد، وفيها تخريج (٢٥٠) ألف نص مسند.

ورابعا: موسوعة الأحاديث الصحيحة: أول برنامج يضم الأحاديث الصحيحة، كما اختارها كبار أئمة المحدثين في كتبهم التي وصفت بالصحة، وهي على قرص واحد.

وخامسا: موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمعللة والغرائب: وتضم (٧٨) كتاباً من الكتب التي حكم فيها على أحاديث بالضعف أو الوضع، وفيها أكثر من (٧٠) ألفاً من الأحاديث التي حكم عليها العلماء قديماً أو حديثاً بالضعف أو الوضع، وهي في قرص واحد.

وسادسا: مكتبة الأجزاء الحديثية: وتحتوي على (١٥٠) جزءا حديثيا مسندا، وهي في قرص واحد.

وسابعا: مكتبة السيرة النبوية: وتحتوي على (٦٣) كتابا.

وثامنا: مكتبة الأخلاق والزهد والرقائق: وتحتوي على (٨٥) كتابا.

وتاسعا: مكتبة الحافظ ابن حجر العسقلاني: وتحتوي على (٢٣) عنوان كتاب.

وعاشرا: مكتبة علوم الحديث الشريف: وتحتوي على (٩٠) مجلد وكتاب، وهي على قرص واحد.

وحادي عشر: إصدار أضخم موسوعة لتراجم رواة الحديث [1].

ولدى مركز التراث مشروع مقترح طموح في إنشاء موسوعة الحديث النبوي الشريف باستخدام الحاسوب، وأهداف هذه الموسوعة كثيرة و متنوعة، ومن أبرزها أمران: الأول: استيعاب الحديث النبوي الشريف في إصدار واحد الثاني: تقريب السنّة للمسلمين خاصة، وللبشرية عامّة. وتتمثل أهداف هذا المشروع فيما يلي:

١-حصر أسماء الكتب المراد إدخالها في الموسوعة. ٢- تحديد المعتمد من الطبعات والمخطوطات. ٣-تخزين الأحاديث المسندة في الحاسوب. ٤- ترميز الأسانيد والمتون.

٥- جمع طرق الحديث بالسند والمتن، وذكر الشواهد والمتابعات. ٦- شجرة الإسناد والطبقات وصيغ الأداء. ٧- موسوعات رواة الحديث ومعاجم الصحابة، ٨- جداول الزيادات حسب مراتبها في الحكم. ٩- الحكم على الأسانيد والمتون. ١٠- حصر المتون بجميع الزيادات حسب مراتبها في الحكم. ١١- الكتاب الشامل المختصر لكلّ ما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- على أساس تصنيف موضوعي معاصر. ١٢- فقه الحديث ومعجم غريب الحديث. ١٣- المقارنات والإحصائيات. ١٤- موسوعة مصطلحات الحديث وتطبيقاتها الشاملة بعد استقرار دلالاتها.

١٥- الفهارس الشاملة الموحدة: وتشتمل على فهرس أطراف المسانيد، وأطراف الحديث، والأبواب الموضوعية، ومعجم للكلمات. ١٦- دراسات وثمرات

---

١ [illegible]

الموسوعة: من ذلك دراسة أسباب ورود الحديث النبوي، ودراسة منهجية لكتب التخريج الموسوعية ولكتب الزوائد... (١).

وهذا المشروع هدفه الكبير هو إنهاء مرحلة جمع المعلومات الحديثية التي تستهلك من الباحثين الكثير من الوقت والجهد، فتحفظ هذا الوقت وهذا الجهد ليبذلا في الدراسة والنقد والإبداع (٢). وهذه الموسوعة لها أهداف مختلفة متنوعة أذكر منها ما يتعلق بالبند الحادي عشر وهو:

الكتاب الشامل لكل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، على أساس تصنيف موضوعي معاصر، وهو أهم أهداف الموسوعة، ومجال العمل في هذا البند هو الأقسام الأربعة الأولى من الأقسام التالية:

- فقرات المتون الصحيحة لذاتها بجميع زياداتها الصحيحة لذاتها.
- فقرات المتون الصحيحة لغيرها بجميع زياداتها الصحيحة لغيرها.
- فقرات المتون الحسنة لذاتها بجميع زياداتها الحسنة لذاتها.
- فقرات المتون الحسنة لغيرها بجميع زياداتها الحسنة لغيرها.
- فقرات المتون الضعيفة بجميع زياداتها الضعيفة.
- فقرات المتون الموضوعة بجميع زياداتها الموضوعة.

والمنهج المتبع هنا هو: اختيار أصح الفقرات الأربعة الأولى، وذلك لكل حديث، وحذف المكرر من الألفاظ، وإسقاط المتقارب من المعاني، وهذه مسألة دقيقة جداً تحتاج إلى حذر شديد ورقابة شديدة ومتابعة متتالية من هيئة الإشراف على الموسوعة.

وأساس التصنيف هنا الموضوعات وفق تقسيم معاصر عام يراعي مستوى غالبية المستفيدين، أما التقسيمات والتبويبات الدقيقة للعلوم الإنسانية فتترك لدراسات مستقبلية يقوم بها أهل التخصص كل في مجال، ولأن في هذا الموضوع مجالا واسعاً

---

١ راتب عباس الخطيب، (مدير عام مركز التراث)، (موسوعة الحديث النبوي الشريف باستخدام الحاسوب)، بحث مقدم لندوة الحديث الشريف، وتحديات العصر، دبي ٢٠٠٥، ومطبوع ضمن أبحاثها، ج٢، ص ٨٢٧.

٢ المرجع السابق

للاجتهاد وتباين الرأي، فسيتم عرض عدة نماذج لمناهج مختلفة في طريقه الحذف والإسقاط على علماء الشريعة من شتى البلاد الإسلامية ومن مختلف التخصصات للاستنارة بآرائهم، واقتراحاتهم ولن يكتسب صيغته النهائية إلا بعد إفراغ الوسع في دراسة هذه الآراء والاقتراحات تفتتح مقدمات أبواب هذا الكتاب الشامل بآيات من القرآن الكريم تعالج موضوع الباب، كما يذيل كل حديث ببيان لغريب ألفاظه وشرح مبسط لمعانية(١).

إن هذه الموسوعة سيكون لها حتماً نتائج بالغة في الأهمية، وخاصة فيما يتعلق بالحديث الموضوعي، ذلك لأنها ستنهي مرحلة الجمع والترتيب لأحكام السلف في مجال تصحيح الحديث وتضعيفه، على اختلاف مناهجهم في هذا الأمر - المتقدمين منهم والمتأخرين -، وسيحدد بصورة لم يسبق لها مثيل أين اتفقوا في أحكامهم؟ وأين اختلفوا؟ وسيوضح مباشرة في المكان ذاته لماذا اختلفوا؟ مما سييسر أيما تيسير مسألة حسم هذا الخلاف في الحكم أو القبول به لأنه من مسائل الاجتهاد التي تختلف فيها الأنظار اختلافاً قائماً على أدلة علمية لا على التشهي والهوى.

وكذلك سيكون لهذا المشروع دور بارز في تسهيل الوصول إلى كل ما قيل في فقه الحديث وشرحه وغريبة من خلال ربط الحديث وطرقه بكل كتب غريب الحديث وشروحه المطبوعة والمخطوطة، وبكل ما ذكره علماء العصر الحديث في الدفاع عن كل حديث بعينه.

وأما مساهمة هذا المشروع التاريخي الضخم في مواجهة ظاهرة التهجم على كل حديث خالف العقلية العصرية، فإنها مساهمة لا تخفى، ذلك أنه بعد جمع طرق الحديث وتمييز الأحكام من خلال عبارات السلف المختصين ودراسات الخلف المتميزين وربط كل حديث بشرحه وغريبة؛ ستسقط الشبهات التي ارتكزت على مخالفة الأحاديث للعقلية العصرية بزعمهم. (٢)

---

١ راتب عباس، (بحث موسوعة الحديث الشريف باستخدام الحاسب)، ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، ج٢، ص ٢٥٩.

٢ المرجع السابق، ص ٨٧٥

وبعد ما سبق من بيان أهداف وطريقة عمل هذه الموسوعة التي لا أدري إن كتب لها الحياة أم لا، يتضح أن هذا العمل له أثر بالغ على الحديث الموضوعي وما يتعلق به، إذ إنه سيختصر ما يزيد على ٦٠٪ من جهد الباحث فيما يتعلق بالمتون، وزياداتها، والحكم عليها، وشرحها وغريبها. ومن ثم فإن هذا العمل- إن كتب له النجاح- يقرب الباحثين من استكشاف المنهج النبوي في شتى الموضوعات المختلفة التي نحن بأمس الحاجة لها للارتقاء بأمتنا ضمن تصور صحيح مستمد من الحديث الشريف.

ومع كل هذه الفوائد العظيمة المرتجاة من جهاز الحاسب وإمكاناته، إلا أن السلبيات المختلفة تقلل الاعتماد عليه، واعتباره نهائياً في نتائجه ومن أبرز ما يلحظه طالب العلم من سلبيات ويجب عليه التنبه له مايلي: [1].

١ -كثرة الإصدارات التي تشوش على الباحث، وخاصة في ظل عدم وجود منهجية موحدة بينها.

٢ - أن نسبة كبيرة من القائمين على هذه البرامج لا دراية لهم بعلوم الحديث وما يتعلق بها، وغير مختصين في الحديث الشريف، أو تحقيق التراث، لذا تكثر الأخطاء والسقط والتحريف. وكذلك الأخطاء العلمية في الحكم على الحديث والتعريف بالرجال وغيرها.

٣- حذف التحقيقات من كتب هي بأمس الحاجة إلى وجود التحقيق فيها، مما يضعف الاعتماد على هذه الكتب والوثوق بها.

٤ - بالإضافة إلى مشكلات تتعلق بالبحث، والتصفح، والترقيم، والحماية.. . . .

٥ -عدم وجود دراسات علمية للأحاديث من قبل المختصين بالحديث.

لذا فإنه ينبغي على الباحث أن يكون متيقظاً في التعامل مع هذه الإصدارات، ولا يعتبر ما فيها من معلومات قطعياً، بل عليه المراجعة والبحث حتى يصل لأعلى مستوى من التحقيق.

١ انظر بحث بعنوان (تقويم الجهود المبذولة في خدمة الحديث الشريف)، مقدم لندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، ج٢، ص ٨٠٧، وكتاب (الاتجاهات [illegible]

الثاني: شركة حرف لتقنية المعلومات في الكويت[1]

في عام(١٩٨٢) تأسست شركة صخر لبرامج الحاسب في أحدى فروع شركة العالمية للإلكترونيات، ثم إن شركة صخر أنشأت سنة (١٩٨٥) إدارة باسم مركز التراث الإسلامي معنية بإنتاج البرامج الإسلامية، ثم تحولت إلى شركة البرامج الإسلامية الدولية، ثم استقرت تسميتها بعد ذلك بشركة حرف لتقنية المعلومات، وهي من أول الشركات عملاً في هذا المجال، إذ قامت بوضع المصادر الإسلامية الكبرى على وسائل إليكترونية. وقد أنجزت هذه الشركة ما يلي:

أ- موسوعة الحديث الشريف: وهي مكتبة شاملة لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، من كتب الحديث التسعة، وهي على قرص واحد، وقد أصدرت منها إصداران، وهي:

١- صحيح البخاري. ٢- صحيح مسلم. ٣- سنن أبي داود. ٤- سنن الترمذي.
٥- سنن النسائي. ٦- سنن ابن ماجه. ٧-موطأ مالك. ٨- مسند أحمد.
٩- سنن الدرامي.

ويزيد عدد أحاديث هذه الكتب على (٦٢) ألف حديث، وتمتاز هذه الموسوعة بالتقنية العالية، والسبق الزمني، والتفوق على جميع الشركات المنافسة في مستوى الخدمات الفنية والمعلوماتية التي يقدمها حتى الآن.

ب- برنامج صفوة الأحاديث: ويشتمل على مجموعة مختارة من الأحاديث الصحيحة، مع الترجمة الكاملة للبرنامج بكافة محتوياته.

ج- موسوعة السيرة النبوية: وفيها عرض كامل لسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم - وهديه وحياته.

١ أسود، عبد الرزاق، (الاتجاهات المعاصرة)، ص ١٩٨، وقد نقله عن كل من، التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة والنبوية بين الواقع والمأمول: د. إبراهيم بن حماد السلطان الريس: ١٢، والموسوعة الحديثية الشاملة بين الواقع والمأمول: د. زهير بن ناصر الناصر: ٨١، وطرق تخريج أقوال الصحابة والتابعين والتخريج بالكمبيوتر: د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي: ١٦٥، وانظر موقع شركة حرف على الانترنت: www.harf.com

د- البيان فيما اتفق عليه الشيخان: يعرض البرنامج أكثر من (١٧٠٠) حديث متفق عليها بين الإمامين البخاري ومسلم. وهناك برامج أخرى كثيرة أنجزت في مجال الحديث الشريف وعلومه، وأبحاث نظرية كثيرة حول إمكانية الاستفادة من الحاسب في مجال علم الحديث (١)، اكتفي بما ذكرته.

١ انظر(الاتجاهات المعاصرة) ص ١٩٤وما بعدها، حول جهود [illegible] كلمة الحاسب الآلي للحديث الشريف، وأهم [illegible] [illegible]

الباب الثاني

لوازم دراسة الحديث الموضوعي ومناهجه ومراحله

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: لوازم دراسة الحديث الموضوعي

الفصل الثاني: مناهج ومراحل دراسة الحديث الموضوعي

ويتضمن الفصل الأول المباحث التالية:

المبحث الأول: دور المحدث في فقه الحديث

المبحث الثاني: ضوابط فهم الحديث

المبحث الثالث: العلوم اللازمة لدراسة الحديث الموضوعي

ويتضمن الفصل الثاني المباحث التالية:

المبحث الأول: مناهج دراسة الحديث الموضوعي

المبحث الثاني: مراحل دراسة الحديث الموضوعي ١

المبحث الثالث: مراحل دراسة الحديث الموضوعي٢

الزرقا، مصطفى أحمد [illegible]

المبحث الأول

دور المحدث في فقه الحديث

المطلب الأول

دور المحدث وحدوده نقد وتقييم وتصحيح

بين الله تعالى وظيفة النبي الأساسية المكلف بأدائها فقال: {لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} (١٦٤سورة آل عمران)، تبين هـذه الآيـة التـي تكرر معناها في سور أخرى أن مهمة الرسول -صلى الله عليه وسلم - لا تنحصر في تبليغ الكتاب الذي يتضمن كلام الله تعالى إلى الناس وتلاوة آياته بل من مهمته أيـضا ثلاث نواح أخرى هامة.

أولها: تعليم هذا الكتاب، أي تفهيم الناس معاني آياته ومقاصد نصوصه، وأوامره ونواهيه وكشف معـالم الطريـق، لـيمكن للمـؤمنين تطبيـق نـصوصه بـصورة تحقـق أغراضها العامة الإصلاحية وتحافظ على روحها.

وثانيها: تعليم الحكمة وإيضاح طرقها وأساليبها في القول وفي العمـل وفقـا لقوله تعالى في موطن آخر: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَنَةِ وَجَـادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلم بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أعلم بِالْمُهْتَدِينَ} (١٢٥) سورة النحل، ذلك أن العمل بأوامر القرآن وتطبيق ما جاء فيه يحتاج إلى الحكمة التـي هي الثمرة التجريبية للعقل الناضج في الإدارة والتدبير، فالحكمة هي الكفيلة بحـسن التطبيق والمحافظة على المقاصد الأساسية العامة في التربية والتشريع.

وثالثها: تطهير قلوب المـؤمنين وأعمالهـم مـن الملابـسات التـي قـد تـشوبها فتفسدها وذلك بزرع الإخـلاص في نفوسـهم والإيثـار وحـب الخـير ووزن الأمـور بميزان المصلحة العامة لا بميزان الأهواء والمصالح الخاصة وهذا معنـى تـزكيتهم(١). فهذه المهمات الثلاث التي قام بها الرسول- صلى الله عليه وسلم- والتي هي منبثـة في صفحات حياته ومراحلها كلها في أقواله وأفعاله يجب على المؤمنين في جميـع العـصور

---

١ [illegible]

معرفتها لأنها ترسم الطريقة الصحيحة في فهم الإسلام وتطبيقه وليس لها مصدر يرجع إليه إلا السنة النبوية.

وهكذا يجب أن يكون المحدث وهو الذي يفهم حديث النبي عليه الصلاة والسلام على الوجه الأحسن، فإن لم يخدم المحدث غايات الأمة وحاجاتها، ويظهر مبادئ الدين التي تصحح مفاهيم العامة والخاصة، ويقوم الأفكار والمبادئ الخلقية والسلوكية عند الناس، ويبرز الحلول النبوية لمشكلات الأمة وقضاياها فهو راو وجامع حديث، إن المحدث الذي نرتجيه اليوم هو الذي يكشف عن هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – في المجالات التي يحتاجها الناس بأحكم أسلوب، وأبين حجة، وأقصر طريقة.

إننا في هذا العصر المتنكر للدّين، والقيم الروحية والخلقية، المليء بالشبه الإلحادية المادية والعقلية، المفعم بمعارف لا عهد لأسلافنا بكثير منها، ولا بطرائقها ووسائلها – مطالبون أشد المطالبة بالقيام بعمل جاد لخدمة الحديث، وإتاحة فهمه للناس بروح تقدر الواقع، وتقف معه وتواجهه، ولا تتهرب منه، وتفهمه وتفهم طرائق علاجه، بدراسة الآراء والمذاهب الذائعة دراسة تعتمد على ضوء الهدي النبوي، ودحض الزائف منها بالحجة النيرة، والترحيب بكلّ ما يظهر أنّه حق وخير وهدى ورحمة للناس والحياة. وهذا – بلا شك – عمل شاق، تنوء به كواهل الأشداء ؛ لأنه عمل يطالبنا بأن نغير الكثير من مناهج تعليمنا وتربيتنا وسلوكنا وأفكارنا ومظاهر حياتنا. (١) هذا هو دور المحدث أو ما ينبغي أن يكون، وإذا كان المفسرون قد قطعوا شوطا بعيدا في هذا الباب فلماذا لا يكون المحدثون على أثرهم والقرآن والحديث توأمان في الحجة والدلالة والبلاغ.

إن المشكلة اليوم عند جمهور المحدثين بل وعلماء الشريعة تكمن في أنهم يرون أن دور المحدث ينتهي عند تصحيح الحديث أو تضعيفه، فدوره هو نقل الحديث ثم بحثه من حيث الصحة والضعف، والطرق والشواهد والمتابعات – وهو والله دور عظيم

---

١ المودودي، أبو الأعلى، (مبادئ أساسية لفهم القرآن)، ترجمة خليل الحامدي (١٩٨٩)، الدار السعودية للنشر، جدة، ص١٩ نقلاً عن الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي، ص ٨ وقد [illegible]

وكبير – ولكن هل يقف دوره عند هذا الحد، دون التعمق بفقه الحديث والاستنباط منه، ومعالجة واقع الناس والنهوض بهم !!!

على كلٍ فإن هذا الدور للمحدث هو الذي فهمه الكثيرون، ومازال هذا الفهم هو المسيطر على عقول أغلب العاملين في مجال الحديث، و تعريف المحدث هو من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية ويطلع على كثير من الروايات وأحوال رواتها (١).

وعلم الحديث رواية هو: الذي يقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما أضيف إلى النبي- –صلى الله عليه وسلم – –من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، ولكل ما أضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين على الرأي المختار (٢).

وعلم الحديث دراية هو: مجموعة من المباحث والمسائل يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد (٣). إذن فالجانب الفقهي غير متضمن أصالة في عمل المحدثين خاصة من بعد ابن حجر رحمه الله (٤)، وبعض ما يتعلق بالفقه في أعمالهم ليس مقصودا لذاته وإنما من أجل الحكم على الحديث.

ويكفي أن ننظر في الأبحاث المقدمة للمؤتمرات والندوات العلمية، وكذلك الأبحاث المقدمة من أساتذة الحديث للترقية، وأطروحات الدكتوراه والماجستير في الجامعات المختلفة ودراسات علماء الحديث المشهود لهم بالعلم والفضل، لنرى قلة الأبحاث في مجالات فقه الحديث بالمقارنة بغيرها من أنواع الدراسات الحديثية. مما يؤكد أن النظرة العامة للمحدث أنه كالصيدلي يصنع الدواء ويقدمه للطبيب (الفقيه) الذي بدوره يعطيه للمريض يستشفي منه. وكأن قول الأعمش: أنتم الأطباء ونحن الصيادلة. (٥) أصبح قدرا لازما على كل المحدثين وفي كافة العصور ؟!وحتى

---

١ الطحان، محمود، (تيسير مصطلح الحديث)، ص ١٧، مكتبة المعارف الرياض. ط٨ ١٩٨٧

٢ الصالح، صبحي، (علوم الحديث ومصطلحه)، ص ١٠٧، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٧، ١٩٨٨.

٣ المرجع السابق.

٤ المليباري، (نظرات جديدة في علوم الحديث)، ص٦٠، المكتبة المكية ودار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٥.

٥ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، (جامع بيان العلم وفضله)، تحقيق فواز أحمد زمرلي، ج٢، ص ٢٥٥، مؤسسة الريان ودار ابن حزم [illegible]

لو جهزت جميع الأدوية وأصبحت في متناول الجميع ؟!

إن بعض طلاب الحديث يفكرون بشتى الموضوعات لرسائلهم الجامعية إلا ما يتعلق بفقه الحديث، وتقديمه للناس بصورة محببة مقبولة تعالج الواقع والحياة، وإن كان فأغلبه دراسات جمع وترتيب وقلّ من يشذ عن ذلك، والسبب هو الخوف من الإقدام على مثل هذه الموضوعات لعدم وجود القدرة العلمية والنفسية الكافية لخوض غمارها، وهذا إن كان يحمد في جانب الورع ومعرفة قدر النفس، ولكننا قد تركنا فراغا كبيرا في الساحة العلمية ملأه غيرنا.

وقد آن الأوان لفتح أبواب الحديث الموضوعي أمام طلبة الحديث والباحثين فيه، حتى لا يعيش محدث اليوم في العصر المملوكي أو عصر الدولة العثمانية، وهذا يتطلب جهودا كبيرة، ابتداء من تعريف المحدث، ثم بحث وظيفته ودوره، ومنهج تعامله مع قضايا عصره وواقعه، إن كثيرا من رسائل اليوم في موضوعات الحديث توضع على الأرفف وفي المكتبات، لا يطلع عليها إلا أقل القليل، حتى إن كاتبها لا يتأثر بها لبعدها عن واقع الحياة. والمطلوب أن يكون هناك نظر جديد في دور المحدث، وموازنة في أنواع الدراسات الحديثية بين ما يتعلق بفقه الحديث، ودراية الحديث وروايته.

إننا إذا قبلنا في مرحلة ما عدم انشغال المحدث – خاصة الراوي – بالفقه، فإننا لا نقبل هذا اليوم، لأن الغاية من الاشتغال بالحديث في زماننا تقديم السنة لمعالجة مشكلات الناس، والتفاعل مع واقعهم، بمعنى تنزيلها على الواقع أو تنزيل الواقع عليها. (١)

المطلب الثاني
فقه الحديث وأهميته للمحدث

كان فقه الحديث أحد أهم ما يميز علم المحدثين، وقد جعل الحاكم رحمه الله النوع العشرين من أنواع علوم الحديث: (معرفة فقه الحديث)، إذ هو ثمرة هذا العلم وبه

١ انظر: سعيد، عبد الجبار، (منهجية التعامل مع السنة)، مجلة إسلامية [illegible] للفكر الإسلامي، العدد الثامن عشر، السنة الخامسة، ١٩٩[illegible] ٥٥٢.

قوام الشريعة. قال – رحمه الله –: ونحن ذاكرون بمشيئة الله في هذا الموضع فقه الحديث عن أهله، ليستدل بذلك على أنه أهل هذه الصفة من تبحر فيها لا يجهل فقه الحديث. إذ هو نوع من هذا العلم (١). ثم ذكر بعض فقهاء المحدثين، كالزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، والاوزاعي، وسفيان بن عينية، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وعلي بن يحيى التميمي، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني.. .. ثم ذكر أصحاب الكتب الستة وغيرهم كثير من المحدثين. وما أحوج محدثي اليوم أن يكونوا كمحدثي العصور الزاهرة الذين كانوا يجمعون الفقه إلى الحديث وكانوا يسمّون فقهاء الحديث. أو المحدثين الفقهاء.. . فإنك تجد للواحد منهم كتاباً في علم الحديث رواية ودراية، كما تجد لهم كتباً أكثر في فقه الحديث، أو يجمعون بين الأمرين بكتاب واحد كما فعل أصحاب الكتب الستة وغيرهم. يقول علي بن المديني- وهو عالم الحديث والعلل والجرح والتعديل -: التفقه في معاني الحديث نصف العلم ومعرفة الرجال نصف العلم (٢) وعن علي بن خشرم كنا في مجلس سفيان بن عيينه فقال: يا أصحاب الحديث تعلموا فقه الحديث حتى لا يقهركم أصحاب الرأي (٣)

ويقول النووي عند حديثه عن علم مختلف الحديث: وإنما يكمل له الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه، والأصوليون الغواصون على المعاني (٤)، كل ما سبق يؤكد أن فقه الحديث نصف علوم الحديث ومن ثم فإن جميع كتب علوم الحديث المطولة مثل معرفة علوم الحديث للحاكم، والكفاية للخطيب البغدادي، وسائر كتب المصطلح تحوي مبحث الناسخ والمنسوخ، ومبحث مختلف الحديث، ومبحث غريب الحديث، ومبحث الترجيح، ومبحث حجية السنة، بل أصبحت من أهم

١ الحاكم، (معرفة علوم الحديث) ص٢٤٦، تحقيق أحمد بن فارس سلوم، دار ابن حزم- بيروت ط١ ٢٠٠٣م.

٢ الذهبي، (سير أعلام النبلاء) ٤٨/١١ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ.

٣ الحاكم، المرجع السابق.

٤ النووي، [illegible]

القضايا التي عالجتها كتب علوم الحديث(١).

وعلى كلٍ فإن علوم الحديث عند المتقدمين تضم الجوانب الفقهية بقدر ما تضم معرفة الصحيح والسقيم، وإنهم كانوا يولون أهمية بالغة للفقه كما يظهر ذلك جلياً من نصوصهم وأعمالهم العلمية وخصوصاً الإمام البخاري وبقية فقهاء المحدثين.

ومن مظاهر عناية المحدثين بفقه الحديث أيضا تصنيفهم المصنفات والدواوين لجمع السنة، وترتيبها على الأبواب الفقهية مع الترجمة لأحاديث الباب للدلالة على فقه الحديث، واهتمامهم الواسع بالآثار جمعا وترتيبا وتبويبا، ودعوة أئمة المحدثين للتفقه في الحديث وضرورة الوصل بين الحديث وفهمه(٢)، ومن ذلك قول وكيع: يا فتيان، تفهموا فقه الحديث، فإنكم إن تفهمتم فقه الحديث لم يغلبكم أهل الرأي (٣)

ولكن ما هي السمات العامة لهذا الفقه ؟ إن كثيرا من الباحثين والدعاة ما زالوا يبحثون عن المنهج الأمثل والاتجاه الأصوب في فهم الحديث الشريف. فهماً صحيحاً يكفل لهذه الأمة حسن العلم وسداد العمل، ويكون كفيلاً بإعطاء الحلول لكل المشكلات والأزمات والتساؤلات الراهنة والمعاصرة. وكيف يمكن إذن تفعيل أثر السنة النبوية، وإحياء دورها في تصحيح مسار الأمة، وإعطاء الرؤية الواضحة والتصور السليم والفهم القويم، الذي يساعد على تقديم التفسير الصائب والمقنع لكل القضايا والمشاكل الراهنة.

لقد نبه كثير من العلماء إلى ضرورة حسن فهم حديث رسول الله - -صلى الله عليه وسلم - حتى نقوم بهذا الدين كما أراده صاحبه صلى الله عليه وسلم. ويجب أن يفهم عن رسول الله - -صلى الله عليه وسلم - - مراده من غير غلوّ ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه، من الضلال والعدول عن الصواب، مالا يعلمه الا الله، بل

---

١ المليباري، (نظرات جديدة في علوم الحديث) ص ٥٩ دار ابن حزم ط ١ ١٩٩٥

٢ عبد المجيد محمود، (الاتجاهات الفقهية عند المحدثين) ص ٢٨٤-٢٩١، وبحث فقه الحديث بين أصول المتقدمين وآراء المحدثين ص ١٩٢

٣ الخطيب، (الفقيه والمتفقه) ٢/ ١٦٢ نقلا عن [illegible] أصول المتقدمين وأراء

سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعه وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع... وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر طوائف أهل البدع، إلا سوء الفهم عن الله ورسوله _ - صلى الله عليه وسلم - - حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس، هو موجب هذه الافهام ! والذي فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسوله - -صلى الله عليه وسلم - - فمهجور لا يلتفت إليه، ولا يرفع هؤلاء به رأساً(١).

أهم سمات مذهب أهل الحديث في فقه السنة النبوية أن فقهاء أهل الحديث العاملين به، معظم همّهم البحث عن معاني كتاب الله عزّ وجلّ، وما يفسّره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين بإحسان، وعن سنة رسول الله - -صلى الله عليه وسلم - - وصحيحها وسقيمها، ثم الفقه فيها وتفهيمها والوقوف على معانيها، في أنواع العلوم من التفسير والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السنة، والزهد والرِّقاق، وغير ذلك. وهذه طريقة الإمام أحمد ومن وافقه من أهل الحديث الرّبانيين، وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرأي مما لا ينتفع به ولا يقع، وإنما يورث التجادل فيه الخصومات والجدال، وكثرة القيل والقال. (٢)

ومن خلال استعراض فقه المحدثين نخلص إلا أن من سماته أيضا عندهم:

حجية السنة؛ فكل ما صح عندهم حسب القواعد العلمية، يجب المصير إليه في جميع أبواب الدين، إن الأخذ بالسنة النبوية ليس في حقيقته إلا أخذا بالقرآن الكريم، ومن ثم فإن الأعراض عن السنة لا يمكن الا أن يكون أعراضا عن القرآن الكريم، والقول في حجية السنة بات بدهياً، وأدلة حجيتها القاطعة معروفة بالضرورة لكل مسلم. وكيف يرتاب في حجية السنة من يصدق قول الله عز وجل: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٧) سورة

---

١ ابن القيم شمس الدين، ت٧٥١، كتاب (الروح) ص٩١ تحقيق: عبد الفتاح محمود، ط٢دار الفكر ١٩٨٦

٢ ابن بدران عبد القادر بن بدران الدمشقي (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد) ص١٢١ مؤسسة الرسالة - بيروت

الطبعة الثانية، ١٤٠١ تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي

الحشر وقوله سبحانه: { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٤٤) سورة النحل.

ورغم كثرة الشبهات التي ألقاها أعداء الدين، إلا أن الذي يعتقده كل مسلم أن السنة النبوية الثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم - حجة في العقائد والأحكام. وباتت هذه القضية من المسلمات(١)، وأن إنكار حجية السنة موجب للردة عند جميع العلماء على ما قاله ابن عبد البر وغيره من العلماء. (٢) وأدلة حجية السنة التي هي من المعلومات من الدين بالضرورة كثيرة منها، القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وتعذر العمل بالقرآن وحده، والإجماع. (٣)

وقد أجمع المسلمون على أن ما صدر عن رسول الله - -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير وكان مقصودا به التشريع والاقتداء ونقل إلينا بسند صحيح يفيد القطع أو الظن الراجح بصدقه يكون حجة على المسلمين. (٤)

ومن سمات فقه المحدثين الإتباع ونبذ التقليد ؛لأنه لا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وسلم، يقول مالك بن أنس رحمه الله: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه. (٥) ومن سماته الجمع بين الحديث والفقه، فكل أو جل علمائهم قد جمعوا بين الفقه والحديث.

ويظهر الجانب الروحي في فقه المحدثين واضحا، وهذا المنهج يربط الفقه دائما بالخالق عز وجل بمعرفة صفاته، وخوفه ورجاءه، لأن الفقه إذا تخلص من جانبه الإيماني بات قوانين جافة لا تثمر ما أراده الله عز وجل منها، لذا فقد تميز منهجهم من هذه الجهة بعدم الجرأة على الفتيا، وذمهم الكثير من المسائل وتقديرها، وعدم جزمهم

---

١ عبد الغني عبد الرازق، (حجية السنة) ٢٤٨- ٢٤٩و ٢٧٥.

٢ المرجع السابق، ص ٢٤٥ و ص٣٢٧، ط١، ١٩٨٦، المعهد العالمي للفقه الإسلامي.

٣ المرجع السابق، ص ٢٧٨.

٤ خلاف، علم أصول الفقه، ط١٤- دار القلم- الكويت. ١٩٤٢

٥ الألباني، مقدمة كتاب صفة صلاة الرسول صلى [illegible]

بالأحكام(١).

والناظر في مصنفاتهم يجد هذا الأثر حتى تجد أحاديث الزهد والأدب والرقائق، وأدأب السلوك في المأكل والمشرب والمنام، وحقوق الناس إلى جانب أحكام العبادات والمعاملات، وذلك حتى يصبح الناس على صلة وثيقة بمصادر أحكامهم.

ومن سمات فقههم وحدة الفهم وقلة النزاع؛ وهذا أساسه حسن الفهم ووحدة المنهج، وقد كان يسر فقههم، نتيجة ليسر هذا الدين، وأنه بعيد عن تعقيدات المتكلمين وفلسفات النساك، وتضييقات الفقهاء[٢]

هذه القواعد ينبغي أن تكون قلادة في عنق كل باحث في حديث رسول الله - - صلى الله عليه وسلم - - لا يتجاوزها في فهمه وكتابته وسلوكه وكل شؤونه، مراعيا أيضا للسمات العامة للمنهج النبوي، حيث الشمول لحياة الإنسان كلها، والتوازن بين كل ما يسمى متناقضات في الأفكار الأخرى؛ واليسر والسهولة والسماحة في جميع شؤونه، ومن هذه المبادئ الثلاثة يستمد الباحث منهجيته، ويحكم تصوراته.

---

١ عبد المجيد محمود، الاتجاهات الفقهية ص ٤١٣.

٢ عومار، صالح بن [illegible]، فقه الحديث بين [illegible]، ج٢ص ١٩٨، بحث مقدم لندوة الحديث

٦ [illegible]

المبحث الثاني
ضوابط فهم السنة

يقوم منهج المحدثين في فهم السنة على ضوابط عدة من أهمها: اعتماد الدليل والآثار، وجمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد، وفهم الحديث في ضوء مقاصد الشريعة، وفهم الحديث في ضوء قواعد اللغة ودلالة السياق على الحكم، بالإضافة إلى قواعد أخرى عامة مشتركة مع غيرهم، ومقصدنا هنا التنبيه على الأصول العامة التي استند إليها المحدثون في فهم السنة والتي تميزهم عن غيرهم.

وتفصيل هذه الضوابط في المطالب التالية:

المطلب الأول
الدليل أساس الفقه

والمقصود بالدليل القرآن الكريم والحديث الشريف، وما دل عليهما كل من القرآن والحديث. وقد ذكرت هذا الضابط لفهم السنة في مقابل طرفين من الناس، الأول من يقول نكتفي بالقرآن الكريم دون السنة ولا حاجة البتة إلى السنة، والثاني من يخفف من حدته قليلاً فيقول إن الحديث الصحيح الذي استكمل شروط الصحة لا ينبغي قبوله حتى يعرض على القرآن الكريمْ فإن كان متن الحديث يعارض ظاهر القرآن، أو إيماءاته الخفية، أو روح توجيهاته العامة، فهو مردود فلا يشترط أن تكون المعارضة لمحكمات القرآن ذات الدلالة القطعية، بل كل ذلك سواء دلالات القرآن القريبة والبعيدة أو مبادئه العامة. (١)

والذي ينبغي التنبيه إليه أن منهج عموم المحدثين يقوم على أن السنة مستقلة بتشريع الأحكام، وفي حديثه عليه الصلاة والسلام أنه قال: لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه(١). وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على الكتاب وأنه مهما ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - كان حجة بنفسه(٢).

وقال الشوكاني رحمه الله: أعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام وقد ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه(٣) . (٤).

وقال النووي رحمه الله: إن شرعنا مبني على الكتاب العزيز، والسنن المرويات، وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهيات، فإن أكثر الآيات الفروعيات مجملات، وبيانها في السنن المحكمات، وقد اتفق العلماء على أن من شرط المجتهد من القاضي والمفتي أن يكون عالماً بالأحاديث الحكميات فثبت بما ذكرناه أن الاشتغال بالحديث من أجل العلوم الراجحات. وأفضل أنواع الخير وأكد القربات(٥).

وقد رأى المحدثون أن عرض السنة على القرآن أمر خطير، يؤدي إلى القول بترك السنة أصلاً والاقتصار على الكتاب، وهذا رأي الخوارج والروافض ولو ساغ رد سنن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - لما فهمه الرجل من ظاهر الكتاب لردت بذلك أكثر السنن وبطلت بالكلية فما من أحد يحتج عليه بسنة صحيحة تخالف مذهبه ونحلته إلا يمكنه أن يتشبث بعموم آية أو إطلاقها ويقول هذه السنة مخالفة لهذا العموم أو هذا فلا تقبل. (٦) السنة مع الكتاب في مرتبة واحدة من حيث الاعتبار والاحتجاج بهما على الأحكام الشرعية، وقد نجد بعض العلماء يجعلون السنة في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، وإنما ذلك من حيث الثبوت، لا من حيث الحجية، لأن السنة وحي

---

١ الدريس، خالد بن منصور، (مسالك تضييق الاحتجاج بالسنة في الفكر الإسلامي) – مطبوع ضمن ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر ج١ ص٩٤. وبين أن هذا الرأي هو كلام الشيخ الغزالي رحمه الله في كتابه السنة النبوية ص ١٩ و ١٤٣. [illegible] للمعهد العالمي للفكر الإسلامي [illegible]

---

١ أبو داود، (السنن) كتاب السنة باب في لزوم السنة رقم ٤٦٠٥ وقال الألباني صحيح، والترمذي رقم ٢٦٦٣بنحوه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

٢ البغوي، (شرح السنة) ج١ ص ٢٠٠ تحقيق زهير الشاويش– المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق ط٢ ١٩٨٣م.

٣ أخرجه أبو داود، في (السنن)، كتاب السنة، باب في لزوم السنة رقم ٤٦٠٤. وصححه الألباني.

٤ الشوكاني، (إرشاد الفحول١) / ١٢٠ – ١٢١، مطبعة نزار الباز – مكة المكرمة – الرياض ط١ ١٩٩٧م.

٥ النووي، (المنهاج شرح صحيح مسلم) ص ١٥ – ط١ بيت الأفكار الدولية – الرياض.

٦ [illegible] د. ت.

مثل الكتاب الكريم، فيجب القول بعدم تأخرها عنه في الاعتبار، ومن المعلوم أنه قد جاءت في الكتاب الكريم آيات تدل على حجية السنة، لذا فإن إهدار العمل بالسنة بحجة تعارضها مع ظاهر آية، يوجب إهدار الآيات التي نصت على حجيتها. (١).

فالسنة والقرآن كلاهما من عند الله عز وجل، فكل منهما مستقل في الحجية لأن كليهما وحي، لذا فلا يمكن الاختلاف بينهما في الواقع، ويستحيل أن يوجد كتاب وسنة كل منهما قطعي الدلالة والثبوت بينهما تعارض من كل وجه، مما يشترط لتحقق التعارض في الواقع.

وإذا تعارضت آية في الظاهر مع حديث نبوي -فإذا كانت دلالتها أو دلالة أحدهما ظنية، أو كانت دلالتها قطعية ولم يتحد الزمن فهذا أمر جائز واقع كثير، وحينئذ فإنه يجب اعتبارهما كما لو كانا آيتين أو سنتين، حيث أنهما متساويان، فنلجأ إلى النسخ أو الترجيح، أو الجمع أو التوقف، فأما أن نقول بإهدار أحدهما مباشرة، بدون نظر في أدلة الجمع والترجيح والنسخ، فهذا لا يصح بحال أن يذهب ذاهب إليه. إن علماء الأصول والفقه يقولون بتخصيص السنة لعام الكتاب، وتقييدها لمطلقه، ونسخها له، وأنه تؤوله وتوضح مجمله، وتبين أن المراد منه خلاف ظاهره، فهذا نتيجة لاعتبار أن السنة والقرآن بمرتبة واحدة[٢].

ويميل غالب المحدثين إلى تقديم السنة على الكتاب، وهو المراد بقولهم إن السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة كما قال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتابويقول مكحول: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب ويقول ابن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة[٣]، وذهب قليل منهم إلى أنها في مرتبة واحدة كالإمام أحمد والبخاري[٤].

وفي دراسات الحديث الموضوعي نسير وفق منهج المحدثين من حيث استقلالية السنة وقدرتها على إنشاء الأحكام، وقدرة الباحث على استنباط الأحكام المختلفة من

---

١ عبد الغني عبد الخالق، (حجية السنة)، ص ٤٨٥- ٤٨٨، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٢ عبد الغني عبد الخالق (المرجع السابق)

٣ الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، (الكفاية في علم الرواية)ص١٤ [illegible]

٤ عبد المجيد محمود، (الاتجاهات الفقهية عند [illegible]

السنة وذلك لغنى الحديث الشريف في جميع الجوانب، ولأن كل ما تضمنه القرآن الكريم من مبادئ أساسية قد جاء مثلها عن النبي -صلى الله عليه وسلم - مع زيادة توضيح وبيان، مصداقا لقوله تعالى { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٤٤) سورة النحل، لذا فإني أرى أن السنة أوسع دلالة من القرآن الكريم وأكثر ضبطا في دراسات الحديث الموضوعي، وقد ضرب بعض الباحثين مثالا على ما سبق من المعرفة الخاصة بعلم الاجتماع فقال: فالقرآن يوصينا أن نقيم علاقة طيبة مع أفراد المجتمع بينما السنة جاءت وفصلت كيفية العلاقة في محيط الأسرة وكيف تكون مع الجار ومع الأمة وكيف تكون مع العالم. من أجل ذلك يجب أن تنهض أسس أحوال المجتمع الإسلامي على السنة النبوية المطهرة، وعلى هذا الأساس فإنه ينبغي أن يكون مصدر أي نوع من المعرفة التي تتصل بالمسلم نابعة من السنة التي هي المصدر الثاني في التشريع بعد القرآن. هذا فيما يتعلق بالمعرفة أما فيما يتصل بالشريعة فإن تفاصيل الشريعة تعتمد كليا على السنة[١]

وأما نسبة السنة إلى القرآن الكريم من جهة ما وردفيها من القضايا فلا تعدو أن تكون واحدة من ثلاث[٢]:

١- أن تكون سنة مقررة ومؤكدة لما جاء في القرآن الكريم ومن هذا النوع: الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة،.. ..

٢-ما كان بيانا لماورد في القرآن وإظهارا للمراد منه وإزالة لما فيه من خفاء وتوضيحا وشرحا لما غمض منه ويكون بيان السنة للقرآن على ثلاثة أوجه:

أ-تفصيل المجمل، ومثال السنة المبينة للقرآن بيان لفظ الصلاة والزكاة والحج والبر..

ب-تخصيص العام: ومن ذلك أن الله تعالى أمر أن يرث الأولاد الآباء أو الأمهات على نحو ما بين قوله تعالى:. {يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ } (١١) سورة النساء، فكان هذا الحكم عاماً في كل أصل مورث، وكل ولد وارث،

---

١ الصادق، أبو الحسن محمد، من التعليقات على أبحاث ندوة السنة ومنهجها في بناء المعرفة ج٢ص٥٢٩

٢ [illegible]

فقصرت السنة الأصل المورث على غير الأنبياء، بقوله صلى الله عليه وسلم»: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقه[1].

ج-تقييد لمطلق القرآن: كما في قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالا مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٣٨) سورة المائدة، فإن قطع اليد لم يقيد في الآية بموضع خاص، ولكن السنة قيدته بأنه من الرسغ، كذلك قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) سورة الحج، قد أوجب الطواف مطلقاً، ولكن السنة الفعلية قيدته بالطهارة.

٣-قضايا جديدة سكت عنها القرآن، ومثلوا لذلك بتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وتحريم الذهب والحرير للرجال، وحد شرب الخمر. والأحكام الخاصة بهذه القضايا لا تتناقض مع أحكام القرآن، بل تلتقي معها، ولهذا جاءت الأوامر القرآنية بطاعة الرسول استقلالا. وأؤكد على أن السنة فيها من السعة ما يجعل الباحث يخوض غمار موضوعات شتى ويجد فيها مبتغاة دون الحاجة للرجوع في أساس الموضوع إلى غيرها وخاصة في الأمور التي لم ترد تفصيلا في القرآن الكريم.

المطلب الثاني

الآثار عن الصحابة موجه أساسي في فقه أهل الحديث

يعد هذا الضابط من أبرز معالم مدرسة المحدثين في فقه الحديث النبوي وبه تميزوا عن جميع المذاهب والفرق. وكان أغلب الفقهاء يأخذون بأقوال الصحابة والتابعين. إلا أن ذلك كان أصلاً تبعياً عندهم على تفاوت بينهم. وقد زلت أقدام كثيرة بالابتعاد عن هذا الأصل الهام، فأخطاء أهل الرأي، وجمود أهل الظاهر من ثمرات عدم اعتدادهم بالآثار.

وذلك لأن الآثار مبينة للسنة النبوية، وموضحة لأبعادها ومقربة لفهمها، وقد اجتهد أهل الحديث في جمعها وحفظها وتدوينها تتمة منهم لحفظ السنة. ومن قول

---

١ مسلم في كتاب الجهاد والسير باب حكم الفيء، بلفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

النبي صلى الله عليه وسلم: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ[1] يتبين أهمية هذا الأساس في حسن الفهم للسنة النبوية. ونرى المصنفات الكثيرة التي اهتمت بتدوين فقه السلف كمصنف ابن أبي شيبه، ومصنف عبد الرزاق وموطأ مالك، وصحيح البخاري وغيرهم. وهذا المنهج أصيل في فقههم تناوله فقهاء المحدثين على مر العصور، ولم يخل عالم منهم عن الإشارة بأهمية هذا المنهج في حسن الفهم. واتجه المحدثون إلى الأخذ بأقوال الصحابة إذا اتفقوا، وإلى التخير من أقوالهم وعدم الخروج عليها إذا اختلفوا، واعتبروا أقوالهم حينئذ حجة تقدم على القياس(٢).

كان البخاري إمام أهل الحديث يكثر من ذكر أراء الصحابة والتابعين، يدعم بها رأيه، وبخاصة في موضع الخلاف، ويكاد يعتمد عليها وحدها في أبواب التفسير، بل كان أحياناً يعقد الباب لا يذكر فيه حديثا مرفوعاً واحداً بل يقتصر على الترجمة التي يذكر فيها رأيه ويدعمه بأقوال الصحابة والتابعين(٣)

ومن النماذج في توجيه فقه الحديث بناء على الآثار ما فعله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما أذن لنساء النبي -صلى الله عليه وسلم - بالحج مع عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف مع علم عمر وعلم نساء النبي عليه الصلاة والسلام أمهات المؤمنين بالنهي عن السفر بدون محرم، فيكون فعلهم مقيداً للحديث بأن شرط السفر بمحرم إنما هو لأمن الفتنة، فإذا غلب على الظن الأمن والسلامة وبأي طريقة من الطرق حسب ما يراه عقلاء المسلمين جاز السفر بدون محرم والله أعلم.

ويترتب على الأصلين السابقين آثار مهمة منها:

نبذ التقليد والاستقلال في الفهم وهو ما نسميه الموضوعية في فقه الحديث، أي فهم الحديث كما هو لا كما يريده الباحث، أو كما هو مذهبه أو معتقده. قال وكيع:

---

١ أبو داود في السنة باب في لزوم السنة رقم ٤٦٠٧ وقال الألباني صحيح، والترمذي ج٥ص٤٤ رقم ٢٦٧٦ وقال: هذا حديث صحيح

٢ عبد المجيد محمود، الاتجاهات الفقهية، ص ٢٦٩.

٣ المرجع السابق، ص ٢٧٥

من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة، ومن طلب الحديث ليقوي به هواه فهو صاحب بدعة(١).

وأما من عكس الأمر بأن جعل ما يعتقده وينتحله هو الأصل ثم عرض الحديث على قوله وفعله فلا يفلح لأنه لم يتبع ولم يلزم هدي المصطفي عليه الصلاة والسلام، فإن وافق الحديث رأيه في مسألة ما فإنه لابد أن يخالفه في مسائل مختلفة. فلذا فإن المحدثين الفقهاء مستقلون في الفهم، فهم يتبعون ولكنهم لا يقلدون لأنهم يعرفون مأخذ الأحكام ومصدرها ومنشؤها. فكل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا المعصوم عليه السلام. فهم لا يتبعون واحداً بعينه بل يتخيرون الأصوب والأقرب للفهم، وباب الاجتهاد عندهم مفتوح لكل من تأهل له.

ويترتب أيضا على ما سبق **تضييق دائرة الرأي والأدلة العقلية مع البعد عن جمود أهل الظاهر**، فقد اجتمعت كلمة المحدثين على لزوم السنة النبوية والآثار، وفيها الكفاية والغنية، وكلما استطاعوا أن يضيقوا دائرة الرأي فعلوا، فلم يتوسعوا في القياس، بل جعلوه للمضطر إن لم يجد مسعفاً له. ولم يتوسعوا بالقواعد العقلية الأخرى، كالاستحسان وسد الذرائع، وقد ترجم فقاؤهم لهذا المبدأ في مصنفاتهم فترجم البخاري مثلاً في جامعه باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، وباب تعليم النبي –صلى الله عليه وسلم –أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل (٢)، وقد سأل أحمد الشافعي عن القياس فأجابه إنما يصار إليه عند الضرورة(٣). ولا يعني هذا غلق باب الاجتهاد والرأي بل من منهجهم الاجتهاد والنظر دون تقليد أو تعصب فوقف أصحاب الحديث وقفة وسط بين انفتاح أهل الرأي وانغلاق أهل الظاهر(٤).

١ البخاري، (رفع اليدين في الصلاة)ص٣٧رقم ٤٤دار الأرقم – الكويت ط١٩٨٣تحقيق: أحمد الشريف.

٢ البخاري، كتاب الاعتصام (فتح الباري) ج١٣ ص٣٥٨ لحديث رقم ٧٣١٠.

٣ ابن حجر، فتح الباري ج١٣ ص ٣٦٤، رقم ٧٣١٥، وقال ابن حجر: "والمذهب المعتدل ما قاله الشافعي أن القياس مشروع عند الضرورة، لا [illegible]

٤ [illegible]

كما كان من نتائج هذا الاتجاه آثار أخرى منها: التوقف فيما لا أثر فيه لذا كثرت في إجاباتهم لا أدري وكراهية الفقه التقديري، وكراهية إفراد الفقه بالتدوين بدون أصوله من القرآن والحديث(١).

المطلب الثالث

جمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد

تقوم فكرة الحديث الموضوعي برمتها على هذا الأساس وهو جمع الروايات في الموضوع الواحد لضمان سلامة الفهم والاستنباط، فما كان مجملا في حديث يرد مفصلا في آخر، وما كان مطلقا يقيد في رواية أخرى، وما كان عاما تجد له تخصيصا حتى تغدو الأحاديث متوافقة فيما بينها تؤلف موضوعا متكاملا متوافقا، فالحكم ليس ما جاء في دليل واحد ولكنه ما جاء في جميع الأدلة. ولم تعد هذه العملية بالغة الصعوبة في أيامنا لكثرة المصنفات التي تجمع الأحاديث في الموضوع من جهة، وإمكانية الاستفادة المنضبطة من الحاسب الآلي.

إن إغفال بعض النصوص في عملية الفهم له تداعيات كثيرة مما يجعل الباحث يصل إلى نتائج غريبة عن روح التشريع الإسلامي وهديه، فلا يظهر الحكم أو الدليل في مسألة معينة من خلال قراءة حديث واحد أو بعض الأحاديث الواردة في الموضوع بصورة منفصلة مقتطعة عن غيرها من أحاديث واردة في ذات الموضوع أو القضية التي يراد طرحها ومعالجتها، بل يظهر الحكم عند الجمع بين مختلف النصوص الشرعية الصحيحة الواردة. فإذا اقتصر الباحث على بعض الأحاديث دون بعض كانت الصورة ناقصة أو مشوهة بقدر ما أغفل من النصوص، ولعل ما أوقع كثيراً من المستشرقين والمنحرفين عن المنهج الحق في مزالق علمية خطيرة هو إغفالهم هذا الجانب عن قصد أو عن غير قصد، وكذلك الحال بالنسبة لبعض المسلمين مما أدى إلى وقوعهم في الخلاف المذموم، وقد كان المحدثون أحرص الناس على جمع روايات

١ انظر عبد المجيد محمود، الاتجاهات الفقهية، ص ٢٨٤ فما بعدها.

الحديث الواحد، وجمع روايات الباب الواحد، وجل مصنفاتهم تشهد بهذا وهو لا يحتاج إلى دليل.

من الأمثلة على أهمية جمع الأحاديث في بيان الحكم، مسألة إسبال الإزار، فقد جاء النهي صريحاً في كثير من الأحاديث عن إسبال الإزار مطلقاً بدون تقييد، وبالمقابل فإن أحاديث كثيرة قيدت تحريم الإسبال وشدة العذاب على فاعله بالكبر المذموم، وفهم هذا القيد بعض كبار الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم أبو بكر رضي الله عنه، فهل يكون التحريم لكل إسبال أم الإسبال المحرم هو المقرون بالكبر والخيلاء، والراجح أن النهي عن الإسبال للكراهة، مع مراعاة الزمان الذي بين النبي -صلى الله عليه وسلم - فيه هذه المسألة وهذا ما أراه(١).

ومن ثمار جمع الروايات للحديث الواحد وفي الباب الواحد، نشأت علوم مختلفة كلها مهمة لحسن فهم السنة منها مختلف الحديث، وأسباب الورود، وعلم زوائد الحديث ولا بد من التعريج على مبادئ مهمة مع المثال لكل واحد منها:

أولا: التوفيق بين مختلف الحديث وحل مشكله

مختلِف الحديث: على وزن اسم الفاعل هو الحديث الذي عارضه ظاهراً مثله(٢).

ومختلَف الحديث: على أنه مصدر ميمي. أن يأتي حديثان أو أكثر متضادان في المعنى ظاهراً) ٣). وشروط عدّ الحديث من المختلف هي أن يكون الحديث مقبولاً، وأن يروى حديث آخر معارض له في المعنى ظاهراً، وأن يكون الحديث المعارض صالحاً للاحتجاج، وأن يكون الجمع أو الترجيح بينهما ممكناً(٤).

والتعارض المقصود بين الأحاديث هو تناقض ظاهري واقع بين مدلولي حديثين أو أكثر، وخفي وجه الجمع بينهما، وشروط التعارض هي اتحاد المحل، واتحاد الوقت،

١ أنظر للاستزادة القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة.

٢ ابن حجر، (نزهة النظر شرح نخبة الفكر)، ص٣٣

٣ السيوطي، (تدريب الراوي)، ٢/١٨٠، ط١، ١٩٩٤، تحقيق نظر الفاريابي، مكتبة الكوثر– الرياض.

٤ خياط، أسامة، (مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء)، ص٢٦، دار الفضيلة الرياض، ط١، ٢٠٠١.

وتضاد حكمي الحديثين، واتحاد النسبة(١). ويستند المحدثون في دفع التعارض بين الثابت من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى قواعد ثلاث هي الجمع، والنسخ، والترجيح ويزيد بعضهم التوقف عن العمل بهما(٢). وللجمع قواعده، وللنسخ أحكامه، وللترجيح مبادئه، ولا أظن أن يوجد حديثان لا تنطبق عليهما هذه القواعد.

وعلم المختلف من أهم أنواع علوم الحديث(٣)، ذلك لأنه يقرب من الفهم الصحيح لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وينفي عنه الاعتراض العقلي أو الشرعي، ويحدد لكل حديث معناه، بحيث لا تتضاد الأحاديث في ذهن القارئ، وهذا العلم يحتاج إلى عمق وإحاطة، وجمع بين الحديث والفقه، والأصول مع عمق نظر وسلامة منهج..

ومن نماذج المختلف في الحديث من باب تعارض العام والخاص، حديث فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر(٤)، فقد عارضه حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أنه قال ليس فيما دون خمسة أو سق صدقة(٥). ووجه التعارض أن حديث فيما سقت السماء لا يشترط مقدارا محددا يخرج منه هذا العشر، أي أن ما سقي بماء السحاب يجب إخراج العشر من قليله أو كثيرة، فالحديث عام في القليل و الكثير. ودل حديث ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة على اشتراط النصاب الذي يجب فيه إخراج الزكاة وعلى ذلك فإن ما دون خمسة أوسق لا تجب فيه الزكاة. وذهب جمهور أهل العلم إلى تخصيص حديث فيما سقت السماء العشر، بحديث ليس فيما دون خمسة أوسق وإلى هذا ذهب البخاري فقال في صحيحة عقب حديث فيما سقت السماء أو كان عثريا العشر هذا تفسير الأول لأنه لم يوقت في الأول، وبين في هذا ووقت والزيادة مقبولة والمفسر يقضي على المبهم

١ خياط (المرجع السابق)، ص ٣٨٦.

٢ ابن حجر، (شرح نخبة الفكر)، ص ٢٢، والسيوطي، تدريب الراوي، ج٢، ص١٨٢.

٣ السيوطي، (تدريب الراوي)، ٢/١٨٠

٤ البخاري في الزكاة باب العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري رقم ١٤١٢.

٥ البخاري في الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز ١٣٤٠ وبرقم ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٩٠، ١٤١٣ [illegible]

إذا رواه أهل الثبت(١).

والباحث في الحديث الموضوعي لا يستغني عن فهم قواعد هذا العلم، ومطالعة كتب السابقين ممن بحث في هذا الجانب المهم، كالإمام الشافعي في مختلف الحديث، وابن قتيبه في تأويل مختلف الحديث، والطحاوي في مشكل الآثار، والطبري في تهذيب الآثار، وكتب الشروح التي تناولت هذا الموضوع في التوفيق بين الأحاديث، وليس بالضرورة أن يعتمد الباحث اعتماداً كلياً على ما في هذه الكتب، وقد استجد في العصر الحاضر من العلوم والمعارف ما ينفع الباحث في كثير من مسائل هذا العلم، مع وجوب تنزية الشريعة عن كل نقص ينسب إليها، فإن النقص سمة البشر، ومن سمات الشريعة الكمال والخلود.

أما المشكل فهو في حقيقته أحاديث مروية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأسانيد مقبولة يوهم ظاهرها معاني مستحيلة أو معارضة لقواعد شرعية ثابتة (٢). مدار مختلف الحديث قائم على وجود معنى التعارض والتضاد بخلاف المشكل، فإن أسباب الإشكال كثيرة منها وجود التعارض بين الحديثين، كما أن مختلف الحديث مختص ومنحصر في التعارض بين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما المشكل فيشمل أيضاً التعارض بين أدلة الشرع الأخرى، وقواعد دفع التعارض بين الأحاديث محددة ومعينة -كما قدمت- وأما دفع الإشكال في المشكل فإنما يدرك ويدفع بإعمال العقل غالباً(٣). ومن أمثلة مشكل الحديث بسبب معنى الحديث نفسه بغير معارضه: ما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها وعندها امرأة، قال: من هذه، قالت: فلانة: تذكر من صلاتها. قال: عليكم بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا(٤) وموضع الشاهد من الحديث هو قوله عليه السلام: فو الله لا يمل الله حتى تملوا، ووجه الإشكال نسبة الملل إلى الله تعالى ذكره

---

١ انظر البخاري (الفتح) ٣ / ٣٤٧ وقال ابن حجر في تفسير قول البخاري والمفسر يقضي على المبهم، أي الخاص يقضي على العام.

٢ خياط، مختلف الحديث ص٣٢.

٣ علوش، عبد السلام، "علم زوائد الحديث دراسة منهج ومصنفات"، ص٣٨٥

٤ البخاري في الصلاة باب ما جاء في صلاة الليل، وفي الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه ...

والمعنى أن الملال أطلق على جهة المقابلة اللفظية مجازا، أو أنه تعالى لما كان يقطع ثوابه عمن يقطع العمل ملالا عبر عن ذلك بالملال من باب تسمية الشيء باسم سببه، وقيل معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه، و قيل إن حتى هنا بمعنى الواو فيكون التقدير لا يمل وتملون فنفى عنه الملل وأثبته لهم ١

ثانيا: الزوائد في متن الحديث

و مما يلزم الباحث في الحديث الموضوعي معرفة زوائد الحديث وهو: الحديث الذي في لفظه زيادة أو نقص او اختلاف مفيد، أو المروي عن صحابي آخر(٢). ومن فوائد البحث في الزوائد في الإسناد، معرفة الموقوف إن جاء مرفوعاً، والمرسل إن جاء موصولاً، والموصول إن جاء مرسلاً، ومعرفة الصحابة رواة الحديث الواحد.

أما في المتن فمن فوائده، معرفة المتون الزائدة التي لم تذكر في الكتب المزاد عليها، ومعرفة الألفاظ الزائدة على المتون، ومعرفة مناطات الأحكام وأسباب ورود الحديث، و معرفة الحكم من الألفاظ المختلفة وما يستنبط منها من أحكام، ومعرفة مرادات العبارات وبيان ما وقع للرواة من شك في بعض الألفاظ، وبيان اختلاف السياقات التي جاء بها المتن أو المعنى الواحد، وبيان الاختلاف الوارد في المتون لجهة تخصيص العام، وتعميم الخاص، وذكر فتاوى الصحابة في المسائل الفقهية، وبيان بعض الحوادث والحكايات التاريخية أو التراجم، وبيان تاريخ بعض الحوادث والأقوال النبوية، مما يعين على معرفة الناسخ من المنسوخ، ومزيد الكشف والاستفصال في حوادث السيرة النبوية، وبقدر جمع طرق الحديث وزوائده يقع الصواب في الاجتهاد، ومعرفة حكم الشارع(٣)، وهنا ينبغي التنبيه إلى أن الزيادة التي نقصدها هي الزيادة المقبولة من حيث السند والمتن على مقتضى نظر علماء الحديث،

---

١ ابن حجر (فتح الباري) ج١ص١٠٢ دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

٢ علوش، عبد السلام، (علم زوائد الحديث دراسة ومنهج ومصنفات)، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٥، بيروت، ١٧.

فإن لم تكن كذلك فإننا نعاملها معاملة القرائن في الدلالة على المراد. ولكل حالة وحكم خصوصية في الاستفادة من قرائنه.

ومن الكتب التي أخرجت الزوائد واختصت بها، وينبغي مراجعتها، المستدرك على الصحيحين للحاكم، وزوائد ابن حبان على الصحيحين لمغلطاي، وجامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن لابن كثير، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر.

من أمثلة الزيادة الطارئة في تحقيق مناط الحديث الذي هو أشرف الأنواع وأجلها وأدقها علماً وأكثرها نفعاً وفائدة، - والمناط المقصود هو الحادثة التي من أجلها قيل هذا الحديث- فقد يكون هذا الحديث قيل بمناسبة خاصة، وواقعه معينة، وأحسن من اهتم بذلك وأشار إليه الحافظ ابن حبان رحمه الله فتجده كثيراً ما يبوب ذكر السبب الذي من أجله قيل حديث كذا وكذا، ويدفع الإشكالات الواردة على الحديث بتبيان سبب مساق الحديث. والمثال هو ما رواه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم - صوت خصوم بالباب عالية أصواتها وإذا أحدهما يستوضع الأخر ويسترفقه في شيء وهو يقول والله لا أفعل فخرج عليهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقال: أين المتالي على الله لا يفعل المعروف . فقال أنا يا رسول الله وله أي ذلك أحب(١).

فالحديث ظاهره في الدين عموماً، ولكن له سبب يبين أن الحديث ليس في عموم الدين مطلقاً كما بين ذلك ابن حبان رحمه الله فروى عن عائشة قالت: دخلت امرأة على النبي -صلى الله عليه وسلم - فقالت: بأبي وأمي إني ابتعت أنا وابني من فلان ثمر ماله فأحصيناه لا والذي أكرمك بما أكرمك به ما أحصينا منه شيئا إلا شيئا نأكله في بطوننا أو نطعم مسكينا رجاء البركة وجئنا نستوضعه ما نقصنا فحلف بالله لا يضع لنا شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تإلى لا يصنع خيرا - ثلاث مرات - قالت: فبلغ ذلك صاحب الثمر فقال: بأبي وأمي إن شئت وضعت ما نقصوا وإن شئت من

---

١ البخاري، في الصلح، باب هل يشير الإمام بالصلح [illegible] القلبات باب استحباب [illegible]

رأس المال فوضع ما نقصوا (١). فلأجل هذا علم من الرواية السابقة أن الحديث في وضع الجوائح لا في مطلق الدين(٢) وبذلك ترجم ابن حبان على الحديث السابق فقال: ذكر البيان بأن وضع الجوائح من الخير الذي يتقرب به إلى البارئ جل وعلا.

ثالثا: أسباب ورود الحديث

ومما يحتاجه الباحث في الحديث الموضوعي، علم أسباب الورود، وهو معرفة ما جرى الحديث في سياق بيان حكمه أيام وقوعه(٣)، ويدخل في علوم متن الحديث، ومداره على مقتضيات الأحوال إذ الكلام الواحد يختلف فهمة بتغير ما يعتريه من عوامل النقل، وطرق الأداء فلا يصل إلى معناه المراد إلا بالقرائن الخارجة وعمدتها مقتضيات الأحوال.

وتتخلص فوائد هذا العلم الهام في أمور منها:

معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، فمعرفة سبب الورود تمكن من إدراك حقيقة المعنى والإحاطة بأبعاده، ومعايشة جزئيات الأسباب، ووجه الارتباط بين النص والحكم، والحكمة التي تكون في هذا الارتباط، وهذا يعين في باب الاجتهاد على معرفة الصفات المشتركة بين النوع والأصل عند القياس كما ييسر الوقوف على تحقق الحكمة عند استنباط الأحكام للمشكلات المعاصرة(٤)، وتخصيص الحكم به إذا ورد النص بصيغة العموم، وتقييد الحكم به إذا ورد النص بصيغة الإطلاق، وتعيين المجمل فيما يقع به البيان في النصوص، وتعليل المتن به إذا أدي بألفاظ تحيل الحديث عن معناه المراد منه، وتحديد النسخ في الأخبار ومعرفة المتقدم على المتأخر من الأحاديث(٥). وليعلم أن سبب الورود عند المحدثين، هو جزء من الرواية، وأنه يعتريه ما يعتري أصل الرواية، من حيث النقد وبيان العلل، وهذا العلم وغيره هو من ثمرات جمع الطرق، وتتبع الروايات. وهذا العلم لم تشمله قواعد التأصيل في مناهج

رواه ابن حبان رقم (٥٠٣٢) وقال الارنؤوط بإسناد قوي.

علوش، (علم زوائد الحديث) ص٥١، دار ابن حزم – بيروت: ط١ ١٩٩٥.

الأسعد، طارق أسعد، (علم أسباب ورود الحديث)، ص ٢٤.

محمد رأفت سعيد، (أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس)، كتاب الأمة رقم ٣٧/ص١٠٢.

[illegible]

المحدثين، وإنما جرى عليه بعض فقهاء المحدثين الذين عنوا بالمعاني، وما يدور عليها من أحكام تشريعية، والمحدثين بسمة عامة لم يعتنوا بهذا العلم إلا من حيث الجانب التاريخي للرواية، المشتمل على بيان فوارق الروايات وتعدد أشكالها اللفظية(١).

المطلب الرابع

فهم الحديث في ضوء مقاصد الشريعة

من حسن الفقه للسنة النبوية؛ النظر فيما بني من الأحاديث على أسباب خاصة أو ارتبط بعلة معينة، منصوص عليها في الحديث أو مستنبطة منه، أو مفهومه من الواقع الذي سيق فيه الحديث. فالناظر المتعمق يجد أن من الحديث ما بني على رعاية ظروف زمنية خاصة ليحقق مصلحة معتبرة، أو يدرأ مفسدة معينة، أو يعالج مشكلة قائمة في ذلك الوقت. ومعنى هذا أن الحكم الذي يحمله الحديث يبدو عاماً دائماً، ولكنه عند التأمل مبني على علة، ويزول بزوالها، كما يبقى ببقائها. وهذا يحتاج إلى فقه عميق، ونظر دقيق، ودراسة مستوعبة للنصوص، وإدراك بصير لمقاصد الشريعة، وحقيقة الدين، مع شجاعة أدبية، وقوة نفسية للصدع بالحق، وإن خالف ما ألفه الناس وتوارثوه، وليس هذا بالشيء الهين. فلا بد لفهم الحديث فهماً سليماً دقيقاً، من معرفة الملابسات التي سيق فيها النص، وجاء بياناً لها وعلاجاً لظروفها، حتى يتحدد المراد من الحديث بدقة ولا يتعرض لشطحات الظنون، أو الجري وراء ظاهر غير مقصود) ٢).

المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها) ٣). وقد جعل بعض العلماء مقاصد الشريعة على قسمين:

مقاصد التشريع العامة، وهي: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة) ١).

١) الأسعد، (المرجع السابق) ص١٢.

٢ القرضاوي، (كيف نتعامل مع السنة)، ص١٢٨ [illegible]

٣ [illegible]

مقاصد التشريع الخاصة، وهي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة... ويدخل في ذلك كل حكمة روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس٢.

فالمقاصد العامة هي المعاني التي لوحظت في جميع أحوال التشريع أو في أنواع كثيرة منها كمقاصد السماحة، والتيسير، والعدل والحرية) ٢)، وتشمل المقاصد العامة الضرورات المعروفة التي استهدفتها الشريعة بما يعود على العباد بالخير في دنياهم وأخراهم، مثل حفظ الدين والنفس، والعقل، والنسل والمال والعرض، وهي التي ذكرها العلماء ضمن أبواب المصالح.

وأما المقاصد الخاصة، فهي أيضاً مصالح ومعانٍ لوحظت بباب من أبواب التشريع المخصوصة مثل مقصد عدم الإضرار بالمرأة في باب الأسرة، ومقصد الردع في العقوبات، ومقصد منع الغرر في باب المعاملات المالية.

والمقاصد الجزئية عرفت بمعنى الحكم والأسرار والأغراض التي راعاها الشرع في حكم بعينه متعلق بالجزئيات، كمقصد توخي الصدق والضبط في مسألة عدد الشهود وأوصافهم، أو مقصد التكافل بين المسلمين في عدم إمساك لحوم الأضاحي٤

والهدف من هذا العلم هو تبصير الناظرين في الشريعة من مسالك فقهها، تفسيراً لنصوصها، وتعليلا لأحكامها، واستدلالا عليها. ثم تحكيمها عند الاختلاف الفقهي من أجل رفعه أو التقليل من حدته.

ومن فوائد ربط الأحكام بمقاصدها بيان علل الأحكام وبيان كمال الشريعة الإسلامية بأنها متضمنه لمصالح يعجز البشر عن مراعاة مثلها، والاطمئنان على الإيمان، فتظاهر الأدلة وكثرة طرق العلم يثلجان الصدر، ويزيلان اضطراب القلب، وأن يعرف المؤمن مشروعية ما يعمل، ذاك أن المسلم إذا اجتهد في الطاعات وهو يعرف وجه مشروعيتها نفعه قليلها، وكان أعبد من أن يتخبط خبط عشواء وردع

١ ابن عاشور، (مقاصد الشريعة)، ص ٥١

٢ ابن عاشور (المرجع السابق) ص١٤٦

٣ ابن عاشور، (المرجع السابق)، ص ٦٠، [illegible]

٤ [illegible]

المشككين الذين شككوا في بعض المسائل بأنها مخالفة للعقل ولا سبيل إلى دفعهم إلا بأن نبين المصالح ونؤسس لها القواعد. وبيان أن الأحاديث الصحيحة توافق المصالح الشرعية، وبها يلزم الخصم الحجة، حين يبينوا أنها توافق المصالح المعتبرة في الشرع [1]. هذه الفوائد وجملة أخرى غيرها تدعونا إلى أن نربط الأحكام الشرعية في جميع المجالات بمقاصدها المعتبرة شرعاً، وقد وجدت محاولات معاصرة لربط علوم شرعية خاصة بمقاصدها لتكون منطلقاً وضابطاً للبحث في هذه الموضوعات[2]

ولأن معرفة مقاصد الشريعة نوع دقيق من أنواع العلم فإن عوام الناس لا يحسنونه، والذي ينبري لهذا العلم إنما هم العلماء الذين يضعون الأمور في نصابها الحق، ومع ذلك فهم متفاوتون في فهم المقاصد) [3]. ولأن هذا العلم من الدقة والأهمية والخطورة، فينبغي ألا يعتمد الباحث في الحديث الموضوعي إلا على قطعياته، أو ما أشبه القطعي في الدلالة، ذلك لأن فتح هذا الباب على مصراعيه في الحكم أو الترجيح يجعل من الشريعة ألعوبة بيد بعض الجهلة فيحلل أو يحرم بدون ضابط الا المقاصد حسب نظره، والعالم هو الذي لا يقتصر على الأدلة اللفظية التي جاءت الشريعة الكريمة بل عليه أن يستعين بما يحف بالكلام من القرائن والاصطلاحات والسياق) [4].

ويجب التمسك بالإطار العام.للمقاصد الشرعية المنصوص عليها بجلاء أو المستخلصة بالاستقراء والتتبع، واتخاذها مصدرا تحاكم إليه كل الأفعال المتعلقة بمقاصد جزئية ليضمن سلامة الاستنباط والاجتهاد من الانحراف بدعوى التطور والتمدن، ومن الضوابط أيضا التحري في المعارف العقلية والتمييز بين ما هو حقيقة

١ الدهلوي، (حجة الله البالغة) ١/١٧-١٨

٢ جمال الدين عطية، (نحو تفعيل مقاصد الشريعة)، ص ١٣٥، ط١، ٢٠٠١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار الفكر بدمشق، وهذه الجهود هي، مقاصد الاقتصاد للدكتور جمال الدين عطية، منشور في مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ومقاصد التربية، د. فتح الباب عبد الحليم، نشر ضمن أعمال مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، عمان، ١٩٩٠.

٣ ابن عاشور، المرجع السابق، ص ١٨.

٤ ابن عاشور، (مقاصد الشريعة)، ص ٢٧

يقينية أو ظنية راجحة وبين ما هو نظريات احتمالية مظنونة، وبذلك لا يعتمد في تقدير المصالح إلا المعارف العقلية الصحيحة المورثة لليقين أو الظن الراجح.

وفي باب الحديث الموضوعي فإن على الباحث أن يجعل بحثه مشتملاً على باب خاص لبيان مقاصد الشريعة في العلم موضوع المدخل إن استطاع) [1]. وإن أعظم ما يهم المتفقهين إيجاد ثلة من المقاصد القطعية ليجعلوها أصلاً يصار إليه في الفقه والجدل) [2]. وعلى الباحث في الحديث الموضوعي الذي لم يتمكن من معرفة المقاصد الشرعية، أن يراجع كتب الأئمة الذين لهم باع من هذا الشأن، كالموافقات للشاطبي، ومقاصد الشريعة للطاهر بن عاشور ومصنفات ابن تيمية، خاصة مجموع الفتاوى، ومصنفات ابن القيم، وخاصة إعلام الموقعين، ومصنفات الشوكاني بعامة) [3].

المطلب الخامس

فهم الحديث في ضوء قواعد اللغة ودلالة السياق

وقد ارتكز منهج أهل الحديث في فهمهم للحديث على فهمه حسب لغة العرب في مفرداتها ومعانيها، ولذا فقد عنوا بغريب الحديث فألفوا فيه المصنفات والكتب، وفي صحيح البخاري مثلاً نماذج كثيرة من عنايته بهذا الشأن. فلا بد أن يعتمد فهم الحديث على أسلوب صاحب النص في استخدام الكلمات أو الأسلوب المعروف في عصره، فإن اللفظ يختلف معناه باختلاف العصور والاعراف العلمية، فلا ينبغي تفسير كلمة في النص بما استقر عليه لاحقاً من المعاني (٤) كالتصوير مثلاً.

١ العلواني، طه (مقدمة كتاب نظرية المقاصد عند الإمام محمد بن عاشور) لإسماعيل الحسني، ص٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٥ وانظر النجار عبد المجيد، (في فقه التدين فهما وتنزيلا) ج١كتاب الأمة رقم٢٢ط١صادر عن رئاسة المحاكم الشرعي في قطر ص١١٠

٢ ابن عاشور، (مقاصد الشريعة ص٤٠

٣ الحسني، إسماعيل، (نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر عاشور)، ص ٤١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٥

٤ المليباري حمزة، (الدراسات الحديثية المعاصرة تحليل وحلول). بحث مطبوع ضمن أبحاث ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر [illegible]

كما أنه من المهم جدا لفهم السنة فهما صحيحا التأكد من مدلولات الألفاظ التي جاءت بها السنة، فإن الألفاظ تتغير دلالتها من عصر لآخر ومن بيئة لأخرى، وهذا أمر معروف لدى الدارسين لتطور اللغات وألفاظها وأثر الزمان والمكان فيها، فقد يصطلح الناس على ألفاظ للدلالة على معان معينة، ولا مشاحة في الاصطلاح ولكن المخوف هنا هو حمل ما جاء في السنة من ألفاظ على المصطلح الحادث وهنا يحدث الخلل والزلل.

ويراد بدلالة السياق المعنى الذي يقصده المتكلم ويفهمه السامع من الكلام تبعاً للظروف المحيطة، فالسياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته وأي قصور عن فهم الدلالة والسياق هو طريق إلى سوء الفهم والتأويل، قال ابن القيم رحمه الله: فكم من حكم دل عليه النص ولم يفهموا دلالته عليه، وسبب هذا الخطأ حصرهم الدلالة في مجرد ظاهر اللفظ دون إيمائه وتنبيهه وإشارته وعرفه عند المخاطبين[1].

فمن الأحاديث التي أسيء فهمها بسبب إغفال دلالات السياق. حديث الفرقة الناجية وهو المروي عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بني إسرائيل افترقت على أحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة[2] فعند التأمل في الحديث وجمع رواياته. يتبين أنه جاء في سياق التحذير من إتباع خطى اليهود والنصارى، فقد جاء الحديث ليؤكد خطورة الفرقة، ونبذ الاختلاف الواقع في الأمم السابقة، وليس ليبرر لكل فرقة أن تناصب الأخرى العداء أو يقر التفرقة بين المسلمين. كما أنه لا ينبغي أن يصبح أداة لمن يريدون تكفير المسلمين وتفريق كلمتهم من خلال ترويج أفهام معينة لهذا الحديث.

---

١ ابن القيم، (أعلام الموقعين عن رب العالمين)، ج١ ص ٣٣٨. تحقيق طه سعد، دار الجيل: بيروت، ١٩٧٣،

٢ أبو داود في السنة باب شرح السنة رقم٤٥٩٦ وقال الألباني صحيح، والترمذي في الإيمان باب ١٨ ما جاء في افتراق الأمة رقم ٢٦٤٠ وقال أبو عيسى حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، وابن ماجة سنن ابن ماجة، باب الفتن افتراق الأمم [illegible]

المطلب السادس

أقسام أفعال النبي صلى الله عليه وسلم، من حيث وجوب العمل بها أو عدمه.

مما يجب معرفته والتنبه إليه في الدراسات الموضوعية معرفة أقسام أفعال النبي صلى الله عليه وسلم، ليكون الباحث على بينة مما يقرره، وقد قسم العلماء أفعاله عليه الصلاة والسلام من حيث وجوب العمل بها وعدمه إلى أقسام:

الأول: الجانب البشري في حياته عليه السلام، كالحركات العفوية لجوارحه، وما يدخل تحت سلطان الجبلة البشرية، كالقيام والعقود، وأصل الأكل والشرب. . . ، وخصوصياته عليه السلام، وهذه لا تحمل دلالات تشريعية. قال السبكي في جمع الجوامع وما كان من أفعاله جبلياً أو بياناً أو مخصصاً به، فواضح أن البيان دليل في حقنا، وغيره لسنا متعبدين به) [1].. ويلحق هنا ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم، بحكم خبرته البشرية مثل شؤون التجارة، والزراعة، والحربية التي يعتمد فيها على مقتضيات الأحوال.

الثاني: الجوانب الأخرى، حيث تنقسم شخصية من خلال تصرفاته هذه إلى ثلاثة أقسام: [2].

أولها: شخصية نبي يبلغ عن الله عز وجل، وثانيها: شخصية رئيس دولة وقائد أمة. وثالثها: شخصية قاض يفصل بين الناس في الخصومات.

إن مما لا شك فيه أن النبوة هي الصيغة العامة المتسعة لكل تصرفاته وأحواله صلى الله عليه وسلم، غير أن الله عز وجل قضى أن تكون هذه النبوة، أصلاً تتفرع عنه هذه الجوانب الثلاثة المتكاملة، والتي هي أركان المجتمع الإنساني السليم.

أما الاحتجاج بالسنة على ضوء هذه الأنواع الثلاثة، فهو كما يلي:) [3]).

السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي، (جمع الجوامع)، ص٦١ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ٢٠٠١١

٢ البوطي محمد سعيد رمضان، (السنة مصدراً للتشريع ومناهج الاحتجاج بها)- بحث مقدم لندوة السنة النبوية، ومنهجها في بناء الحضارة، عمان- الأردن، ومطبوع ضمن نفس العنوان، من مطبوعات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ص ٤٦٥، وانظر، القاسمي، (قواعد التحديث)، ص. ٤٦٠

٣ [illegible] كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط) ص ٩١

أولا: فكونه نبيا يبلغ عن الله عز وجل، فكل ما رسمه -صلى الله عليه وسلم - لنا من الأحكام على وجه التبليغ عن الله عز وجل، يعد تشريعاً ثابتاً متقرراً في حق سائر المكلفين على اختلافهم إلى يوم الدين، ولا يملك أحد أن يغيره أو يبدله، و يدخل في إطار هذه الأحكام أكثر التعليمات وجل المبادئ والالتزامات التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: الجانب القيادي من شخصية النبي -صلى الله عليه وسلم - وكونه رئيس دولة وقائد أمة:

فالأحكام التي صدرت عنه في هذا الجانب تتعلق بسياسة السلم والحرب، وتوزيع الاقطاعات، وتنسيق العلاقات بين المسلمين وغيرهم، وتسمى هذه بأحكام الإمام والسياسة الشرعية، وفي بعض أحكامها خلاف بين العلماء، هل هي من أحكام التبليغ أم من أحكام السياسة الشرعية، كمسألة إحياء الأرض الموات. وهنا فإنه ينبغي على من تولى الأمر بعده صلى الله عليه وسلم، أن يتقيد بما تقتضيه المصلحة العامة للمسلمين، على ان لا يخرج عن الحدود المرسومة للصلاحيات التي خوله الشارع التحرك في دائرتها.

ثالثا: الجانب القضائي وكونه -صلى الله عليه وسلم - قاضاي يفصل بين الناس في الخصومات:

فلا يجوز القضاء بمثل ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم، من هذه الاقضية وأمثالها الا على ضوء ما يتوفر من البينات والدلائل، وقرائن الأحوال، وقد تختلف أنظار العلماء في بعض هذه الأحكام، هل هي من أحكام التبليغ أم من أحكام القضاء.

ويجب أن نعرف أن الخطوط العريضة لسياسة الأحكام الخاضعة للسياسة الشرعية، والمبادئ العامة التي تهيمن عليها إنما تلقاها رسول الله صلى عليه وسلم وحياً، وأنبأ بها الناس تبليغاً، وكذلك القواعد العامة لسياسة القضاء، مما يتعلق ببيان القرائن وقيمة البيان، وأصول الحجاج، ثابتة بموجب أحكام تبليغية، الا أن جزئيات الأحكام الخاضعة للسياسة الشرعية أو الأحكام القضائية، فإن [illegible] مردها إلى

ما يراه إمام المسلمين، أو القاضي المعتمد من قبل إمام المسلمين(١)

وذهب بعض العلماء إلى استقراء أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم، التي يصدر عنها قول منه أو فعل وهي: التشريع، والفتوى، والقضاء، والإمارة، والهدي، والصلح، والإشارة على المستشير، والنصيحة، وتكميل النفوس، وتعليم الحقائق العالية، والتأديب، وغيرها) ٢).

فهذه الأحوال تحتم على الدارس لحديث الرسول الكريم صلوات الله عليه مراعاتها، ومعرفة المواطن التي يصلح لحال منها دون الاخر ليكون على يقين من حسن الفهم وصواب التوجه، مع التأكيد على أن حال التشريع هو أغلب الأحوال على الرسول عليه السلام، إذ لأجله بعثه الله عزوجل.

المطلب السابع
ضوابط متممة لفهم الحديث

وضع بعض العلماء قواعد وضوابط لحسن فهم السنة تمثلت في قواعد ثمان هي (٢)

فهم السنة في ضوء القرآن الكريم. وجمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد. والجمع أو الترجيح بين مختلف الحديث. وفهم الأحاديث في ضوء أسبابها وملابساتها ومقاصدها. والتمييز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت. والتفريق بين الحقيقة والمجاز في فهم الحديث. والتفريق بين الغيب والشهادة. والتأكد من مدلولات ألفاظ الحديث.

وقد بينت بعض هذه القواعد في المطالب السابقة ولكن على منهج المحدثين إذ يختلف الفهم بين المحدثين وغيرهم تبعا لاختلاف القواعد أو اختلاف التطبيق ومما يحسن التنبيه إليه منها:

قاعدة التمييز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت للحديث:

فمن أسباب الخلط والزلل في فهم السنة، أن بعض الناس خلطوا بين المقاصد

---

١ المرجع السابق، ج٢، ص ٤٧١..

٢ ابن عاشور، (مقاصد الشريعة)، ص٣.

٣ القرضاوي، (كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط)، ص ٩١ [illegible]

والأهداف الثابتة التي تسعى السنة إلى تحقيقها، وبين الوسائل الآنية والبيئة التي تعينها أحيانا للوصول إلى الهدف المنشود، فتراهم يركزون كل التركيز على هذه الوسائل، كأنها مقصودة لذاتها، مع أن الذي يتعمق في فهم السنة وأسرارها، يتبين له أن المهم هو الهدف، وهو الثابت والدائم، والوسائل قد تتغير بتغير البيئة أو العصر أو العرف أو غير ذلك من المؤثرات، فإذا نص الحديث على شيء منها، فإنما ذلك لبيان الواقع لا ليقيدنا بها ويجمدنا عندها، بل لو نص القرآن نفسه على وسيلة مناسبة لمكان معين وزمان معين فلا يعني ذلك أن نقف عندها، ولا نفكر في غيرها من الوسائل المتطورة بتطور الزمان والمكان. ألم يقل القرآن الكريم: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} (٦٠) سورة الأنفال. ومع هذا لم يفهم أحد أن المرابطة في الأعداء لا تكون إلا بالخيل التي نص القرآن عليها. بل فهم كل من له عقل يعرف اللغة والشرع: أن خيل العصر هي الدبابات والمدرعات ونحوها من أسلحة العصر[1].

وقاعدة التفريق بين الحقيقة والمجاز في فهم الحديث:

فالعربية لغة للمجاز فيها نصيب موفور، والمجاز أبلغ من الحقيقة كما هو مقرر في علوم البلاغة، والرسول الكريم أبلغ من نطق بالضاد وكلامه تنزيل من التنزيل، فلا عجب أن يكون في أحاديثه الكثير من المجازات، المعبرة عن المقصود بأروع صورة. والمراد بالمجاز هنا: ما يشمل المجاز اللغوي والعقلي، والاستعارة والكناية،، وكل ما يخرج باللفظ أو الجملة عن دلالتها المطابقية الأصلية. وإنما يعرف المجاز في الكلام بالقرائن الدالة عليه، سواء كانت قرائن مقاليه أم حالية، وحمل الكلام على المجاز في بعض الأحيان يكون متعينا، وإلا سقط المرء في الغلط. ولكن التأويل بغير مسوغ مرفوض. والتأويل المتعسف مرفوض، ولابد من الحذر من التوسع في التأويلات المجازية وإخراج الأحاديث من ظواهرها لأنه باب خطر خاصة إذا كان التأويل لاعتبارات ذاتية أو آنية أو موضوعية لأنه باب لتعطيل الشريعة.[2]

---

١ المرجع السابق ص١٤١

٢ المرجع السابق ص١٥٧و١٦٢

وقاعدة التفريق بين الغيب والشهادة:

فقد تعرضت السنة لموضوعات تتعلق بعالم الغيب بعضها يتصل بغير المنظور من عالمنا هذا مثل الملائكة الذين جندهم الله تعالى لوظائف شتى، ومثل الجن، سكان الأرض، المكلفين مثلنا، ممن يروننا ولا نراهم، ومنهم الشياطين، جنود إبليس الذي أقسم أمام الله تعالى على إغوائنا وتزيين الباطل والشر لنا، والواجب على الباحث المسلم هنا أن يسلم بما صح ثبوته حسب قواعد أهل العلم، وسلف الأمة المقتدى بهم ولا يجوز رده لمجرد مخالفته لما عهدنا، أو استبعاده وقوعه تبعنا لما ألفنا ما دام في دائرة الممكن عقلاً.

ومعلوم أن من خصال أهل الابتداع والانحراف، ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل، فيجب ردها-عندهم-، كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط والميزان، ورؤية الله عز وجل في الآخرة، وكذلك حديث الذباب، وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء، وأنه يقدم الذي فيه الداء، وحديث الذي أخذ أخاه بطنه فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بسقيه العسل، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول[1].

ومع أن هذه الضوابط نافعة في حسن الفهم للسنة النبوية، إلا أن الواقع التطبيقي للعلماء والباحثين في تطبيق هذه القواعد يكشف عن اختلافات في إلحاق مسألة معنية بهذه القواعد أو عدم إلحاقها، فالخلاف يبقى قائما بين العلماء والباحثين إلا أن دائرته تضيق إذا أحسن تطبيق هذه القواعد وغيرها في مرحلة الفقه، كما أن عدم مراعاتها يوقع الباحث في طامات يحسن الابتعاد عنها.

---

١ المرجع السابق ص١٧٥

المبحث الثالث

العلوم اللازمة في دراسة الحديث الموضوعي

تمهيد: شروط الباحث في الحديث الموضوعي

يعتبر الباحث في الحديث الموضوعي مجتهداً في المجال الذي يبحثه، لذا فإن عليه أن يحقق الشروط التي تؤهله لذلك. إن الذي يختاره أهل العلم في زماننا وغيره الإبقاء على باب الاجتهاد مفتوحاً بشرطه، وهو توفر أهلية الاجتهاد في الحديث لدى الشخص الذي يريد ممارسة هذا الحقل العلمي. وكنت قد قدمت جملة هامة من العلوم اللازمة لفهم الحديث الشريف في الباب الأول، وأستكمل هنا ما يلزم الباحث من بقية العلوم خاصة ما يتعلق بالتصحيح والتضعيف.

وقد وضع بعض الباحثين شروطا للمجتهد في الحديث، ويمكن اعتبارها شروطا للباحث في الحديث الموضوعي لأنه مجتهد في الموضوع الذي يبحثه، وهذه الشروط هي) [١]: معرفة علوم اللسان العربي، وذلك لأن فهم القرآن والحديث متوقف على علم العربية. وأن يعرف من هذه العلوم ما يسلم به من قوله على النبي -صلى الله عليه وسلم - مالم يقله، والعلم بالمعاني العامة للقرآن والسنة المتواترة والإجماع، وقواعد الإسلام العامة، والمعرفة بالفقه والأصوليين، أصول الدين، وأصول الفقه.

ومعرفة علم دراية الحديث أو أصول الحديث، ومصطلحه، وبه يعرف كل ما يتعلق بالحديث من حيث القبول أو الرد. وعلم رواية الحديث، وذلك للوقوف على طرق الحديث التي تعرف بها ألفاظ المتون ومعانيها، وبها يعرف المتواتر من الآحاد، والمتابعة والشاهد للحديث المحتاج إلى العاضد، وزيادة الثقة، والرواية الراجحة إلى غير ذلك، كالوقوف على وصل المقطوع، أو وصل مرسل، وعلم الجرح والتعديل، وأسماء الرجال، ودقائق علم الأسانيد وتاريخ الرواة وعلم علل الحديث، حيث إن سلامة الحديث من العلة في سنده ومتنه شرط لا بد من تحققه قبل الحكم له بالصحة أو الحسن. كما أن الديانة والاستقامة والبعد عن الهوى والعصبية لرأي أو لمذهب، مع معاشرة أهل الحديث، ومباحثتهم، وحسن الفكر ونباهة الذهن، ومداومة الاشتغال

---

١ انظر، الصباح، (الحديث الصحيح ومنهج علماء المسلمين في [illegible] مكتبة الرشد [illegible]

به شروط ضرورية للمحدث.

المطلب الأول

قواعد وتنبيهات في تصحيح الحديث

بعد هذا الذي بينته من شروط المجتهد في الحديث، هل يستطيع الباحثون أن يستقلوا بالحكم على الحديث أو حتى على الترجيح بين أقوال العلماء، وما هو اللازم لهم؟

إن منهج المحدثين النقاد من المتقدمين في تصحيح الأحاديث وتحسينها وتعليلها قائم على تتبع القرائن والملابسات التي تحيط بها، لا سيما ما يتفرّد به الثقة من الأحاديث، أو يزيده في الأسانيد أو المتون على غيره من الثقات، إن كثيراً من المتأخرين – وبينهم من المعاصرين ممن تصدوا لمهمة التصحيح والتضعيف يسلكون فيها مسلكاً سهلاً، وهو النظر في أحوال الرواة العامة، يقولون: هذا إسناد رجاله ثقات والحديث صحيح، و فلان ثقة فحديثه صحيح، و فلان صدوق فحديثه حسن، وقد توبع، فارتقى إلى الصحيح، و وفلان ضعيف لكنه توبع فارتقى إلى الحسن، و هذا متروك فحديثه متروك هذا كذاب فحديثه موضوع. وكل هذا عمل أشبه ما يكون بالقواعد الرياضية، لا يحتاج فيه الباحث إلى حفظ ولا معرفة ولا فهم ولا ممارسة، بل غاية جهده أن ينظر في كتاب التقريب للحافظ ابن حجر العسقلاني، ثم يحكم على الحديث حسب مراتب الرواة المبينة فيه (١).

كل ما قدمته يعتبر من التعدي على الحكم على الحديث لأن الحكم بحاجة إلى أمور أخرى غير ما يتعامل به البعض، لأن صحة الحديث وحسنه ليس تابعاً لحال الراوي فقط، بل لأمور تنضم إلى ذلك من المتابعات والشواهد وعدم الشذوذ والنكارة(٢). ولذلك نقول إن اعتماد الأصل في حال الراوي، والحكم على حديثه حسب مرتبته إنما

---

١ المليباري، (الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليلها)، ص ١٠، دار ابن حزم، ط٢، ٢٠٠١، بيروت– لبنان.

٢ ابن حجر، (النكت على ابن الصلاح)، ص ١٢٧، دار الكتب العلمية– بيروت، تحقيق مسعود [illegible]

ينهض به الناقد الجهبذ، وأما من الباحث العادي الذي لا يعرف نوعية المرجحات ولا يفهم دلالة الملابسات والقرائن فيعد ذلك خرقاً وتقصيراً، بل مجازفة خطيرة.

إن التشديد في هذه المسألة أمر ضروري ذلك لأن الباحثين يستدلون بما صححوه من الأحاديث للأحكام الفقهية أو العقدية أو السلوكية أو غيرها، وإن لم يكن العمل منضبطا بقواعد منهجية فإنه يشجع أعداء السنة على تحديها لخلو العمل في تصحيح الحديث من الدقة والصحة، وفقدان المصداقية في النقد، لأنهم يصححون الحديث بمجرد كون راويه ثقة، وثبوت لقائه بمن فوقه بشكل عام، دون أن يلتفتوا إلى مدى ضبط هذا الراوي للحديث الذي رواه، وإلى ثبوت سماعه له ممن فوقه، مع كونه من أهم شروط الصحيح. (١)

وفي دراستنا في الحديث الموضوعي فإني أرى أن نعتمد معايير محددة لتصحيح الحديث حتى يكون الأمر أكثر انضباطاً في الحكم على الحديث، ومعرفة صحيحة من سقيمة.

وأقترح في هذا الباب بعضا من هذه المعايير ومنها:

- قبول ما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين أو أحدهما، فهذا قد جاز القنطرة لتلقي الأمة لهما بالقبول، ولا يبحث فيه إلا إذا كان مما انتقد عليهما أو أحدهما متناً أو سنداً أو بدت لأهل العلم فيه علة ظاهرة فتبين وتبحث.
- قبول ما رواه غيرهما، مما صححه أو حسنه أئمة هذا الشأن في عصور الرواية، ولم يخالفهم غيرهم، ولم تظهر لمن بعدهم فيه علة أو وهم، بعد دراسة يسيرة للحديث للتأكد مما سبق.
- قبول قول الأئمة المحققين السابقين ممن عرف بالتوثق والاحتياط والمعرفة، وسعة الاطلاع ممن جاء في عصور ما بعد الرواية، كالخطيب، والبغوي، والضياء، والنووي، وابن دقيق العيد، والزيعلي، والذهبي، وابن كثير، والعراقي، والهيثمي، وابن حجر، والسيوطي، والمناوي، وغيرهم، مالم يظهر من أحدهم تساهل، أو تعصب أو مخالفة أو غلط ووهم بعد دراسة يسيرة للحديث.

١ انظر المليباري، (نظرات جديدة)، ص ١٧.

- قبول آراء المحققين والمصححين، وعلماء الحديث المعاصرين ممن عرف بالتوثق والاحتياط وعدم التساهل في الحكم على الحديث، بشرط عدم مخالفة غيره له بعد دراسة يسيرة للحديث.
- لا يحكم على حديث بالصحة الا بعد ثبوت صحة سنده ومتنه معاً، وذلك بعد ثبوت عدالة رواته، وضبطهم واتصال سند الحديث، وسلامة سنده ومتنه معاً من الشذوذ، والعلة القادحة- وهذا رأي جمهور حفاظ الحديث، وهذا يعني أن صحة الكلام نفسه لا تصيره حديثاً، لذا فلا يجوز تصحيح الأحاديث وتضعيفها اعتماداً على صحة السند وحده أو المتن وحده.

المطلب الثاني

الحديث الضعيف في الحديث الموضوعي (مبادئ وقواعد).

الحديث الضعيف هو كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا ...ات الحديث الحسن (١). كما قال ابن الصلاح، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في ...للتعريف السابق: لو عبر بقوله كل حديث لم تجتمع فيه صفات القبول لكان ...م من الاعتراض وأخصر. (٢) وصفات القبول هي المعروفة عند المحدثين وهي ...ال السند، وعدالة الرواة، وضبطهم، وعدم الشذوذ، وعدم العلة.

...جد من العلماء من ذكر الحديث الضعيف لاعتبارات معينة منها: من أداه اجتهاده ...لاحتجاج بالضعيف كمن يحتج بالمرسل، وبراوية مجهول الحال. وإذا كان الحديث ...يف يدخل في باب الاحتياط. وإذا كان الحديث الضعيف مما جرى عليه العمل ...العلماء، ومن عد هذا النوع من الصحيح المختلف فيه. وإذا كان الحديث لا يوجد ...في الباب، ولم يكن ثم ما يعارضه. وإذا كان الحديث في فضائل الأعمال. وإذا كان ...ث في الترغيب والترهيب، وإذا كان الحديث في المناقب، وإذا كان في الحديث ...يف ترجيح لأحد معنيين يحتملهما لفظ حديث صحيح(٢).

... الصلاح، (علوم الحديث) ص ٤١ تحقيق وشرح د. نور الدين عتر، دار الفكر دمشق ١٩٨٦.

...حجر، (النكت على ... [illegible]

و إذا علمنا هذه المجالات التي استعمل فيها الحديث الضعيف المنجبر انحل عنا إشكال يورده بعضهم فيقول: إذا كـان الأصـل أن الحكـم الـشرعي لا يثبـت إلا بالحديث الصحيح أو الحسن لذاته أو لغيره، فلـماذا المـصنّفون في أحاديـث الأحكـام يوردون الأحاديث الضعيفة مع التنصيص على ضعفها تارة والـسكوت عنهـا تـارة؟ فالجواب عن هذا الإشكال: هو أنهم إنما يوردون الأحاديث الضعيفة في مصنفاتهم في أحاديث الأحكام مراعاة لتلك المجالات السابقة، أو للتنبيه على ضعف الحديث فـيما نصوا على ضعفه أو لاحتمال تحسين الحديث بتعدد طرقه أو للإشـارة إلى أن للمـسألة دليلاً في الجملة. (١)

وضع الحافظ ابن حجر رحمه الله شرائط ثلاثـة معروفـة للعمـل بالحـديث الـضعيف بحيث:

تخرج البحث عن العمل بالحديث الـضعيف، لأن مقتـضاها عـدم العمـل بالحـديث الضعيف، خاصة الشرط الثاني والثالث. (٢) والشروط هي:

الأول: متفق عليه وهو أن يكون الضعيف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه.

الثاني: أن يكون مندرجاً تحت أصل عام، فيخرج ما يخترع بحيث لا يكـون لـه أصـل أصلاً.

الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته لكيلا ينسب إلى النبي –صلى الله عليه وسـلم – ما لم يقله(٣).

وقد بين ابن حجر رحمه الله ضوابط أخـرى هامـة ومناقـشة دقيقـة لمـسألة العمـل بالحديث الضعيف وشروط ذلك حيث قال: اشتهر أن أهل العلم يتسمّحون في إيراد الأحاديث في الفضائل وإن كان فيها ضعف ما لم تكن موضـوعة، وينبغـي مـع ذلـك اشتراط أن يعتقد العالم كون ذلك الحديث ضعيفاً، وأن لا يـشهر ذلـك، لـئلا يعمـل

١ المرجع السابق، ص ٢٤٩.
٢ بازمول، محمد بن عمر، (الإضافة– دراسات حديثية)، ١٩٩٥، [illegible]
٣ السخاوي، (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع)، [illegible] المدينة المنورة

المرؤ بحديث ضعيف، فيشرع ما ليس بشرع، أو يـراه بعـض الجهـال فـيظن أنـه سـنة صحيحة (١).

وقال ملا علي القاري رحمه الله: الظاهر أن العمل بالحـديث الـضعيف محلّـه إذا لم يكن مخالفاً للحديث الصحيح أو الحسن وأيـضاً إنـما يعمـل بالحـديث الـضعيف في فضائل الأعمال الثابتة بأدلة أخرى وبين أنه إذا كان الحكم ابتدائي فلا (٢).

وأؤكد ما سبق بقول ابـن تيميـة رحمـه الله في العمـل بالحـديث الـضعيف في فضائل الأعمال لما له من أهمية بالغة في حسن التعامل مع الحـديث الـضعيف حيـث يقول رحمه الله: يقول أحمد بن حنبل: إذا جاء الحلال والحرام شدّدنا في الأسانيد، وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد، وكـذلك مـا عليـه العلـماء مـن العمـل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الـذي لا يحتج به، فإنّ الاستحباب حكم شرعي فلا يثبت الا بدليل شرعي، ومن أخبر عـن الله أنه يحب عملاً من الأعمال من غير دليل شرعي فقد شرع من الدين مـا لم يـأذن بـه الله، كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم، ولهذا يختلف العلماء في الاستحباب كما يختلفون في غيره، بل هو أصل الدين المشروع. وإنما مرادهم بذلك: أن يكون العمل مما قد ثبت أنه مما يحبه الله، أو مما يكرهه الله بنص أو إجماع، كتلاوة القـرآن، والتـسبيح والـدعاء، والصدقة، والعتق، والإحسان إلى الناس، وكراهية الكذب والخيانة، ونحو ذلك، فإذا روي حديث في فضل بعض الأعمال المستحبة وثوابها، وكراهة بعض الأعمال وعقابها فمقادير الثواب والعقاب وأنواعه إذا روى فيها حديث لا نعلم أنه موضـوع جـازت روايته، والعمل به، بمعنى: أنّ النفس ترجو ذلك الثواب، أو تخاف ذلـك العقـاب، كرجل يعلم أنّ التجارة تربح، لكن بلغه أنها تربح كثيراً، فهـذا إن صـدق نفعـه، وإن كذب لم يضره، ومثال ذلك الترغيب والترهيب بالإسرائيليات، والمنامـات، وكلـمات السلف، والعلماء، ووقائع العلماء، ونحو ذلك مما لا يجوز بمجرده إثبات حكم شرعي لا استحباب ولا غيره، ولكن يجوز أن يذكر في الترغيب والترجية والتخويف(٣).

١ ابن حجر، (تبيين العجب بما ورد في فضل رجب)، ص ١١–١٢. نقلا عن المرجع السابق
٢ القاري، ملا علي، (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)، في باب المسح على الخفين
٣ [illegible]

إن الذي يحتج بالضعيف الذي لم تثبت نسبته لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينسب قولاً للشرع لم يرد عن الشارع الحكيم، والضعيف قد يكون خطأً أو صواباً، فإن كان خطأً فإن القارئ سينسب الخطأ للمعصوم- وحاشاه، وإن كان صواباً فأنت تضفي على الصواب قدسية ليست له.

بينما لو تعاملنا مع المقبول فقط، ثم حاولنا فهم الحديث في ضوء القواعد السابقة فإننا إن أحسنا الفهم فحسن، وإن أخطأنا لم ينسب الخطأ للشرع، فحتى ننفي الخطأ والنقص عن الشريعة، فلا بد من غاية التحقيق قبل إثبات حديث أو الاحتجاج به.

قال النووي رحمه الله: فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لكل أحد أَن يتخلق بأخلاق رَسُول الله -صلى الله عليه وسلم- ويقتدي بأقواله وأفعاله وَتَقْرِيره فِي الأحكام والآداب وَسَائِر معالم الإسلام وَأَن يعْتَمد فِي ذَلِك مَا صَحَّ ويجتنب مَا ضعف وَلَا يغتر بمخالفي السّنَن الصَّحِيحَة وَلَا يُقَلّد معتمدي الأحاديث الضعيفة فَإِن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٧) سورة الحشر ، وقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (٢١) سورة الأحزاب، وقال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (٣١) سورة آل عمران.

فَهَذِهِ الآيات وَمَا فِي معناهن حث عَلَى أتباعه -صلى الله عليه وسلم-ونهانا عَن الابتداع والاختراع، وأمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِنْد التَّنَازُع بِالرُّجُوعِ إِلَى الله وَالرَّسُول أَي الْكتاب وَالسّنة، وَهَذَا كُله فِي سنة صحت، أما مَا لم تصح فَكيف تكون سنة، وَكَيف يحكم عَلَى رَسُول الله -صلى الله عليه وسلم-أنه قَالَه أَو فعله من غير مسوغ لذَلِك، وَلَا تغترن بِكَثْرَة المتساهلين فِي الْعَمَل، والاحتجاج فِي الأحكام بالأحاديث الضعيفة وَإِن كَانُوا مصنفين وأئمة فِي الْفِقْه وَغَيره، وَقد أكثروا من ذَلِك فِي كتبهم، وَلَو سئلوا عَن ذَلِك لأجابوا بِأَنَّهُ لَا يعْتَمد فِي ذَلِك الضَّعِيف، وَإِنَّمَا أَبَاحَ الْعلمَاء الْعَمَل بالضعيف فِي الْقَصَص وفضائل الأعمال الَّتِي لَيست فِيهَا مُخَالفَة لما تقرر فِي أصول

الشَّرْع مثل فضل التَّسْبِيح، وَسَائِر الأذكار، والحث عَلَى مَكَارِم الأخلاق، والزهد فِي الدُّنْيَا وَغير ذَلِك مِمَّا أصوله مَعْلُومَة مقررة (١)

إن القول بالعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال أورث الأمة نتائج سيئة يعلمها من يخالط الناس ويعرف أعمالهم، فقد تساهل جمهور المسلمين علماء وخطباء ومدرسين وغيرهم في رواية الأحاديث الضعيفة، والعمل بها، وعدم البحث في رجالها ودرجتها، محتجين بأنها في فضائل الأعمال، وهذا خطير جداً، وفيه مخالفة صريحة للأحاديث التي جاءت تحذر من التحديث الا بعد التثبت من صحة الحديث، منها ما رواه مسلم في مقدمة صحيحة ومن حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين(٢) (٣).

وبناء على ما سبق فإن الواجب هو ترك الأخذ بالحديث الضعيف مطلقاً لا في الأحكام ولا في غيرها، لأن الضعيف لا يفيد الا الظن المرجوح، ولما يترتب عليه من نشوء البدع والخرافات، والبعد عن المنهج الصحيح. وفي دراسات الحديث الموضوعي، فإننا بصدد بناء نظريات عامة تنتفع منها البشرية، عدا عن المسلمين، فكيف نؤسس علماً أو نبني نظرية بناءً على أحاديث ضعيفة. كما أن لحديث النبي -صلى الله عليه وسلم - رهبة وقداسة في النفس ليست لغيره، فلماذا نجعل هذه الرهبة لأحاديث لم تصح عنه عليه السلام، ونعطي هذه القداسة لأقوال يغلب على الظن أنها ليست منه عليه السلام.

وإنني أرى أن نعامل الحديث الضعيف معاملة كلمات السلف، أو المنامات، أو الإسرائيليات، أو أقوال الحكماء فلا نصدق ولا نكذب، ونحسن توظيفها بالطريقة التي نراها مناسبة، دون إسنادها للمعصوم صلى الله عليه وسلم، ودون أن نوهم القارئ نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم، ومع بيان وجه الاستفادة منها، ولو أدرجت

---

١ النووي، (خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام) ج١ص٥٩ حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م

٢ خضير، عبد الكريم، (الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به)، ص ٢٩٨، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٢، ١٤٢٣.

٣ مسلم، (مقدمة الصحيح) ص٧ [illegible]

في ملحق خاص بالدراسات الموضوعية مع بيان ما يتعلق بها من أحكام عملية، وصحة وضعف لكان أولى وأجود – والله أعلم.

المطلب الثالث

علم التخريج ومعرفة طرق الحديث.

وهو مما يحتاجه الباحث في الحديث الموضوعي حاجة ماسة، بل هو الوسيلة لمعرفته بمظان الحديث، وطرقه وما يترتب على ذلك من فوائد.

ويعرف التخريج بأنه الدلالة على موضع الحديث في مصادره الأصلية من كتب السنة، مع بيان درجته عند الحاجة[1]. أو هو الكشف عن مظان الحديث من مصادره الأصلية التي تعتمد في نقله على الرواية المباشرة والحكم عليه، بعد الوقوف على حال روايته من حيث التفرد أو الموافقة أو المخالفة[2]، ومن بعدها الحكم على الحديث ووسيلته هو جمع الروايات من المصادر الأصلية دون غيرها، ثم إجراء المقارنة بين هذه الروايات.

وبالنسبة للباحث في الحديث الموضوعي، فإن التخريج يكون له أهداف ونتائج متنوعة أهمها:

الوصول إلى درجة الحديث من حيث القبول أو الرد إذ الجمع بين الروايات والمقارنة بين ما يرويه المحدث، ومرويات الآخرين من الثقات، هو الذي يستند إليه المحدثون النقاد في الحكم على الرواية، وفي التعامل معها والاستفادة منها من جهة أخرى، وليس هو مجرد معرفة أقوال علماء الجرح والتعديل في الراوي، فالحكم على الحديث تصحيحياً وتعليلاً، قبولاً ورداً، لم يقع من المحدثين النقاد بالاعتماد على صفة الراوي

---

١ بكار، محمد محمود، (علم تخريج الأحاديث)، ص ١٢، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٦م الرياض.

٢ عكايلة،سلطان وآخرون، (الواضح في تخريج الأحاديث)، ص ١٧، [illegible] الدار العالمية – عمان، [illegible]

بغض النظر عن المتون والأمور المحيطة بروايته، وإنما يقع ذلك بناءً على معرفة موافقته للواقع أو مخالفته له، أو تفرده بها لا أصل له[1].

وينبغي التنبه هنا إلى أن اللجوء إلى جمع روايات الحديث الواحد، شواهده ومتابعاته أمر أساسي لا بد منه، إذا أردنا أن يكون الحكم على الحديث قبولاً أو رداً مكتمل الأركان من جهة السند والمتن، وهذا ليس من نافلة القول أو البحث، وهذا شأن المحدثين أصحاب الهمم العالية[2].

ومعرفة طرق الحديث المختلفة للوقوف على الرواية من جميع أطرافها وبجميع طرقها إن أمكن مما يساعد في معرفة الزيادات في ألفاظ الحديث، والناسخ والمنسوخ، وتفسير النص، وأسباب الورود، وبيان المجمل، وتقييد العام، ليكوّن الباحث فهماً صائباً للحديث موضوع بحثه.

وللتخريج طرق مختلفة، يستطيع الباحث المتمرس أن يختار الأنسب منها للوصول إلى مراده ومن هذه الطرق: [3]

استخراج الحديث عن طريق معرفة راوي الحديث سواء كان الصحابي أم من دونه.

استخراج الحديث عن طريق معرفة أول لفظه من متنه.

استخراج الحديث عن طريق معرفة كلمة أو لفظه في متن الحديث.

استخراج الحديث عن طريق معرفة موضوع الحديث.

التخريج عن طريق معرفة صفة في متن الحديث أو سنده.

التخريج عن طريق الحاسوب.

---

١ عبد الجبار سعيد، بحث بعنوان، (بناء الملكة النقدية عند الباحثين في السنة)، مقدم للندوة العالمية الثانية في كلية الدراسات العربية/ دبي، وأبحاث الندوة مطبوعة بعنوان" الحديث الشريف وتحديات العصر"، ج٢، ص ٨٩٨.

٢ المرجع السابق ج٢، ص ٨٩٩.

٣ عكايله وآخرون (الواضح في تخريج الأحاديث)، ص ١٧.

وكل طريقة من هذه الطرق لها وسائلها الخاصة بها، ومراجعها التي تعتمد عليها، وآليات متنوعة في التخريج حسب كل طريقة، لا يمكن لطالب الحديث اتقان فنّ التخريج الا بمعرفتها

الفصل الثاني

مناهج دراسة الحديث الموضوعي ومراحله

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: مناهج دراسة الحديث الموضوعي

المبحث الثاني: المرحلة الأولى لدراسة الحديث الموضوعي

المبحث الثالث: المرحلة الثانية لدراسة الحديث الموضوعي

المبحث الأول
مناهج دراسة الحديث الموضوعي

المطلب الأول
المنهج المتكامل (الكلي) في دراسة الحديث الموضوعي

أولا: التعريف والخصائص

إذا كان التعريف العام لدراسات الحديث الموضوعي بأنها دراسة علمية لموضوع معين بالاعتماد على حديث النبي صلى الله عليه وسلم، أو هو بيان موضوع ما في ضوء السنة النبوية(١).

فالحديث الموضوعي حسب المنهج المتكامل يتمثل تعريفه تعريفاً وصفياً كما يرى د. زيان بأنه: علم يبحث في الموضوعات التي تناولتها السنة النبوية الشريفة، والمتحدة معنى أو غاية من خلال جمع أحاديث الموضوع من مصادره الأصلية، بحيث يقوم الباحث بتحليل النصوص الحديثية المقبولة ومقارنتها ونقدها ثم محاولة ربطها للوصول إلى روح النص النبوي من أجل تطبيقه في الواقع المعاصر(٢). فإن ما ذكره الباحث الفاضل -رغم إفادته- هو وصف للحديث الموضوعي وليس تعريفا له.

والتعريف الذي أراه مناسباً لدراسات الحديث الموضوعي المتكامل وأبحاثه أنه:

بحث علمي، لموضوع ما، من خلال الحديث المقبول، للوصول إلى الهدي النبوي، ومحاولة تطبيقه في الواقع.

ولا بد من التنبيه على عدد من المفاهيم والقواعد والخصائص التي تضمنها التعريف لزيادة الإيضاح وإزالة الغموض. ١- أما البحث فهو: طريقة منظمة أو فحص استفساري منظم لاكتشاف حقائق جديدة والتثبت من حقائق قديمة والعلاقات التي تربط فيما بينها أو القوانين التي تحكمها(٣).

---

١ رمضان الزيان، (الحديث الموضوعي)، ص ٢١٣، مجلة الجامعة الإسلامية.

٢ المرجع السابق، بتصرف يسير. [illegible]

[illegible]

والبحث العلمي هو المحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تعترض مسيرة الإنسان في ميدان من ميادين حياته (١).

والبحث العلمي عملية شاقة، الغاية معرفة الحقائق، ونشرها وتعميمها، وبذلك يجب أن تكون غاياته عامة لا خاصة، من خلال طريقة منظمة منسقة تسمّى المنهج العلمي في البحث. ٢

والمنهج العلمي هو: الوسيلة التي يمكننا عن طريقها الوصول إلى الحقيقة أو إلى مجموعة الحقائق في أي موقف من المواقف، ومحاولة اختبارها للتأكد من صلاحيتها في مواقف أخرى وتعميمها لنصل إلى ما نطلق عليه اصطلاح نظرية، وهي هدف كل بحث علمي(٣)، كما يعرف بأنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة(٤).

والمنهج العلمي في دراسات الحديث الموضوعي، هو: القواعد الأساسية التي ينطلق منها الباحث في الحديث الموضوعي، بحيث تضبط عمله كله بخطواته ومراحله وكيفية تنفيذه للوصول إلى الحقيقة كما هي، وهو الهدف الذي يريده الباحث.

٢- أنه علم اجتهادي، فالنتائج التي يتوصل إليها الباحث ليست نهائية مهما كانت درجة هذا الباحث إلا إذا كانت موضع إجماع. فلا عصمة لأحد من البشر الا نبي الله صلى الله عليه وسلم، ولا قداسة لنتيجة مهما كانت، فقد يتوصل الباحث إلى نتائج محددة ويخالفه غيره في الموضوع ذاته، ذلك لأن العصمة لحديث رسول الله ، أما فهم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتوظيفه والاستنباط منه وإنزاله على الواقع فهي مسائل اجتهادية ليست قطعية، وهذا لا يعني عدم الاهتمام بالنتائج التي

---

١ المرجع السابق، ص ١٨.

٢ المرجع السابق، ص ١٨.

٣ السيد، جمال زكي، (أسس البحث الاجتماعي)، القاهرة– دار الفكر العربي، ١٩٩٢ ص ٨، نقلاً عن المرجع السابق.

٤ بدوي، عبد الرحمن، (مناهج البحث العلمي)، القاهرة– دار النهضة [illegible] نقلاً عن المرجع السابق.

يتوصل إليها الباحث، بل العكس، فإننا نتبنى نتائج الباحث الجاد الذي عرف عنه التحري والنزاهة وغيرها من الصفات اللازمة للباحث، ولكن لا على أنها قطعيات بل ظن راجح في الفهم لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والظن الراجح يوجب العمل.

٣- أنه يعالج موضوعاً والموضوع: قضية بحثية إنسانية أو إشكالية علمية أو معرفية تشغل بال الفكر، وتقلق واقع الحياة المعرفية لما تتطلبه من حلول رشيدة، وتوجيهات سديدة(١). والموضوع الحديثي لا يخرج عن هذا المعنى من حيث أن كل ما تناوله الحديث من قضايا هو مما تمس الحاجة إلى القول الفصل فيه ولكن مع سهولة موضوعنا لوجود مقوماته ومرجعيته المحددة.

٤- ولا يكون الموضوع من مقصودنا إلا إذا كان هناك رابط بين مفردات الموضوع، للوصول إلى منهج نبوي أو هدي شامل في الموضوع الذي يعالجه الباحث، فالغاية من الحديث الموضوعي هو التعرف على مقصد النبي -صلى الله عليه وسلم- في الموضوع بشكل شمولي.

إن بعض الموضوعات التي تتحد في الصفة مثل الأحاديث المنسوخة، أو الأحاديث الغريبة، أو المتواترة أو المراسيل، أو المختلف، أو أحاديث الإعجاز العلمي المتفرقة، أو حتى أحاديث الأحكام بالصورة العامة لها– لا تعدّ من الحديث الموضوعي بهذا المعنى، لأنه لا يوجد رباط ناظم يوصل إلى الهدي النبوي، وإن كانت هذه الأحاديث تحمل الطابع العام للجمع الموضوعي للأحاديث، الا أن التعريف السابق بهذه الصورة يخرجها من دائرة الحديث الموضوعي، وليس كل جمع لعدد من الأحاديث هو حديث موضوعي.

ولقد ذكرت كتب أحاديث الأحكام في تاريخ الحديث الموضوعي، وقصدت أن بداية الفكرة كانت تتمثل في جمع هذه الأحاديث على هذه الصورة، وترتيب أحاديث الأحكام على الأبواب والتفصيل الدقيق لهذه الأبواب يقرب هذه الدراسات من الحديث الموضوعي، بل إننا نعتبر بعض كتب مفردة تناولت موضوعاً معيناً من صلب دراسات الحديث الموضوعي، كجزء رفع اليدين للبخاري، وتعظيم قدر الصلاة

---

١ الدغامين، (منهجية البحث [illegible]

للمروزي، وغيرها، فمجرد الجمع لأحاديث الأحكام، أو المراسيل، أو المختلف،.. . لا تعد دراسات موضوعية، وإن كان أقربها إليها أحاديث الأحكام.

٥- تعتمد أبحاث الحديث الموضوعي أساسا على حديث النبي عليه السلام، فالحديث هو الذي يشكل الهيكل العام للبحث وكل مفردات البحث تستند أساسا إليه، ودور الباحث أن يجد الرابط بين هذه الأحاديث ويحسن فهمها والاستنباط منها ووضعها في المكان اللائق حتى يتشكل البحث. وهذا لا يعني عدم الاستفادة من المصادر الأخرى كالتفسير مثلا أو العلوم المعاصرة أو غيرها ولكن جميعها وظيفتها البيان والتكميل لا التأسيس والتقعيد.

٦-أن الحديث الذي نعتمده في التقعيد والتأسيس هو المقبول فقط بقسميه الصحيح والحسن لذاته أو لغيره خاصة في مسائل الأحكام والعقيدة على مذهب عامة أهل العلم، أما الضعيف فله وضع خاص سأبينه في مبحث العلوم اللازمة.

٧-الهدف الأول في دراسات الحديث الموضوعي هو الوصول إلى الهدي النبوي الشامل في الموضوع، فنحن نبحث عن حل المشكلات من خلال الحديث فكأننا نجيب عن سؤال ؛ماذا تتوقع أن يكون منهج النبي عليه الصلاة والسلام في علاج مشكلة ما من خلال معرفتك بشخصيته وأحاديثه ومواقفه وطريقته في حل المشكلات؟.

٨-لا بد أن يكون الموضوع مما يعالج مشكلات الواقع، فالباحث يتلمس حاجات الناس ومشكلاتهم ثم ينطلق إلى حديث النبي عليه الصلاة والسلام مستكشفا هديه، ثم يوائم بين هذا الهدي النبيل وبين واقعه وحاضره، وقد فصلت في هذا الموضوع في حديثي عن الموضوع الذي يختاره الباحث ولا شك أن هناك عشرات الآلاف من الموضوعات التي يمكن تناولها بالبحث.

ثانيا: نماذج من الحديث الموضوعي المتكامل

من النماذج في الحديث الموضوعي المتكامل دراسة بعنوان العلم وأهله في الحديث النبوي الشريف. وتهدف هذه الدراسة العلمية إلى حل المشكل الذي انطلقت منه وهو وما سبب تأخر المسلمين علمياً؟ وهل [illegible] ومفسرون وغيرهم، هم السبب وراء ذلك، أو هو الاستعمار، أو أن المسلمين بخير، والواقع العلمي للمسلمين بعافية(١) ؟

جمع الباحث الأحاديث ذات الصلة بالموضوع، واستقراها وجمع شروحها المتقدمة مع استدراك ما يمكن استدراكه، ونقد ما هو ما بحاجة إلى النقد، وقدم التوجيهات المستمدة من مقاصد الحديث التي تسمح ببناء فكر إسلامي معاصر يكون المسلمون بفضله خير أمة أخرجت للناس.

وجاء البحث في ثلاثة فصول الأول: العلم، ومن مباحثه حد العلم، ومجاله وخصائصه.

والثاني: أهل العلم، ومن مباحثه صفاتهم، وواجباتهم وحقوقهم. والثالث: أصول طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، التعليمية ووسائلها، ومن مباحثه أصول طريقة الرسول -صلى الله عليه وسلم - التعليمية، ووسائلها، والبعد الأخلاقي، ثم جعل خاتمة لبحثه ضمنها أهم ما جاءت به الدراسة، وحل المشكل الذي انطلقت منه.

وقد عالج موضوعه بطريقة تحليلية مؤثرة مع ذكر الأمثلة الكثيرة من الحديث الشريف، وواقع الحياة اليوم، كما أنه حل بعض المشكل والمختلف مما يعترضه، وناقش بعض الأحاديث من حيث الصحة والضعف لأهميتها في موضوع البحث، وجل أحاديثه من الكتب التسعة، ومن المؤاخذات أنه لم يبين هل الحديث الذي يحتج به صحيحاً أم لا، خاصة في الكتب التي لم تشترط الصحة.

ومن النماذج، كتاب بيت المقدس في الحديث النبوي الشريف، لمؤلفه: الدكتور سعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي. وتكمن أهمية هذا الكتاب في استقصاء السنّة النبوية الشريفة، فيما ورد فيها عن بيت المقدس، ومحاولة حصر جميع الروايات في كل حديث، مما يمكّن الباحث المسلم من إدراك شامل لمكانة هذا المسجد في الإسلام وأهميته الدينية والحضارية للمسلمين، إلى جانب الأهمية الإستراتيجية والجغرافية

---

١ محسن، محمد بن سعيد، (العلم وأهله في الحديث النبوي الشريف)، ص ٧-١١، مؤسسة الريان- بيروت، ط١، ١٩٩٨.

لفلسطين التي يوجد على أرضها. ومقصد هذا الكتاب بهذه المعلومات الغزيرة أن يحرّك النخوة والغيرة ويشحذ الهمم(١).

الكتاب جيد في بابه، وطريقة عرضه، غزير في معلوماته، وبخاصة أنّ كاتبه مختص في الحديث الشريف ومن تلك الديار المباركة، وقد ضمن المؤلف كتابه تمهيدا وسبعة وثلاثين باباً وخاتمة. وقد جعل التمهيد في الحديث عن تاريخ بيت المقدس، وعن الكتب المطبوعة والمخطوطة التي تحدثت عن فضائله. أما الأبواب فقد ضمن كل باب منها فضيلة من فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى، مورداً جميع الروايات المتعلقة بذلك من الحديث النبوي الشريف مع إيراد أقوال العلماء وآرائهم في الحكم على تلك الأحاديث وبعض رواتها، مع تعليقات علمية لطيفة للمؤلف تتعلق بدراية الحديث، وقد بدأ هذه الأبواب بباب: أي مسجد وضع في الارض أولاً؟ وختمها بباب: في ذكر أنّ المهدي ينزل ببيت المقدس. وقد ذيل نص الكتاب بجملة من الفهارس تساعد الباحث في الوصول إلى ما يرغب فيه من المعلومات المتعلقة بالموضوع. ٢

المطلب الثاني

المناهج الجزئية في دراسات الحديث الموضوعي

أولا: المنهج الذي يقف عند جمع الأحاديث والحكم عليها والترجمة لها مع التعليق اليسير.

وأعني بهذا المنهج أن يقوم الباحث بجمع الأحاديث في موضوع معين، ويدرس أسانيدها للحكم عليها ثم يقسم هذه الأحاديث على أبواب ويترجم لكل باب منها، ويعلق على كل باب تعليقاً عاماً مبيناً ما ترشد إليه الأحاديث في الباب. والهدف من هذا المنهج هو مجرد عملية الجمع مع الحكم على الحديث، وبيان شيء من فقهه فقط، وذلك ليكون بين يدي الباحثين في التخصصات الأخرى، ولتقريب السنة إلى من يريد الاستفادة منها. لذا فإن جلّ تركيز الباحث هنا على الحديث من حيث إسناده، والحكم عليه، ومتابعاته وشواهده. والموضوع يأتي تبعاً لا أصالة، لذا فإن الباحث هنا لا يربط

١ القزقي، سعيد بن عبد الرحمن، (بيت المقدس في الحديث النبوي الشريف)، مقدمة الكتاب للدكتور عز الدين بن زغيبه، صفحة ب. مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث [illegible]

٢ لمرجع السابق

كل جوانب الموضوع ببعضها، ولا يتوصل إلى الهدي النبوي أو المنهج النبوي في موضوعه بشكل شمولي.

إن مثل هذه الدراسات نافعة لتدريب الطلاب، وتعليمهم كخطوة سابقة للبحث في الحديث الموضوعي حسب المنهج المتكامل، لذا فإن هذا المنهج يكون ملائماً لطلبة مرحلة الماجستير أكثر من غيره إذ يتمرسون بعملية الجمع، والحكم على الحديث، كما أنهم يسايرون المصنفين القدامى في طريقتهم. ولكن في مراحل علمية متقدمة، كمرحلة الدكتوراه – مثلاً فإن على الطلبة أن يرتقوا بمستوى دراساتهم إلى المنهج الأكمل. وقد قامت دراسات كثيرة نافعة في الجامعة الأردنية، وجامعة آل البيت، حسب هذا المنهج، وأثمرت ثماراً نافعة، ذكرت نماذج منها في الباب الأول فلينظر هناك.

ولكل منهج من مناهج دراسات الحديث الموضوعي دوره وأثره وأهميته، ولا نستطيع أن نستغني بمنهج عن آخر، والتفضيل فيما بين تلك المناهج إنما هو من حيث العموم، وقد يطرأ من الملابسات ما يجعلنا نفضل منهجاً أدنى على منهج أعلى، إلا أنه إن كان بالإمكان الوصول إلى الأعلى مع تحقيق كل مقاصد الأدنى، ثم رضينا بالأدنى فإن هذا من باب القصور الذي يجب تجاوزه والخروج منه.

ومن نماذج هذا المنهج دراسة بعنوان الهدي النبوي في الطب الوقائي، للباحث باسم حسن وردة، وأصلها رسالة ماجستير في الحديث النبوي الشريف في الجامعة الارنية، وهي رسالة بحق متميزة في موضوعها، ومنهجها، وتبويبها، وحسن الاستنباط منها....،وهي أشبه ما يكون بالمنهج المتكامل، والذي جعلها من هذا المنهج أمور منها، أنها دراسة جمع للأحاديث وجهها الباحث للمعنيين بهذا الأمر، وكانت طريقته في الكتابة والتعبير رغم علميتها وفائدتها – فيها جمود، مع توسع في التخريج والرواية على حساب الموضوع مما أثقل الحاشية قليلاً، ومع ذلك فهي في غاية التميز والنفع، وإنها لقريبة جداً من المنهج الكلي لولا هذه الملاحظات اليسيرة.

ثانيا: المنهج الذي يعتمد مفردة أو مصطلحا نبويا في الدراسة الموضوعية.

هل يصلح أن يكون منهجاً مستقلاً في دراسة الحديث الموضوعي؟؟

ذكر كثير ممن بحث في التفسير الموضوعي أن من بين مناهج دراسته، تناول مفردة قرآنية وردت في القرآن الكريم فيقوم الباحث باستقصاء هذه المفردة، واستخداماتها، وترابطها مع بعضها ليقرر حقائق قرآنية من خلال هذه المفردة[1]. وهذا المنهج بهذه الصورة منتقد عند كثير من الباحثين في التفسير الموضوعي، وآثاروا حوله عدة إشكالات منها: أن البحث عن مفردة قرآنية واستخداماتها في القرآن الكريم، لا يتأتى الا للقليل من المفردات، لأن كثيراً من المفردات لم تذكر الا مرة واحدة، ومنها أن البحث عن لفظة لا يقصد منه التفسير الموضوعي في أغلب الأحيان، ولكن المقصود هو التعرف الدقيق على هذا اللفظ من خلال الاستعمال القرآني له، ومنها أنه لا يمكن أن تنتهي دراسة المفردة القرآنية عند تحديد تلك المفردة فحسب[2]. وعليه فإن هذا المنهج عند بعض الباحثين في التفسير الموضوعي يعتبر ناقصاً أو غير معترف به.

فهل يمكن أن يكون الحديث الموضوعي عن طريق مفردة واحدة أو لفظ واحد منهجا في الدراسات الموضوعية؟ تبين فيما سبق أن الحديث الموضوعي لا بد أن يعالج موضوعاً مترابطاً مشتركا في المعنى، وبالنظر إلى المفردة الواحدة في الحديث النبوي يتبين لنا أن المفردة لا تشكل موضوعاً مهما تعددت وتنوعت صورها في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فإن شكلت المفردة الواحدة موضوعاً فقد رجع الأمر إلى الموضوع. إن المفردة في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم - لا تبني موقفاً، ولا تقرر حقائق حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فإنها لا تهمل المفردة في إطار دراسة الموضوعات – خاصة التي تقوم بشكل أساسي على بعض المفردات.

فإذا أراد باحث مثلاً أن يتناول لفظ الفطرة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وجمع الأحاديث التي تناولت الموضوع، فإن الباحث لن يستطيع أن يبني موضوعاً متكاملاً اعتماداً على هذه اللفظة فقط لأن تعبير النبي صلى الله عليه وسلم، قد جاء بهذا اللفظ وبغيره مثل السنة، وسنن المرسلين وغيرها. فإن استطاع الباحث أن يبني موضوعاً مستنداً إلى مفردة، فإن حقيقة الأمر أن هذه المفردة تشكل موضوعاً فالدراسة تكون للموضوع الذي تحمله المفردة لا لذات المفردة.

---

١ الدغامين، (منهجية البحث في التفسير الموضوعي)، ص ٢٣. [illegible]

٢ المرجع السابق، ص ٢٣.

إن معرفة دلالات اللفظ مهمة للغاية في عمل الباحث في الحديث الموضوعي، لأن تحديد معنى المفردة بدقة يساهم مساهمة بالغة في فهم الحديث الشريف وبالتالي حسن توظيفه في بناء موضوع متكامل من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وتختلف الموضوعات حسب درجة اعتمادها على المفردة، فبعضها تعتمد على المفردة بدرجة كبيرة، وبعضها أقل حسب الموضوع، فموضوع مثل مرويات اللعن يعتمد على مفردة لعن بدرجة كبيرة جداً، أما موضوع مثل ترشيد الاستهلاك فإنه لا يعتمد على مفردة بعينها بل على معانٍ مختلفة جاءت بألفاظ ومواقف مختلفة يجمعها معنى واحد.

إن الدراسات الموضوعية التي تناولت مفردة بعينها وجعلتها محور الدراسة- دون ربطها بموضوع شامل متكامل هي دراسات ناقصة من حيث معالجتها للموضوع، وهذه الدراسات من هذا النوع تصلح مقدمات للدراسة الشاملة، وقد ذكرت في نقد بعض الرسائل العلمية، أن منها من اعتمد اللفظ أساساً في دراسته وأغفل الموضوع فكانت النتيجة أن الباحث خرج بنتائج مبتورة، لا تعالج مشكلة، ولا ترتقي بالواقع، ولا تحيط بالموضوع من أطرافه.

وهناك دراسات تناولت موضوعاً ثم حصرت نفسها بمفردة أو بلفظ معين مثل الأحاديث الواردة في العقل والأحاديث الواردة في البحر. والعكس كذلك، فهناك دراسات ابتدأت من مفردة ثم توسعت لتغطي الموضوع من جميع أطرافه مثل دراسة مرويات اللعن في السنة النبوية. فطبيعة معالجة الباحث لموضوعه هي التي تحدد كون هذه الدراسة قريبة إلى الكمال أو بعيدة

وخلاصة الأمر أن مجرد جمع أحاديث ورد بها لفظ أو مصطلح معين يعتبر من أضعف المناهج شبهاً بالحديث الموضوعي بالمعنى الشامل الذي قصدته. وهذا لا يعني أن دراسة المفردة في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم - غير مهمة، فحكمنا في سياق آخر وهو قرب الدراسات أو بعدها عن جوهر الحديث الموضوعي.

[illegible] الموضوعي، ص ٢٣٧.

ثالثا: المنهج الذي يعتمد على أحاديث في مصادر محددة.

يحدد بعض الباحثين لأنفسهم مصادر حديثية معينة محصورة يتم جمع الأحاديث لموضوعهم منها. وأغلب من يسير على هذا المنهج هم طلبة الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في تخصص الحديث الشريف أو غيره من التخصصات، والسبب في ذلك أن هؤلاء قد حدد لهم زمن معين لإنهاء رسائلهم الجامعية، كما أنهم يريدون الابتعاد عن المساءلة عن أحاديث لم تدخل في دراساتهم، ويفضل بعض الباحثين هذه الطريقة خاصة الذين يحددون الصحيحين مصدراً لدراستهم للخروج من مهمة تصحيح الحديث وما يتعلق به، ويشير الباحثون هنا في عناوين أبحاثهم أو مقدمة البحث إلى هذا التحديد خروجاً من التبعة، رغم أن أغلبهم لا يلتزم بما حدد لنفسه من أجل استكمال موضوعه بالصورة المناسبة.

وقد يحدد بعض الباحثين مصادره بالكتب الستة، أو الكتب التسعة، ورأيت بعض الباحثين قد حدد نفسه بمسند أحمد لاعتبارات مقبولة، إذ أن المسند قد حوى السنة أو كاد، إضافة إلى أن المسند أكثر كتب الحديث تكراراً لروايات الحديث الواحد، ومعنى هذا أن المسند يستوعب الأحاديث ورواياتها، وهذا الاستيعاب ضالة من يحاول أن يتوصل إلى التفسير الصحيح(١). ولكن ومع القناعة بسعة المسند، لكن ثمة أحاديث لا يحتويها المسند لاختلاف شروط المصنفين.

ومن النماذج لهذا المنهج بحث بعنوان الإيمان والعمران، دراسة في علاقة الإيمان بالتنمية البشرية كما يصورها الحديث النبوي الشريف، للدكتور حسام أحمد قاسم، من كلية الآداب – جامعة القاهرة (٢).

يعالج البحث التصور النبوي للعلاقة بين الإيمان والعمران، ويحدد كيفية مساهمته في أحداث التنمية وقد جعله في مبحثين، الأول: لدراسة مفهوم الإيمان، والعلاقة بينه

١ حسام، أحمد قاسم، (الإيمان والعمران، دراسة في علاقة الإيمان بالتنمية البشرية كما يصورها الحديث النبوي الشريف)، بحث منشور ضمن وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة المنعقدة في دبي، ومطبوع باسم" القيم الحضارية في السنة النبوية، ٢٠٠٧، ج٣، ص١١٩، صادر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ط١ ٢٠٠٧م.

٢ المرجع السابق.

وبين العمل حيث يعد العمل جزءاً من الإيمان، ودليلاً عليه، وناتجاً عنه، ومصدراً لاستمراره، كما يحدد هذا المبحث أنواع العمل وهي الأعمال العبادية والسلوكية والأخلاقية والأعمارية، كما يحدد العلاقات القائمة بينهما، والكيفية التي ترتبط بها.

والمبحث الثاني يضطلع بدراسة علاقة كل نوع من هذه الأنواع بالإيمان، كيف يؤثر الإيمان في كل منها ويتأثر به، وجاء هذا المبحث في ثلاث فقرات، الأولى: تفسر علاقة الإيمان بالعبادة، والثانية: تفسر علاقة الإيمان بالأخلاق، والثالثة: لدراسة أوجه العلاقة بين الإيمان والأعمار التي تحددت في ست علاقات هي: أن الإيمان يتطلب التنمية لأداء الكثير من عباداته، وأنه يأمر بها على نحو مباشر. وأنه يحافظ عليها، وان الدعوة إلى الإيمان تستلزمها، وأن تقويته واستمراره يحتاج إلى القدرة والقوة الناشئين عنها، وأن الالتزام بمكوناته كلها يؤدي بالضرورة إلى التنمية.

وهذا النموذج يكاد يقترب من المنهج المتكامل، لولا أنه اقتصر في استقراء الأحاديث على مسند أحمد؛ مما يدل على أن المناهج في دراسة الأحاديث الموضوعية ليست على درجة واحدة من النضج والكمال، بل إن أبحاث المنهج الواحد ليست على درجة واحدة، والمقياس لهذا هو مقدار قربها أو بعدها من المنهج المتكامل، والطريقة التي تناول فيها الباحث موضوعه، ودرجة صحة النتائج التي توصل إليها.

رابعا: المنهج الذي يعتمد حديثاً واحداً للدراسة الموضوعية.

يقوم هذا المنهج على اختيار حديث شريف يكون أصلاً في دراسة موضوع معين، حيث يكون محور هذه الدراسة استقصاء رويات الحديث وطرقه من كافة مصادر السنة النبوية من جهة ودراسة الموضوع الذي يتضمنه الحديث من جهة أخرى(١).

وأهم ما يميز هذه الدراسات أنها- في الغالب- قصيرة يستخدمها الباحثون في مجال الحديث الشريف لبحوث الترقيات والنشر في المجلات المحكمة، وتصلح لأوراق العمل في المؤتمرات والندوات والمحاضرات العلمية، مع أن من هذه الدراسات ما قد يطول حتى لعدة مئات من الصفحات بحيث تنشر في مؤلفات وكتب خاصة بأصحابها.

١ الزيان، الحديث الموضوعي، ص ٢٣٢.

كما تتميز هذه البحوث - في الغالب - بالرسم الدقيق لشجرة الإسناد الذي يجمع كافة متابعات الحديث محور الدراسة بالإضافة إلى شواهده. وكذلك تركز هذه البحوث على اختيار الأحاديث التي قد تتعرض للنقد أو الطعن أو الشبهة، وكذلك الأحاديث المختلف ثبوتها بين أهل التخصص مما يثير الرغبة عند أهل الحديث لبسط الكلام حول تلك الأحاديث في بحوث خاصة.

ومن الملاحظ أن هذا النوع من الدراسات أقرب ما يكون من الحديث التحليلي إن اقتصرت فيه الدراسة على تحليل النصوص، ونقدها دون دراسة موضوعها وربطه بواقع المسلمين المعاصر، لذا على الباحثين في هذا المجال إعطاء الدراسة الموضوعية حقها لموضوع الحديث بجانب الدراسة التحليلية لسند الحديث ومتنه.

وأما عن أهم المراحل المتبعة في منهج البحث في هذه الدراسات فيتمثل في: تحديد الحديث محور الدراسة. وجمع طرق الحديث من شتى مصادر السنّة النبوية. ودراسة أسانيد الرويات. ورسم شجرة الإسناد. والحكم على الحديث بمجموع طرقه. ودراسة ألفاظ الحديث ومقارنتها بين الروايات. ودراسة موضوع الحديث مع جميع جوانبه عن طريق جمع المادة العلمية غير الحديثية. وربط موضوع الحديث بالواقع المعاصر للمسلمين. وترتيب المادة العلمية وتنظيمها في تقسيم معين. وصياغة البحث مع إبراز موضوع الحديث إلى جانب تحليل النص ونقده.[1]

خامسا: المنهج الذي يعتمد على عدة أحاديث دون استقصاء ودون تحديد للمصادر.

يقوم هذا المنهج على البحث في موضوع معين من السنة النبوية، بالاعتماد على مجموعة من الأحاديث المقبولة ولكن بدون استقصاء لهذه الأحاديث من كل جوانبها أو من جميع مصادرها، كما أن الباحث لا يرجع فيها إلى مصادر محددة يصنعها لنفسه، بل إنه ينتقي من الأحاديث التي تخدم موضوعه بغض النظر عن المصدر الذي أخرجها طالما تحقق بشرط الصحة.

أغلب الدراسات من هذا النوع تحمل طابع الوعظ والإرشاد، وأنها مقدمة لعموم الناس، وليست لفئة الباحثين أو المختصين، لذا فإنها تقدم بأسلوب متداول بين الناس

---

١ [illegible]

معروف عند أكثرهم، والأحاديث التي تنتقى يكون أغلبها مما هو مشهور بين أهل الحديث وغيرهم، ولا يحرص الباحث هنا على الاستقصاء والإحاطة في الأحاديث موضوع البحث، كما أنه لا يقدم منهجاً متكاملاً للهدي النبوي في موضوعه ولكنه يبين منهج أغلبي.

وموضوعات مثل هذا المنهج يغلب عليها معالجة الموضوعات التقليدية التي يحتاجها أغلب الناس في حياتهم العامة، وكتاب رياض الصالحين، يمكن اعتباره أساس لهذا المنهج. وطالما أن البحث ضمن هذا المنهج سهل وميسور لكثير من الباحثين، بل الوعاظ والدعاة، فإنهم يكثرون من استخدامه، ويعالجون الموضوعات بناءً عليه بقصد ترغيب الناس في أمر أو ترهيبهم منه.

إن هذا المنهج هو الذي يسود في أكثر أوساط الدعاة والوعاظ ومن يمشي مسلكهم، فكثيراً ما تجد كاتباً جمع عدة أحاديث في صلة الرحم، أو تحري طلب الرزق الحلال، أو الدعاء أو بر الوالدين، أو الجهاد في سبيل الله تعالى، أو صفة الجنة، أو النار...

ولهذا المنهج دوره في الإصلاح والتربية، وتهذيب الأخلاق ونافع للخطب والمواعظ، إلا أنه لا يمكن النظر إليه على أنه دراسات متكاملة في الموضوعات التي يطرحها، و لا يشكل المنهج الشامل الذي نريده، لذا فإننا لا نستطيع أن نعتمده منهجاً في دراسات الحديث الموضوعي العلمية التي تعتمد في أبحاث الرسائل العلمية في مرحلة الماجستير أو الدكتوراه، أو أبحاث الترقية العلمية، أو حتى أبحاث المؤتمرات والندوات العلمية المحكمة منها، رغم أهميته ودوره في مجال الوعظ والإرشاد والإصلاح، إلا إذا أشبع الموضوع بالأحاديث التي تغطيه من جميع جوانبه ولو بدون استقصاء.

ومن أمثلة هذا المنهج كتاب هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، الذي تحدث فيه عن الأخلاق مستنداً في الغالب إلى أحاديث صحيحة أو حسنة، وقسم الأخلاق إلى مجموعات منها في الربانية، والعلم، والوجدان، والسلوك. ثم ذكر في كل قسم عددا من الأخلاق، واستدل عليها بمجموعة من الأحاديث، وبين وجه الارتباط والدلالة فيما بين الحديث والخلق الذي سيق لأجله، مع ذكر بعض المواقف للصحابة أو

[illegible]

التابعين وغيرهم، وربط الموضوع بآيات القرآن الكريم وباختصار، فإنه نافع ولكن في باب الوعظ والإرشاد والخطب لا في باب الدراسات المحكمة التي تصلح أن تكون برنامج عمل أو خطط قابله للتنفيذ لقصورها عن الكمال، والله أعلم.

ومن نماذجه أيضا بحث بعنوان: ترشيد استهلاك الماء بين الواقع والسنة النبوية- الوضوء والغسل نموذجا-[1]، ورغم أن البحث من المناهج الجزئية، إلا أنه كاد أن يصل إلى مرتبة المنهج الكلي المتكامل لولا مسألة واحدة هي عدم استيعابه للأحاديث، فقد توفرت لهذا البحث عناصر كثيرة منها أنه ثمرة جهد مشترك بين مختص في الكتاب والسنة، ومختص في علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية، واحتوى البحث على مقدمة نافعة تبين الأزمة والمشكلة العالمية في موضوع الماء، مع ربط واقع الماء في السنة النبوية الشريفة بالواقع المشهود ومعالجة الموضوع واقعياً أيضاً بدراسة إحصائية باستبيان تناولا فيه موضوع الغسل والوضوء عند مجموعة من طلبة العلوم الشرعية في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

وقد أسفر البحث في ضوء الدراسة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، والواقع المعاصر عن نتائج هامة في الموضوع، كما أنه أوصى بعدة وصايا نافعة قابلة للتنفيذ من شأنها أن تساهم مساهمة بالغة في حل هذه المشكلة.

---

1 علاوة عنصر، وحكيمة حفظي، (ترشيد استهلاك الماء)، بحث منشور ضمن وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة التي عقدت في كلية الدراسات الإسلامية [illegible] بعنوان" القيم الحضارية في السنة النبوية، ط1 ،2007، ج2، [illegible]

المبحث الثاني
المرحلة الأولى لدراسة الحديث الموضوعي

تمهيد

إن أي بحث علمي جاد لابد أن يمر بمراحل ابتداءً من الفكرة وانتهاء بالتقييم والمراجعة وما بينهما من خطوات، وقد كان للدكتور رمضان الزيان في بحثه عن الحديث الموضوعي جهد مشكور في تحديد المراحل التي تمر بها دراسات الحديث الموضوعي وهي: [1]

١. تحديد فكرة تستحق البحث.
٢. جمع المادة الحديثية من مصادرها الأصلية.
٣. دراسة الأحاديث سنداً ومتناً، للوقوف على الأحاديث المقبولة، ثم اختيار أجمع الألفاظ للأحاديث.
٤. صياغة مفردات البحث في ضوء الأحاديث المقبولة.
٥. جمع المادة العلمية – غير الحديثية– من مظانها حسب موضوع البحث.
٦. ربط موضوع البحث بواقع المسلمين اليوم.
٧. صياغة مادة البحث وفق المادة العلمية المجموعة، وفي ضوء قواعد مناهج البحث العلمي.

وجعل هذه الخطوات لأغلب مناهج دراسات الحديث الموضوعي.

وقد رأيت أن أجعل المراحل في دراسة الحديث الموضوعي مرحلتين كل مرحلة في مبحث مستقل:

الأولى: مرحلة بناء التصور وجمع الأحاديث

والثانية: مرحلة الكتابة واستكشاف المنهج النبوي.

وتقسم كل مرحلة منها إلى قسمين:

الأول: متطلبات المرحلة فيما يتعلق بالموضوع.

---

1 الزيان [illegible]

والثاني: متطلبات المرحلة فيما يتعلق بالحديث.

وجعلت كل قسم في مطالب متعددة تستوعبه، وهناك خطوات متسلسلة يتبعها الباحث في كل مرحلة ولا بد من مراعاتها للخروج بأفضل صورة في أبحاث الحديث الموضوعي، ومن شأن هذه الخطوات والمراحل أن تنبه الباحث إلى مسائل متعددة تسير بالبحث نحو الكمال المنشود بإذن الله.

أما الخطوات والمراحل التفصيلية للبحث في الحديث الموضوعي حسب المنهج المتكامل كما أراه فهي بالتفصيل كما يلي:

المرحلة الأولى

مرحلة بناء التصور وجمع الأحاديث،

وخطواتها هي:

أولا: فيما يتعلق بالموضوع

١- اختيار موضوع مناسب.

٢- الفهم الدقيق للموضوع الذي يتناوله.

٣- تحديد الهدف من الدارسة.

٤- صياغة العنوان.

٥- جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع.

٦- رصد أبعاد الموضوع في الواقع العملي والدراسات العلمية

٧- كتابة مخطط مبدئي للبحث.

ثانيا: فيما يتعلق بالحديث.

١-تنقية الأحاديث، واعتماد المقبول منها، وما يصلح للاستئناس به.

٢-فهم الحديث، ومعرفة شرحه، والأحكام التي يتضمنها.

ومن الممكن أن تتداخل هذه الخطوات، فليس بالضرورة أن يسير الباحث وفق الترتيب السابق بحرفيته، ولكن مجموع هذه الخطوات يوصل إلى النتائج المرجوة بإذن الله تعالى.

المرحلة الثانية

مرحلة الكتابة واستكشاف المنهج النبوي

وخطواتها هي:

أولا: فيما يتعلق بالموضوع

١. الإحاطة التامة بالموضوع والتصور الكامل له من خلال الحديث، والدراسات العلمية.
٢. معالجة الموضوع في ضوء هداية القرآن الكريم.
٣. معالجة الموضوع في ضوء مقاصد الشريعة.
٤. مراعاة خصائص ومتطلبات الموضوع.
٥. اكتشاف وإبراز المقصد والمنهج النبوي.
٦. مناقشة الآراء المختلفة، ومعالجة الواقع.
٧. إسقاط المنهج النبوي على الواقع.
٨. الالتزام التام بشروط البحث العلمي.
٩. عرض الدراسة على المختصين.

ثانيا: فيما يتعلق بالحديث والأسلوب العام للكتابة.

١. اختيار الرواية والتعامل مع الشواهد والمتابعات.
٢. مراعاة طريقة التخريج المناسبة.
٣. معالجة مشكل الحديث ومختلفة إن وجد.
٤. مراعاة الأسلوب الحسن في الكتابة وطريقه العرض.

هذه هي الخطوات التي أراها مناسبة للكتابة في الحديث الموضوعي علما أن بعضها تعتبر من الشروط وبعضها من الخصائص ولكن لا بد أن تكون مجتمعة لإتمام الدراسة الموضوعية بأفضل صورة، وهذه هي الخطوات من حيث الإجمال أما التفصيل فهو كما يلي:

المبحث الثاني

المرحلة الأولى

مرحلة بناء التصور وجمع الأحاديث

المطلب الأول

اختيار الموضوع وموقف الباحث منه

تشمل دراسات الحديث الموضوعي كل المجالات، ما يتعلق منها بالعقيدة أو العبادة أو الأخلاق والسلوك، أو البناء الحضاري وغيرها من الموضوعات التي لا تحصى عدداً ولا تنتهي سعة وكثرة، وتعالج جميع جوانب الحياة المختلفة التي تطرق إليها النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ضمن مجال الهداية والرحمة التي أرسله الله عز وجل بها للعالمين، لذا كان على الباحث أن ينتقي الموضوع المناسب ضمن معايير محددة واضحة تسهم في الارتقاء والنهوض بالواقع الذي يعيش.

إن كثيراً من الباحثين في علوم الشريعة وطلبة العلم يشكون من قلة الموضوعات البحثية وندرتها ولا يجدون موضوعاً بحثياً لرسائلهم، وأطروحاتهم بعد إنهاء الدراسة التحضيرية، والسبب في ذلك – في الأعم الأغلب– انقطاعهم عن الواقع الذي يعيشونه، وحصر اهتمامهمْ في إعادة تنسيق التراث الإسلامي وترتيبه، وعدم اطلاعهم على مشكلات العلوم الإنسانية والاجتماعية... المشكلة أن الباحثين في علوم الشريعة قد نأوا بأنفسهم عن هذا الميدان، وقصروا بحوثهم على إعادة اجترار التراث الإسلامي[1]

ينبغي للموضوع أن لا يكون مقتصراً على الموضوعات الدينية كالصلاة، والصيام، والزكاة. . . . أو مقتصراً على موضوعات مطروحة في كتب التراث فيعمد إلى اجترارها، فينعكس ذلك كله على شخصية الباحث، وعقليته، فتغيبه في بطن التاريخ، وتقطعه عن الواقع كل الانقطاع، فيعيش بموضوعه منعزلاً وحيداً، فلا بد من أن يتناغم شمول الموضوع مع شمولية الخطاب النبوي للإنسان في كل عصر حتى لا يتخلف الخطاب النبوي- بفهمنا عن ركب الحياة الإنسانية وتطورها[1]

من المفترض إذا أن يكون الموضوع الذي يختاره الباحث مما يشغل الساحة الفكرية والمعرفية المحلية أو العالمية مما يتعلق بالسياسة أو الاقتصاد والتربية والاجتماع، والأخلاق، والسلوك، والحضارة. أي أن يكون مما تدعوا إليه مقتضيات العصر وضروراته، وأن يتصف بالحيوية والواقعية، فالصلة التي تربط الباحث بالواقع تضطره إلى دراسته ومعرفة قضاياه ومشكلاته فتتأصل أهمية الموضوع وتترسخ قيمة البحث فيه، وتبرز الجدوى العلمية للبحث في ذلك الموضوع.

ولكي يكون الموضوع ناضجاً لا بد أن تكون بين الباحث وموضوعه علاقة قوية، علاقة تتمثل بمعايشة الباحث لهذا الموضوع وحبه له واهتمامه فيه لدرجة الاختصاص، ومعرفة مداخله ومخارجه، والآراء فيه الموافقة لرأيه، والمخالفة له، حتى يكون متشبعاً من الموضوع يحسن إدارته وقراءته وفهمه، وتقديمه بعد ذلك.

وقد ذكرت في مبحث مصنفات معاصرة بعض الكتب التي تفتح الأذهان لمعرفة بعض موضوعات السنة- نظرياً وعملياً- مثل كتاب دليل التاريخ والحضارة للدكتور عماد الدين خليل، وكتاب الدليل التصنيفي بإشراف د. همام سعيد، وموسوعة أصول الفكر السياسي والاقتصادي د. خديجة النبراوي، وكتاب مفتاح كنوز السنة للمستشرق فنسنك، وكتاب ندوة السنة النبوية ومنهجيتها في بناء المعرفة والحضارة.

الباحث الموضوعي يتعامل مع الموضوع في إطار قدراته العقلية والمعرفية والمادية والبيئية، والزمانية والمكانية. فلا يقدم الباحث على موضوع لا يستطيع أن يوفيه حقه من حيث فهمه له أو اختصاصه فيه أو عدم مناسبة بيئته للموضوع كمن يبحث في أثر بيئة مكة المكرمة في تربية النبي -صلى الله عليه وسلم - لصحابته في المرحلة المكية وتطبيقاتها المعاصرة مثلاً، وهو يسكن في أوروبا أو غيرها من البلدان، ولا يعرف بيئة مكة ولا طبيعتها الا من خلال الكتب، وكذلك مراعاة حجم الموضوع واتساعه للمدة

---

١ الدغامين، (منهجية البحث في التفسير الموضوعي)، ص٦٨

١ انظر المرحلة الثانية [illegible]

الزمنية المتاحة للبحث، وكذلك الفئة المخاطبه بهذا الموضوع... وهكذا فإن على الباحث أن يجعل موضوعه في أتم صورة وأحسن مظهر.

نخلص مما سبق إلى أن الموضوع يجب أن يكون متصفاً بمعايير وخصائص محددة منها: أن يكون الموضوع نبويا جاء النبي -صلى الله عليه وسلم - ببيان أغلبه مما يشكل العمود الفقري أو الهيكل العام للموضوع، وأن يكون الموضوع معاصراً له أثر إيجابي في حياة الناس، وعلى عقلية الباحث وسلوكه، وأن يكون هناك صلة اختصاص أو معايشة بين الباحث وبين موضوعه، وأن يراعي الباحث طبيعة الموضوع الذي يكتب فيه من حيث خصائصه، وقدرات الباحث.

وكتابة البحث صناعة رفيعه ومهارة مكتسبة، وهي أحدى الوسائل التي تصقل المواهب، وتنمي المعارف فطرق تحصيل العلم ثلاثة: العمل به، وتعليمه، والتصنيف فيه، وهو أعمقها وأعظمها أثراً، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذي صنف فيه[1]

وحتى تكون أبحاث الحديث الموضوعي رصينه وتتناسب مع الرسالة التي يقوم بها المحدث، فلا بد أن يتعامل مع الموضوع كالمختص به، ولقد أدرك بعض المعاصرين ضرورة التوسع في التخصص الفرعي لطلبة الشريعة والدراسات الإسلامية، وبخاصة المتفوقين منهم، وأن يكون هذا التخصص الفرعي في نطاق واحد من العلوم الإنسانية والاجتماعية على وجه الخصوص، نظراً لعلاقتها الوثيقة بعلوم الشريعة، من جهة، ولأنها تصل الطالب بلون من الدراسات الإنسانية المعاصرة، والتي يمكن عدها بصورة عامة منقولة أو مترجمة من ثقافات الأمم الأخرى، وربما حكمتها أو تحكمت فيها الروح العلمانية، أو كانت بالنسبة للطالب صورة من الحاضر العلماني من جهة أخرى، وأخيراً لأن هذا التخصص الفرعي يمهد

١ أبو سليمان، عبد الوهاب، (منهج البحث في الفقه الإ[illegible]

للطالب سبيل الاجتهاد والمشاركة العلمية الواعية في تقديم الصورة الإسلامية أو البديل الإسلامي في هذا الحقل، في المستقبل إن شاء الله تعالى[1].

وهو اقتراح حري أن لا يغيب عن أذهان المحدثين الذين يتصدون لأبحاث ودراسات الحديث الموضوعي، كما أنه بالإمكان التكاتف في إخراج أعمال نموذجيه – مشتركة – ليرى كيف أن تكاتف العقل مع الوحي في إخراج بعض القضايا الاجتماعية يفوق استخدام أحدهما أو في غيبة أحدهما عن الأخر[2]

فهما اقتراحان، الأول: التخصص الفرعي لطلبة الحديث، والثاني الدراسات المشتركة بين أصحاب التخصصات الشرعية الحديثية وبين أصحاب التخصصات من فروع المعرفة الأخرى.

فلا بد تطوير منهجية معرفية لبناء العلاقة السليمة بين معارف الوحي والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك من خلال التعاون بين أعضاء هيئة التدريس في كليات علوم الشريعة وكليات العلوم الإنسانية.

المطلب الثاني

تحديد الهدف وصياغة العنوان في دراسات الحديث الموضوعي

تحديد الأهداف هو مفتاح النجاح في إنجاز البحوث(٣)، وهو ذو صلة قوية بتحديد الموضوع أو المشكلة، وهو لاحق لتحديد الموضوع لا سابق له. وأهداف الدراسة ذات صلة بطبيعة الموضوع أو المشكلة، وكلما كان الهدف محددا فإنه يوصل إلى نتائج أدق، ويمكن للباحث أن يجزئ الهدف العام إلى مجموعة أهداف خاصة يسهل

١ زرزور،عدنان (منهجية التعامل مع علوم الشريعة في ضوء التحديات المعاصرة)، بحث مطبوع ضمن بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات عمان – الأردن، ١٩٩٤، ط١، ١٩٩٥، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص ١٣٩

٢ أبو سليمان، عبد الحميد، تعليق على أبحاث "ندوة السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة"، ج٢، ص ٥٣٠

٣٧ ، عبد الرحمن [illegible] كتابة البحوث العربية)، ص ١٦٨، مكتبة [illegible]

تناولها في البحث، وتحقيق نتائج علمية فيها، ووضوح الهدف ومباشرته، يساعد الباحث على انجاز مهمته بأفضل صورة(١)

لذا فإن الباحث في الحديث الموضوعي يكتب أهدافه العامة من البحث، وتكون محصورة ضمن موضوع محدد ثم يكتب لكل هدف من الأهداف العامة مجموعة أهداف خاصة حتى يصل إلى نتائج سليمة بإذن الله، وكلما ابتعد الباحث عن التعميم في أهدافه كان ذلك أفضل، وأقرب إلى الصواب، ويخشى على الباحث الذي يعمم أهدافه ويوسعها كثيراً أن تضيع الحقائق الدقيقة في ثنايا بحثه، وعدم قدرته الوصول إلى نتائج محددة.

ومن أمثلة الأهداف العامة الواسعة: أن يبين المنهج النبوي في إسعاد المجتمع أو بيان المنهج النبوي في بناء العلاقة بين العبد وربه عز وجل. أو دراسة الأحاديث النبوية المتعلقة بالنساء. فإن هذه أهداف عامة واسعة تحتاج إلى دراسات متنوعة ومتفرعة، إذ إن أغلب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، تتناول هذه الموضوعات، وبالتالي يصعب حصرها و لا نتوصل إلى نتائج دقيقة.

أما لو كانت الأهداف محددة واضحة مثل: بيان المنهج النبوي في بناء الصحة النفسية، أو العقلية، أو الجسدية، أو الرضا عن الله عز وجل في منهج النبي صلى الله عليه وسلم. أوبيان أثر الصلاة في بناء العلاقات الاجتماعية أوفن الذكر والدعاء عند خاتم النبيينρومثل دراسة أحاديث الطهارة الخاصة بالنساء و المنهج النبوي في بناء العلاقة الطيبة بين الرجل وزوجته فإن مثل هذه الموضوعات محددة، فيكون الوصول إلى نتائج محددة فيها أمر ممكن للباحث الجاد، والله أعلم.

لما كانت دراسات الحديث الموضوعي مبنية على حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وتبني فكرة متكاملة من خلاله، وتستنبط الأحكام المختلفة من هدية عليه السلام، وتحيط بجوانب الموضوع من زواياه المختلفة، فإن على الباحث أن يحسن انتقاء العنوان لموضوع بحثه.

---

(١) [illegible] ص ٢٧٠.

إن أي عنوان لموضوع علمي لا بد أن يتسم بالدقة، والدلالة الواضحة على موضوعه، والإيجاز، وخلوه من التعقيد، وأن يكون مفهوماً لأهل الفن، وبعده عن المحسنات اللفظية قدر الإمكان، والإحاطة بموضوعه.

وباستعراض عناوين دراسات الحديث الموضوعي نجد أن صياغة العناوين تختلف حسب اختلاف طبيعة البحث، فالأبحاث الوصفية التي تهدف إلى وصف حالة معينة من الحديث النبوي تأخذ منحى مباشرا في العنوان مثل: مشاهد القيامة في الحديث النبوي، والمرويات في خطب النبي -صلى الله عليه وسلم - في الجمعة والعيدين والمناسبات الإسلامية، والأحاديث الواردة في الحرب النفسية، والأحاديث النبوية الواردة في العقل في الكتب التسعة.

أما الدراسات التي يغلب عليها جانب التحليل والاستنباط بالإضافة إلى الوصف مثل محاكاة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار والمشركين في ضوء السنة النبوية فيكون عنوانها دال عليها، بمقابل دراسة الأحاديث الواردة في أحكام النصارى والنصرانية: جمعاً وتخريجاً وتبويباً وتعليقاً التي تعد من الدراسات الوصفية. فالأولى تحليلية والثانية جمعية وصفية. ومثلها دراسةالغيبيات في ضوء السنة. وهناك دراسات تمثل موقف السنة من موضوع معين مثلموقف السنة من المسؤولية والجزاء ويغلب على مثل هذه الدراسة – من خلال عنوانها – جانب التحليل.

أما ما يتعلق بالدراسات المعرفية والحضارية فإنها تعالج الموضوعات المعاصرة التربوية أو النفسية أو الاقتصادية أو التعليمية أو الصحية من خلال السنة النبوية. وعناوينها تحمل أحياناً طابع العموم والاتساع مثل التربية الاجتماعية في السنة النبوية أو دور التربية الإسلامية في بناء العلاقات الاجتماعية في ضوء السنة النبوية فإن هذه العناوين واسعة جداً لأنها تتناول موضوعات كثيرة ضمن التربية الاجتماعية، وكثير من هذه الدراسات لم تقدم أساساً من المختص في الحديث الشريف، ولكن قدمها المختصون في التربية، لذا فإنه يصعب عدها أساساً من الحديث الموضوعي، وقد ذكرتها هنا للتنبيه، ولأن عنوانها يتوافق مع عناوين دراسات الحديث الموضوعي.

وهناك موضوعات من الحديث النبوي تبرز شخصية الرسول -صلى الله عليه وسلم – من خلال مواقف معينة أو موضوعات معينة، ولا تختلف عناوينها عن

التي تعالج موضوعاً بالاعتماد على حديث النبي صلى الله عليه وسلم. ومن هذه الموضوعات-على سبيل المثال- الرسول المعلم -صلى الله عليه وسلم - وأساليبه في التعليم، وشخصية الرسول القيادية، والمنهج السياسي والإداري لرسول الله -صلى الله عليه وسلم - في حكومته للأمة وبيان ذلك من خلال السنة النبوية. ومنها: منهج الرسول -صلى الله عليه وسلم - التربوي في معالجة المواقف التي أشكلت على الصحابة في الغزوات.

وتناولت بعض الدراسات الهدي النبوي في موضوع معين مثل هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في تكوين الأسرة، والهدي النبوي في الأدب والرقائق، وغيرها. وبعض الدراسات أفردت جزءاً من سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم - بالدراسة مثل(غزوة بني قريظة)، و(الهجرة إلى المدينة)، وغيرها.

فالعناوين الموجودة في الساحة العلمية الآن تصاغ بطرق مختلفة أبرزها: المرويات أو الأحاديث الواردة في (كذا...). ، أو(موضوع معين) في ضوء السنة النبوية (أو الحديث الشريف). أو(موضوع معين) في السنة النبوية، أو الحديث الشريف). أو المنهج النبوي في (موضوع معين). والهدي النبوي في (...). أو موقف الرسول -صلى الله عليه وسلم – من ( ) أو (شخصية الرسول -صلى الله عليه وسلم – ال( ). فهذه أبرز أنواع العناوين في أبحاث دراسات الحديث الموضوعي، وأكثرها انتشاراً بين الباحثين، وكلها تدل دلالة واضحة على المقصود من البحث، مع العلم أن طبيعة الموضوع وطريقة الباحث في معالجته للموضوع هي التي تحتم اختيار العنوان المناسب للبحث.

ومع ذلك فإن أفضل عنوان وأدقه لأبحاث الحديث الموضوعي هو الذي يتناول مسألة (المنهج النبوي)،او(الهدي النبوي) وذلك لأن كلمة المنهج تقضي بوجود خطوات علمية متكاملة في إطار علمي مناسب، توصل لنتائج واضحة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان لكل نوع من أنواع العناوين مميزاته التي ينفرد بها عن غيرها. فالعنوان إذا يجب أن يكون مستوحى من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، دالا على المراد منه كاشفاً عن الموضوع، محيط بجوانبه المختلفة ما أمكن.

المطلب الثالث

جمع الأحاديث في مرحلة بناء التصور

يحتاج الباحث في الحديث الموضوعي إلى جمع الأحاديث التي تشكل بحثه وموضوعه، وعملية جمع الأحاديث من حيث سهولتها أو صعوبتها، ترجع إلى طبيعة الموضوع الذي يتناوله الباحث، فمن الموضوعات ما يسهل جمع أحاديثها، مثل الموضوعات التقليدية المتعلقة بالعبادات أو المعاملات، أو يكون محورها لفظا معينا، فبالرجوع إلى جوامع الحديث المعروفة، والبحث في الأبواب المطلوبة يجد الباحث بغيته، وبإمكان الباحث الاستعانة بالحاسب الآلي في جمع الأحاديث لمثل هذا النوع من الموضوعات.

الا أن هناك موضوعات أخرى تكون مهمة جمع الأحاديث فيها مهمة شاقة، ذاك لأن المصنفين الأوائل لم يفردوها بالتصنيف في أبواب مستقلة أو مصنفات مستقلة، وهذا ما ينطبق على أغلب الموضوعات المعاصرة والتي تعالج قضايا مستجدة، ففي مثل هذه الحالة لا بد للباحث أن يستقرى أغلب كتب السنة لاستخراج الأحاديث موضوع بحثة.

وقد يستطيع الباحث أن يوفر على نفسه وقتاً، وذلك بتتبع واستقراء الأحاديث في الكتب الجوامع، والتي جمعت أحاديث كتب كثيرة ورتبتها على الأبواب، ومن أهم الكتب التي تفيد الطالب في هذه المرحلة مايلي:

١-الجمع بين الصحيحين للحافظ الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الازدي، ت٤٨٨هـ، ولكنه جمعهما مع زيادات وتتمات دون التزام بلفظهما، ورتب كتبه على الأبواب.

٢-جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لابن الأثير أبي السعادات المبارك بن محمد ت ٦٠٦، وقد تتبع فيه مؤلفه كتاب التجريد للصحاح الستة لرزين العبدري السرقسطي الأندلسي (ت٥٣٥)، بالتهذيب والاختصار والاستدراك، وجمع فيه ستة كتب هي الموطأ والصحيحان، وسنن أبي داود وسنن النسائي، وسنن الترمذي، ورتبه على الموضوعات ورتب الموضوعات على حروف

المعجم، وقد بلغت عدد أحاديثه ٩٥٢٣ وفقاً للطبعة التي حققها الشيخ عبد القادر الارناؤوط.

٣-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي، وقد جمع فيه زوائد مسند أحمد، ومسند أبي يعلى، ومسند البزار، ومعاجم الطبراني الثلاثة، على الكتب الستة على اعتبار أن سادسها ابن ماجة، ويمتاز الكتاب بتعقيبات الحافظ الهيثمي على أسانيد الأحاديث تصحيحاً أو تحسيناً وتضعيفاً.

٤-جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد للعلامة محمد بن سليمان الفاسي الروداني المغربي (ت١٠٩٤) جمع فيه بين جامع الأصول، ومجمع الزوائد بإضافة زوائد ابن ماجة، وقد بلغ عدد الأحاديث (١٠١٢١)، وهذا الكتاب أولى الكتب بأن يبدأ فيه من أراد جمع الأحاديث.

٥-المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، جمع فيه الزوائد على الكتب الستة ومسند أحمد من ثمانية مسانيد كاملة: للطيالسي، والحميدي، وابن أبي عمر، ومسدد، وابن منيع، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي أسامة، وأضاف من مسند أبي يعلى مما ليس في مجمع الهيثمي، ومن مسند إسحاق بن راهوية ما وقف عليه منه، ورتب الأحاديث على الأبواب، وطبع بتحقيق محدث الهند الشيخ حبيب الرحمن الاعظمي في أربعة مجلدات وبلغ عدد أحاديث (٤٧٠٢)، ولم يبين ابن حجر درجة الأحاديث في المطالب الا قليلاً.

٦-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمحدث علاء الدين علي بن حسام الدين، الشهير بالمتقي (ت٩٧٥) جمع فيه الجامع الصغير وزيادته مضافاً إليه ما بقي من قسم الأقوال من جمع الجوامع ثم قسم الأفعال منه مرتباً إياه على الأبواب الفقهية على طريقة جامع الأصول. وبلغ عدد أحاديثه (٤٦٦٢٤)، وهو أكبر مجموعة حديثية، ولكن فيه تكراراً كثيرا، وخلط بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود.

هذه الكتب هي أهم الكتب في مرحلة جمع الأحاديث للموضوع، وأرى أن من أفضلها في هذه المرحلة مع الاختصار، كتاب (جمع الفوائد)، للروداني الذي ضم أربعة عشر كتاباً من أمهات كتب السنة، فإذا ابتدأ به الباحث رجوت له أن يجمع أغلب الأحاديث في الموضوع الذي يبحثه فإن أراد الاستكمال ففي بقية الكتب

الأخرى، مع أهمية الرجوع بكل حديث إلى مصدره بعد عملية الجمع للتأكد من ألفاظ الحديث، وتخريجه، والحكم عليه فيما بعد، إذ إن هذا الكتاب يصلح جداً في جمع الأحاديث فقط دون التخريج أو الحكم، أو معرفة الزيادات أو طرق الحديث فلها مصادر أخرى.

المطلب الرابع

رصد أبعاد الموضوع في واقع الناس العملي وفي الكتابات العلمية.

نحاول من خلال الحديث الموضوعي الوصول إلى ما يسمّى اليوم (النظرية) حيال موضوع معين له وجود وأهمية في الساحة العلمية أو العملية، والباحث في مجال الحديث الموضوعي يكون غنياً بالتجارب المتنوعة ضمن موضوعه الذي يهتم فيه، فعنده من الأفكار والمبادئ والأدلة ما يمكنه من محاكمتها لما يستنبطه من مبادئ نبوية، أو ما يوظفها للوصول إلى النظرية أو الحقيقة النبوية المطلوبة، فالباحث يعيش الواقع بكل أبعاده، ويقدم للحياة خدمات جليلة من خلال أبحاثه، فإذا كان الباحث خبيراً بواقعه وأحسن فهم النص النبوي بكل متعلقاته، فإنه يوفق- بإذن الله -في تنزيل النص على هذا الواقع.

الباحث الإيجابي يرى النور من خلال الركام الاسود الذي يحيط به، وهذا هو الباحث في الحديث الموضوعي. والذي يتذكر حجم الظلام الذي كان يلف البشرية عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فأوقد شموعاً مع صحابته الكرام، أضاءت حياة البشرية لقرون عدة وما زالت تضيء، يدرك أنه ما زال بإمكاننا اقتباس شمعات وشمعات لإنارة الحياة بالأفكار السديدة التي حارت حولها البشرية.

وأيضاً فإن الباحث مطالب بعد معرفة حياة الناس العملية، والمشكلات التي يعانون منها ضمن تخصصه وموضوعه، أن يلم بالموضوع في الدراسات العلمية التي تصدر في بلاد الشرق أو الغرب، ويدرس قدر استطاعته النظريات المقدمة حول

موضوعه، لأنه سيكون له دور في مناقشة هذه النظريات، وإصلاح جوانب الخطأ، وتعديل ما يحتاج إلى تعديل منها، أو نقضها بالكلية إن احتاج الأمر إلى ذلك.

بالإضافة إلى أن الباحث لا بدأن يستفيد من مناهج الباحثين الآخرين ومصطلحاتهم، ودراساتهم الميدانية، وطرق عرضهم لمعلوماتهم، وحجم المشكلة عندهم، ليكون على بينة أثناء تقريره لحقائق الوحي التي استكشفها من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فالواقع ودراسته العلمية والعملية يستفيد الباحث منها في جانبين أساسيين الأول: تهذيب أو تعديل وتصحيح أو نقض ما يخالف المنهج الحق. والثاني: الوصول إلى أفضل طريق لتعزيز الحق، ومعالجة مشكلات الواقع التي درسها، ووضع نظريته موضع التنفيذ إذا استكملت الشروط العلمية.

إذا استجمع الباحث العناصر السابقة من تحديد للهدف، واختيار للموضوع، وجمع للأحاديث واطلاع على الدراسات العلمية، وواقع الناس تجاه الموضوع، فإنه يكون قادراً على صياغة مخطط أولي لبحثه، ومن نافلة القول أهمية المخطط العلمي للبحث موضوع الدراسة. والمخطط هنا مبدئي لأننا لا نضمن إضافات أو حذف أو تعديل ما على الموضوع بعد التعمق في الدراسة، وكلما كان الباحث أكثر اطلاعاً واستيعاباً لموضوعه كلما كان مخططه أقرب إلى الكمال.

إن الباحث يصيغ مفردات بحثه حسب ما تجمع لدية من أحاديث مقبولة في موضوعه. ويمكن للباحث أن يجعل الأحاديث التي لديه على أقسام من حيث خدمتها للموضوع. فقسم منها يخدم موضوعه بشكل مباشر، وبعضها بشكل غير مباشر، وحتى هذه قد تقسم إلى أقسام أيضاً، وتقسيم الموضوع يلاحظ فيه ملاحظات متنوعة أهمها استكمال الموضوع لكل العناصر التي تجعله متكاملاً، وتسلسلة، وترابطه، واعتماده أساساً على ما صح من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه العملية تسهل على الباحث بحثه، وتجعله يصل إلى الغاية بأقصر وقت وأقرب طريق، وأوضح منهج.

المطلب الخامس

الخطوات فيما يتعلق بالحديث

الأولى: تنقية الأحاديث، واعتماد المقبول منها، وما يصلح للاستئناس به.

فبعد انتهاء الباحث من عملية الجمع للأحاديث من المصادر المتنوعة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، فإن أمامه مهمة شاقة خطيرة، ألا وهي مرحلة تنقية الأحاديث.

إننا في دراسات الحديث الموضوعي لا نقبل إلا حديثاً صحيحاً أو حسناً في التأسيس والاحتجاج. والضعيف بكل أنواعه ليس له مكان في الاحتجاج به، لا في فضائل الأعمال ولا في غيرها. ذلك أن ترك القطع في الحكم على بعض الأمور لعدم وجود حديث صحيح يصلح لذلك، خير لنا من تأسيس قاعدة أو حكم أو منهج بناءً على حديث لا ندري – هل قاله رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أو لا. وبالتالي يصبح المنهج كله معرضا للخطر والخطأ، والتكذيب، فلا نريد أن ينسب لرسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه أخطاء الباحثين لاعتمادهم على مالم يثبت عنه،

إن مطالعة الصحيح والحسن من الحديث الشريف تجعل القارئ يألف العبارة النبوية وتحفظ القارئ عن التشويش والاضطراب، وتحفظ عليه وقته، وتدفع القارئ في العمل دون تردد (١)، بعكس البحث الذي اختلط فيه الصحيح وغيره

الثانية: فهم الحديث، ومعرفة شرحه والأحكام التي يتضمنها.

من أجل استكمال التصور لا بد للباحث أن يهتم بشرح الحديث، ومعرفة فقهه اهتماماً بالغاً وأهم ما ينبغي أن يعرفه من الحديث ما يلي: (٢)

شرح غريب الحديث من الألفاظ والجمل، اعتماداً على الكتب المختصة في ذلك كغريب أبي عبيد، وفائق الزمخشري، ونهاية ابن الأثير، ومعاجم اللغة، وكتب الشروح المختلفة على الصحيحين، والسنن والمشكاة، والجامع الصغير، وغيرها. وما لا بد منه مما يشكل ظاهره، كما إذا عارض ظاهر الحديث القرآن، أو حديثاً آخر، أو المسلمات

---

١ حوى، سعيد، (الاساس في السنة)، م١، ص ٢٦، ط١، ١٩٨٩، دار السلام، مصر – القاهرة.

٢ القرضاوي، يوسف، (نحو موسوعة للحديث النبوي)، بحث مقدم لندوة السنة النبوية ومنهجها، ج١، ١٩٦.

العقلية أو العملية ونحوها، ورد الشبهات التي أثيرت أو قد تثار حول الحديث ثبوتاً ودلالة، وبخاصة ما آثاره المستشرقون وتلاميذهم في هذا العصر، والاستفادة هنا مما كتبه علماؤنا قديماً، مثل ابن قتيبة والطحاوي، وابن فورك وابن الجوزي، ومن بعدهم من العلماء والشراح، وبخاصة فقهاء الحديث، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته، والحافظ ابن حجر، وغيرهم، كما يستفاد مما كتبه المعاصرون، مثل: رشيد رضا، ومصطفى السباعي، وغيرهما.

وأهم ما يهدي إليه الحديث من أحكام وتوجيهات وبخاصة ما يحتاج إليه العقل المعاصر، ويعرفه بحقيقة الإسلام، ويرده إلى الله رداً جميلا. وإذا كان الحديث مما اختلف فيه أئمة الفقه في دلالته على حكم ما، فينبغي معرفة الخلاف وما يدور حوله باختصار.

والاستفادة من المراجع الموثقة التي لها صلة بهذا الحديث، شرحاً واستنباطاً أو دفاعاً أو تخريجاً، أو غير ذلك، مما قد يوجد في شروح الكتب الستة أو شروح الموطأ والمشكاة والجامع الصغير، أو شروح كتب الأحكام مثل شروح عمدة الأحكام، وبلوغ المرام، ومنتقى الأخبار، وكتب الفقه التي تعنى بالاستدلال والمقارنة: كالمحلى لابن حزم، والاستذكار لابن عبد البر، والمغني لابن قدامة، والمجموع للنووي، والإشراف لابن المنذر، وبداية المجتهد لابن رشد، وبدائع الصنائع للكاساني، وفتح القدير لابن همام، وغيرها. وكذلك كتب التفسير وبخاصة ما يعني منها بالحديث والأثر والأحكام مثل تفاسير ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي، والجصاص، وابن العربي، والشوكاني وغيرهم، وذلك لمن أراد التوسع والمزيد من المعرفة. الا إن الأولوية في الشرح والفهم للحديث تكون لفهم المحدثين لهذا الحديث، الفهم الذي تناوله غالب المحدثين في كتب الشروح المعتمدة، أو الذي تناوله فقهاء المحدثين في الكتب الأخرى. وإن أعمق شروح الحديث على الاطلاق هو ما قيده ابن حجر رحمه الله في فتح الباري، الذي هو مرجع لكل باحث للاهتداء إلى الفقه الصحيح والاستنباط السليم، فيما يدل عليه الحديث.

المبحث الثالث
خطوات المرحلة الثانية
(مرحلة الكتابة واستكشاف المنهج النبوي)

المطلب الأول
الخطوات فيما يتعلق بالموضوع

أولا: الإحاطة التامة بالموضوع والتصور الكامل له من خلال الحديث الشريف، والدراسات العلمية.

يكون الباحث في هذه المرحلة قد خلصت له الأحاديث التي تشكل محور بحثه، وقد اطلع على الموضوع من جميع جوانبه، ولا يقبل من الباحث البدء بالكتابة حتى يحصل ما سبق، فيكون في ذهنه وتصوره أول الموضوع، ووسطه ونهايته، وطريقة معالجته، وأهم النتائج التي يمكن الوصول إليها.

ثانيا: معالجة الموضوع في ضوء هدايات القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب هداية، دوره هداية الناس إلى الله عز وجل، وكتاب تشريع يقدم للمسلمين أحكامه وتشريعاته الصائبة، وفيه حقائق علمية تكتشف يوماً بعد يوم، وكتاب تربية وتوصية وتهذيب للسلوك، ومواجهة للباطل في كل صورة، فإذا أدرك الباحث في الحديث الموضوعي هذه الحقائق بتفاصيلها فإنه يعالج موضوعه في هذا الإطار، ولسنا بحاجة إلى تأكيد نوع العلاقة بين الكتاب والسنة، فكله وحي من عند الله عز وجل، وقد قدمت في الفصل التمهيدي حول طبيعة العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية في أبحاث الحديث الموضوعي،

ثالثا: معالجة الموضوع في ضوء مقاصد الشريعة

حتى يتمكن الباحث من الوصول إلى أدق النتائج في بحثه الموضوعي في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، يلزم أن يكون ملماً ومطلعا على مقاصد الشريعة العامة، وعلى مقصد الشريعة في موضوعه الخاص الذي يتناوله، وليس الأمر بالهين، كما أنه ليس من المستحيل. إن معرفة المقاصد العامة للشريعة تساعد الباحث في تقرير حقائقه، وتضبط سيره في موضوعه، وتوصله إلى منهج محكم،

وتجري اليوم دراسات مختلفة يقودها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مستنداً إلى ما قرره العلماء السابقين للوصول إلى مقاصد الشريعة في كل باب فرعي من أبوابها، وإذا تحقق هذا الأمر فإنه يقرب الحقائق، ويوحد الفهم إلى حد كبير، على الرغم من المخاطر التي تواجه هذه الأعمال- كونها اجتهادية تفتقر إلى معالم محددة، ونحن في دراساتنا الموضوعية لا نسلم بكل ما يكتب، كما أننا لا نرفض كل اجتهاد، وقد يصل الباحثون في الحديث الموضوعي إلى مقاصد نبوية كلية أو جزئية في الموضوعات التي يبحثونها، والمهم هنا التأكيد على أهمية مقاصد الشريعة في أبحاث الحديث الموضوعي.

رابعا: مراعاة خصائص الموضوع الذي يتناوله الباحث (أحاديث العقيدة وأحاديث الأحكام نموذجاً)

أولا: خصائص وتنبيهات في البحث في أحاديث العقيدة

العقيدة الإسلامية مصدرها الوحي الإلهي: القرآن والسنة، وقضايا ثابتة وحقائقها لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ومن ثم لا يطال تلك القضايا والحقائق التطوير والتجديد، ولا يتوقع أن يأتي المتأخرون فيها بجديد لم يرد في القرآن والسنة، وتنضبط العقيدة بضوابط العقل والظاهر والبعد عن التفسير الباطن، وعدم الالتفات إلى مسائل الكشف والرؤى والإلهام، إلا بحدودها المعروفة عند أهل العلم.

إن العقيدة لها مدلول عام يشمل اليقين بحقائق الإيمان وأركانه، من تصديق بالله ورسله والآخرة، وما فيها من وقائع وأحداث، وأثر ذلك في حياة الناس وسلوكهم، وما يترتب على ذلك الإيمان من عمل وما يقترن به من واجبات وأنماط من السلوك.

فالإيمان في التصور الإسلامي اعتقاد وقول وعمل كما دل على ذلك الكتاب والسنة ومن خصائص المنهج القرآني في معالجته لمسائل العقيدة أنه يستند في براهينه إلى مقدمات بدهية مسلمة لا خلاف حولها، ويمتاز بالسهولة والوضوح والبعد عن التعقيد، كما أن الإيجاز سمة بارزة فيه، وينوع القرآن الكريم بأضرب الاستدلال، وتجنب القرآن الكريم البحث في الماهيات، كما أنه يناقش الخصوم ويرد عليهم[1] وهذه

١ الحيي،أحمد، (التطور والتجديد في دراسات العقيدة الإسلامية)، منشور ضمن وقائع مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، ص ٢٠٩، جامعة اليرموك، ٢٠٠٤ [illegible]

السمات هي التي تكون معنا في دراساتنا الموضوعية في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم - في باب العقائد.

من وظائف العقيدة الإسلامية أن تبعث على الاطمئنان القلبي، والاستقرار الفكري، والتفاعل السلوكي. فينبغي أن نقدم العقيدة بلغة سهلة معاصرة يفهمها الجيل، و نبعد بها عن المصطلحات الغربية، والتركيز في العقيدة على الجانب العملي البناء. والتركيز على قضية العبودية لله تعالى في كل شأن، وأن لا تثير العقيدة مسائل الخلاف والتنازع بين المسلمين قدر الإمكان، وخاصة في المسائل التي يتسع لها الخلاف، وضرورة التفريق بين علم العقيدة وعلم الكلام، علما بأن عامة ما يطرح في مساقات الجامعات الآن من قبيل علم الكلام.

وكذلك التركيز على الآثار العملية للإيمان، وبيان ثمار ذلك في الحياة الدنيا سواء أكانت ثماراً مادية من توفير الأمن في الأوطان، والسعة في الأرزاق، والصحة في الأبدان.. القوة بمعانيها المتنوعة ونحو ذلك، أو ثماراً معنوية، فالصحة النفسية والطمأنينة القلبية، والسعادة الروحية، ونحو ذلك مما تفتقده المجتمعات الالحادية أو المادية كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء والأرض وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْناهم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} (٩٦) سورة الأعراف إن الخطاب الذي ينبغي أن يوجه للناس اليوم هو خطاب القرآن الكريم وسنة محمد - صلى الله عليه وسلم - في طريقة معالجتهم لمسائل العقيدة والإيمان، والالتزام بهما يستوعب الحياة بكل مستجداتها وألوانها وتحدياتها، ويعطي لكل حالة حاجتها ويعالج كل موقف بدوائه الناجع. وتحقق دراستنا في هذا الباب أهدافا منها: التأسيس والإقناع، والتحصين والدفاع بأسلوب معاصر وأن يواكب علم العقيدة قضايا العصر وتحدياته، ومعالجة هذه التحديات بأسلوب العصر ولغته[1].

إذا عرضت العقيدة بالأسلوب الذي قدمت فإنها ستثمر بإذن الله ثمرات يانعة، تؤتي أكلها على مستوى الفرد والجماعة، بحيث تقرب العباد من الله، ويكون شعارهم في الحياة، {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (١٦٢) سورة

١ عثمان علي حسن، (الخطاب بين الأصالة والمعاصرة)، منشور ضمن وقائع مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، ص ١٧٧، جامعة اليرموك [illegible]

الأنعام، التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم - يستفتح بها في صلاته. وسيكون الولاء التام لدين الله عز وجل، لأن هدفه إنساني شامل في الأصلاح والتوجيه، وسيكشف عن طاقات، ويولد أخرى في مواجهة الحياة وأعبائها، ويقضي على التعصب ويعمل على تقديم الولاء لله عز وجل على كل ولاء، ويحقق للأمة الفاعلية التي يرتجيها الناس، ويجعل من الإيمان عنصراً إيجابياً في جميع المجالات، ويجعل قلب المسلم هو الرقيب عليه، فيراه ممتلئاً إيماناً وبشاشة واستقامة وبدون تعقيد، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام لسفيان بن عبد الله الثقفي عندما سأله قال: قلت يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: قل آمنت بالله ثم استقم[1]. فالبحث في أمور العقيدة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ينبغي أن تتناول ما قدمته سابقاً مبينا أهداف ووسائل وثمرات هذه العقيدة الكريمة.

ومثلا فقد عالج الإمام البخاري مسائل العقيدة في صحيحه من خلال بابين أساسيين فابتدأ صحيحه بعد بدء الوحي بالإيمان، وقدمه لأنه منبع الخيرات وبه قامت الشرائع، وجاءت الرسالات، ومنه عرف الإيمان والعلوم، وكان أوله إلى النبي -صلى الله عليه وسلم - بما يقتضي الإيمان من القراءة والربوبية، وخلق الإنسان، فذكر بعد كتاب الإيمان كتاب العلم، وكان الإيمان أشرف العلوم(٢) وكان آخر كتب البخاري كتاب التوحيد لأن أصل العصمة أولاً وأخراً هو توحيد الله عز وجل(٣). والمراد بتوحيد الله الشهادة بأنه إله واحد(٤)

والمطلع على كتاب الإيمان الذي ذكر فيه البخاري رحمه الله، ثمانية وخمسين حديثاً بين فيها ارتباط الإيمان بالعمل من صلاة وصيام واطعام وإفشاء السلام، كما بين أن الحلاوة، والحب، والبعد عن المعاصي، والبعد عن الشبهات، وغيرها من الثمرات العملية للإيمان، يدرك مقصود البخاري من إخراجه لهذه الأحاديث.

---

١ مسلم في الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام رقم ٦٢

٢ ابن حجر، (هدي الساري)، ص٦٦٠ مكتبة الرشد

٣ المرجع السابق، ٦٦٤

٤ ابن حجر، (فتح الباري)، ج١٣، ص٤٣٨، مكتبة [illegible]

أما كتاب التوحيد فيظهر أنه أراد فيه أن يجرد توحيد الله عز وجل وينقيه من كل شائبه، ويذكر صفاته سبحانه مما يجعل قلب المسلم مليء بمحبة الله وتعظيمه والتوكل عليه، ويرد على الأفكار المنحرفة التي كانت في عصره، ويكون المسلم حريصاً على أن يختم له بالتوحيد الخالص لله عز وجل تأكيداً لقوله سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ الا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} (١٠٢) سورة آل عمران .

ثانيا: خصائص وتنبيهات في البحث في أحاديث الأحكام

إن الخصائص العامة للبحث في أحاديث الأحكام تختلف عن غيرها من أنواع العلوم الأخرى، بل إن لكل فرع من فروع أحاديث الأحكام منهج قد يختلف عن غيره الا أن هناك قدراً مشتركاً يتمثل بما يلي:

التخصص وحب المادة العلمية لأنهما اللذان ينتجان الإبداع والابتكار المطلوبين في مجال البحوث العلمية. والإضافة الجديدة على العلم لأنه إذا لم يتحقق للبحث عنصر الجدة والابتكار، فهو إعادة وتكرار لمقالات الآخرين.

ومجالات الإبداع هنا كثيرة منها: الموضوعات والقضايا الجديدة التي تمخضت عنها الحياة المعاصرة، ومنها إعادة البحث والدراسة لكثير من الموضوعات الطبية والاجتماعية، والمعاملات المالية والاقتصادية، ومنها إعادة البحث والدراسة لكثير من الموضوعات التي لم تنل نصيباً وافراً من البحث الموسع والدراسة المتعمقة، وظلت كتابات السابقين فيها كتابات متناثرة مفرقة موجزه. كما أن لحسن التبويب، وإعادة الصياغة والتحليل أثر في الابداع في مجال دراسات أحاديث الأحكام. والتعامل الصحيح مع الأدلة الشرعية، كما هو مقرر عند الأصوليين. والنظر إلى مقاصد الشريعة وايلائه أهمية بالغة في تقرير الأحكام وترجيحها وتفهم الواقع عن طريق الدراسات الاجتماعية كالإحصاءات والاستبيانات مع التحليل العلمي لهذه النتائج ثم البناء عليها. ومناقشة الأقوال المتعددة من المصادر المعتمدة في الفقه مع الاستفادة من الكتب المعتمدة(١).

فهذه الخصائص العامة للبحث في أحاديث الأحكام توصل الباحث بإذن الله إلى نتائج صحيحة أو قريبة منها أو يمهد الباحث الطريق لدراسات أخر لاحقة يستكمل

---

١ أبو سليمان، عبد الوهاب، (منهج البحث في الفقه الإسلامي) [illegible]

بها البحث. ومما ينبغي هنا في مجال دراسات أحاديث الأحكام أن نتجنب الضعيف، ونميز بينه بين المقبول، وأن لا يضيع جوهر الموضوع في الإسهاب في الاستدلال لقطعيات الشريعة، أو توضيح المسائل بالأمثلة الفقهية الغريبة التي لا وجود لها اليوم، ويحذر كذلك من تداخل الموضوعات وتكرارها[1]. فإن كانت الدراسة هكذا فلها ثمرة ترجى بإذن الله، ونفع يعم خيره على الجميع.

وعلى سبيل المثال فقد مثلت دعوة الشوكاني للاجتهاد، وتحقيق علم أصول الفقه، أسس إصلاح منهج التفكير الفقهي، وقد أقام دراساته رحمه الله على مبادئ كثيرة هي الاحتكام إلى الدليل ومن مظاهر ذلك الاستقلالية في الاجتهاد، والأخذ بظاهر النص، والجمع بين الأدلة ما أمكن، كما أنه اعتمد على اللغة العربية في استنباط الأحكام، وربط الفروع الفقهية بالقواعد الأصولية، وربط البحث الفقهي بالحديث وعلومه، واستدل بالمعقول، وربط الحكم الفقهي بالبعد الاجتماعي، وكان يهتم بمراعاة مقاصد الشريعة التي مبناها على جلب المصالح ودفع المفاسد)[2]، لذا فقد كان له دوره رغم تأخر زمانه.

خامسا: اكتشاف المقصد أو المنهج النبوي وإبرازه.

يستطيع الباحث بعد النظر العميق، والتأمل الدقيق في مجموع الأحاديث، والمعلومات التي جمعها ومحاولة ترتيبها وتنسيقها أن يكتشف الرابط بين مجموعة الأحاديث المتنوعة، ويوضح الأفكار والمبادئ الرئيسية التي يريدها من خلال ما توصل إليه.

وهذه الخطوة أخطر المراحل وأهمها، والباحث هنا بمثابة المفتي، أو العالم المجتهد الذي يصدر الحكم الشرعي فكأن الباحث هنا يبلغ رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم - للناس في هذا الموضوع، أو يقول للناس إن النبي عليه الصلاة والسلام أراد من هذا الموضوع هذه الأمور، لذا فإن التأني، وعدم الاستعجال، وكثرة التفكير ودقته وسلامته، ومراجعة أقوال العلماء، واستشارتهم، مع الإحاطة التامة بالموضوع من جميع جوانبه أمور في غاية الأهمية بالنسبة للباحث.

---

١ المرجع السابق، ص ١٦٣.

٢ انظر: حليمة بو كروشة ... [illegible]

وكل نتيجة يصل إليها الباحث لا بد أن يدعمها بالأدلة الكافية من هديه عليه الصلاة والسلام دون أن يكون لها معارض قوي يزلزل هذه الفكرة أو هذا المبدأ، فإن كانت الأفكار عند الباحث متأرجحة، فليسجل ملاحظاته فقط، دون أن يصدر أحكاماً نهائية بمثابة قواعد أو نظريات في الموضوع الذي يطرحه، والباحث الذي تحجزه التقوى والورع هو الباحث الذي لا يضع الأمور إلا في نصابها الصحيح دون تعدّي أو استعجال أو قصور.

والأحكام من حيث قطعيتها أو ظنيتها تقسم إلى أقسام، فمنها ما هو قطعي، ومنها ما هو ظني، والظن الذي نتعامل به، إنما هو الظن الراجح الذي يقترب من اليقين، فإن وصل الباحث إلى هذه الدرجة فليقطع أحكامه وليجزم بمبادئه المستنبطة من الحديث، فإن كان الأمر مترددا فلا يقدم على القطع لأي سبب من الاسباب.

لقد قدمت سابقاً أن الأحكام والقواعد التي يصل إليها الباحث ليست نهائية، إنما هي عبارة عن اجتهاد لهذا الباحث في هذه المسألة: وقد يأتي من يخالفه ضمن نفس الفكرة، الا أن عدم وثوق الباحث من صحة نتائجه، وتردده فيها، تشكل خطراً على العلم والمعرفة، وعلى صورة نبينا -صلى الله عليه وسلم - أمام الناس، بل على الباحث نفسه.

وهنا يدرك الباحث أهمية الخطوات السابقة كجمع الأحاديث، والعلم بمقاصد الشريعة، وهدايات القرآن الكريم، وشرح الحديث شرحا موسعاً، وجمع رواياته، وكل ما يتعلق به... إذ كل ما سبق من العلوم والمعارف والخطوات، إنما يريدها لهذه الخطوة الكبيرة الهامة الخطيرة، وليكن الباحث هنا متحلياً بصفات أساسية أهمها بالإضافة إلى الورع والتقوى، العلم والجرأة والدقة، سواء على قول الحق الذي توصل إليه، أو ترك القول لعدم وثوقه بنتائجه، ويستطيع الباحث أن يكشف عن نتائجه بالطريقة التي يراها مناسبة، حسب ما تقتضيه أصول البحث العلمي الجاد، ولكل طريقته في التقرير والتعميم.

سادسا: مناقشة الآراء المختلفة

العلاقة بين هذه الخطوات جميعاً علاقة تداخل وتكامل، وليست علاقة انفصال ومرحلية عموماً، لذا فإننا لا نلزم الباحث بالخطوات مرتبة متسلسلة، وإن

كان الأولى ذلك، فقد يجد نفسه بحاجة إلى أن يقدم خطوة على أخرى و لا بأس في ذلك كله. والباحث في الحديث الموضوعي يستكشف المنهج النبوي أو الهدي النبوي في مسألة ما، ولكنه لا يقف عند هذا الحد، بل إن من تمام عمله- في أغلب الموضوعات- أن يناقش ويحاور، ويجادل الواقع بأفكاره ومبادئه.

كثير من الباحثين ليس عنده علم عن طبيعة علم النبوة، ولا يقتنع الا بالأفكار التي قرأها وتعلمها من مبادئ شرقية أو غربية- ليست إسلامية- فالباحث هنا يقدم مبادئ النبوة لفئتين من الناس الأولى: من يلتزم هدي النبي -صلى الله عليه وسلم - قولاً وعملاً، فهذا يريد العلم النبوي من أجل تطبيقه ونشره، والثانية: من لم يلتزم ولا يعترف بعلم النبوة، فالصنف الأول يكفيه أن يتبين له المنهج والهدي بأدلته، والثاني يحتاج إلى مناقشته، وحوار وجدال، وإخضاع أدلته ومبادئه للتقويم في ضوء الهدي النبوي، من أجل إقناعه بالفكرة النبوية والهدي الصحيح وحمله بعد ذلك على العمل بها.

فالحديث الموضوعي بالإضافة إلى معالجته للواقع الموجود ومحاكمته، فإنه من جهة أخرى يصنع واقعا للناس يدعوهم إليه ويحملهم عليه مستخدما الحوار والأدلة العقلية والنقلية الكافية، فيكون للحديث الموضوعي مهمتان أساسيتان؛ **الأولى:** معالجة أمراض الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية، **والثانية:** فرض واقع جديد على الناس مستوحى من هدي النبوة.

وقد يجمعهما الباحث في عمل علمي واحد، أو يكون لكل جانب أعمال علمية مستقلة، المهم أن للحياة والواقع مساحة كبيرة في عمل الباحث، فينبغي أن لا يغفلها أبداً، فإن كانت دراسات الباحث نظرية مجردة، بعيدة عن واقعه، فلا نتصور أن يكون لها القبول أوالتأثير على صاحبها، فضلاً على من حوله.

سابعا: إسقاط المنهج النبوي على الواقع

بينت في الخطوة السابقة علاقة الحديث الموضوعي النظرية بالواقع، وهنا خطوة لاحقة لا تقل أهمية عن السابقة، فيكاد الباحث أن يصل إلى منتهاه وغايته من الكشف والمعالجة، ولكن تبقى خطوة مهمة تعتمد على السابق وهي: **أن يترجم الباحث نظريته ويمازج بينها وبين الواقع بوضع تصور عملي لتطبيق نظريته**، أي أن يخلص الباحث إلى برنامج عملي تطبيقي مفصل ليستفيد منها الناس في حياتهم، ويحدد الجهات التي تستفيد من هذه الدراسة، والأدوات اللازمة للتنفيذ، وآلياته، والفترة الزمنية، ومدى انعكاس هذه المبادئ على حياة الناس، والآثار الإيجابية أو السلبية المحتملة، ومعوقات التنفيذ، بحيث تكون دراسته قابلة للتنفيذ أو التطبيق في أي وقت.

قد يكون هذا الأمر مثالياً عند البعض، ولكني اعتبره ممكناً، فلو وضع الباحث هذه الخطوة في تصوره منذ البداية لاستطاع أن يتعامل معها بسهولة ويسر، ويذلل كل الصعاب في سبيل تحقيقها. وقد لا تحتاج كل الدراسات إلى مثل هذه الجهود، إلا أن عدداً كبيراً منها لا تكتمل إلا بوجودها.

على الباحثين والمسؤولين عن البحث ضمن تخصص الحديث الشريف أن يضعوا نصب أعينهم أن لا تبقى الدراسات الحديثة بعيدة عن واقع الناس، ومعالجة مشكلاتهم، ويوكلوا هذا الأمر إلى غيرهم، وعليهم أن يقتحموا هذا الميدان بشجاعة وجرأة وتخطيط سليم حسب الإمكانات المتوفرة، ولا شك بعدها أنه سيكون للمحدثين دور أكبر في الأصلاح والتطوير.

إن المحدثين جزء من هذه الأمة، ولكن ليس كأي جزء، بل هم الجزء الأكبر تأثيراً في العقول والأفكار والقدرة على التغيير، وما زال التاريخ من عصر النبي -صلى الله عليه وسلم - إلى تاريخنا المعاصر يحفل بالمحدثين المجددين، الذين لا يخفى على أحد دورهم في كل العصور والأزمان؛ فأبو هريرة، وسعيد بن المسيب، والزهري، والإمام مالك، وأحمد، والسيوطي، والدهلوي، ورشيد رضا، والألباني وغيرهم في كل العصور، لهم بصمات واضحة على التاريخ، فهل نجدد العهد مع الحبيب صلى الله عليه وسلم، ومع كل من مشي على أثره.

ثامنا: الالتزام التام بشروط البحث العلمي.

فالحديث الموضوعي هو في أصله بحث علمي ينطبق عليه كل ما ينطبق على الأبحاث العلمية المشابهة له، و هذه الخطوة يشاركه بها كل الأبحاث العلمية الأخرى،

ولا ينبغي أصلاً أن يقدم الباحث على موضوع لم يتأهل له. وأود التنبيه هنا على مسألتين مهمتين هما:

١-**تجرد الباحث من أية أفكار مسبقة:** فلا يدخل مضمار البحث إلا وله هدف واحد وهو استخلاص المنهج النبوي والكشف عنه كما أراده المصطفى صلى الله عليه وسلم. ولا يدخل الميدان العلمي وهو يريد أن يستدل لحقائق سابقة يوظفها لأمر ما، وهذا هو معنى الموضوعية والحيادية في البحث العلمي(١).

٢-**الثقة المطلقة بالحقائق النبوية:** فعلى الباحث في الحديث الموضوعي التعامل مع الموضوعات والحقائق والقيم النبوية بالثقة المطلقة والقناعة المطلقة واليقين التام أن كل ما في الحديث الصحيح حق وصدق وصواب، وأن كل ما قرره الحديث الشريف هو القول الذي ما بعده قول. وهذا يتطلب التعامل مع الحقائق النبوية بكل عزة وتفاعل، والشعور بأنه في غاية الثقة والاستغناء بما في الحديث الشريف عن كل ما سواه. ولا يكون منبهراً بالنتاج الإنساني البشري، ولا يكون مهزوماً نفسياً وشعورياً أمامه، مما يجعل الباحث يواجه النتاج الفكري البشري بنفسية واثقة، فيكشف العيوب ويزيف الباطل، ويثبت الحق ويدافع عنه، ويثبت عليه وينشره على الملأ(٢).

تاسعا: عرض الدراسة على المختصين

هذه هي المرحلة الأخيرة وهي مرحلة لاحقة للكتابة. فبعد الانتهاء التام من الكتابة بشكلها النهائي على الباحث أن يعرض دراسته على المختصين، والمختصون هنا أصناف وهم:

١-مختص في الحديث الشريف لضمان سلامة الحكم على الحديث من حيث القبول والرد.

٢-مختص في فقه الحديث وله دراية في فقه الواقع حسب الموضوع، لضمان سلامة الاستنباط وتأكيده.

٣-مختص في العلم أو الموضوع الذي تناوله الباحث، لضمان سلامة الإجراءات، وعدم التعارض مع أساسيات العلم. وتوافق المنهج العام للموضوع مع هذا العلم.

١ الدغامين، (منهجية البحث في التفسير الموضوعي)، ص ٩٠.

٢ الخالدي، صلاح، (التفسير الموضوعي) ص ٧٩

ويمكن أن نقلل من أهمية عرض الدراسة على المختصين في الموضوع إذا كانت الدراسة مشتركة بين المختصين في أكثر من علم، أو كان الجهد فيها جماعياً، أو الإشراف المشترك بين المحدثين وأصحاب التخصصات الأخرى، أو كان للباحث تخصص في الشريعة بالإضافة إلى تخصص في العلم الذي يتناوله.

ويلاحظ هنا أن دور المحدث هو الدور الأكبر؛ ذلك أن المحدث هو الذي استنبط وقعد، وبين واستكشف، وتوثق من الأحاديث، فأغلب الجهد يقع على عاتقه، وقد يصل المحدثون إلى مرحلة من المعرفة وحسن الاستنباط تجعلهم يستقلون تماما عن غيرهم، وهدف هذه الخطوة؛ أنها تجعل من الحقائق أو النظرية أكثر ثباتاً وأقرب إلى الصواب، وكلما كان التوافق في الفهم أكثر، دل ذلك على ضبط العملية ووصولها إلى نتائج تقترب من القطعيات.

المطلب الثاني

خطوات المرحلة الثانية فيما يتعلق بالحديث والأسلوب العام في الكتابة.

أولا: اختيار الرواية.

بيان الموضوع من خلال حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الهدف العام من الحديث الموضوعي. لذا فإن للموضوع النصيب الأكبر في دراسات الحديث الموضوعي، مع التنبيه على اعتماد الموضوع على الحديث. والمقصود بالحديث هنا(المتن) فقط لأن الموضوع لا يعتمد على الإسناد، ونظرتنا للسند أنه الجسر إلى المتن. فقد نحتاج إلى هذا الجسر وقد لا نحتاجه فالمتن عندنا هو المهم في دراسات الحديث الموضوعي. لابد من السند في الحديث، ولكن التعامل معه لا يكون مقصودا لذاته فلا وجود للإسناد في صلب الموضوع باستثناء الصحابي راوي الحديث وذلك لبيان فضلهم، أو بيان أمر مهم آخر متعلق برواية الحديث أو درايته، أو ما هو ضروري لتوضيح الرواية أحياناً، إلا إذا كان للباحث أهداف أخرى من وراء إظهار الإسناد، فالحالة العامة أن الإسناد ليس له ظهور في دراسات الحديث الموضوعي إلا إذا اقتضت ظروف معينة ظهوره..

والباحث يجري جميع العمليات للسند في دراسات مستقلة خفية، ويظهر أثر عمله مباشرةً على الموضوع، فإن أراد أن يظهر شيئاً مختصراً ففي حاشية الموضـوع، وإن أراد أن يظهر شيئاً أكثر فليكن ضمن ملحق خاص بذلك في آخر بحثه.

أما الرواية التي نختارها للدراسة، فـإن معـايير البـاحثين في اختيـار الروايـات في موضوعاتهم تعود إلى أربعة معايير هي. الأنسب للموضوع مع الصحة. أو الأصح. أو الاتم في مفرداتها مع الصحة. أو الأقدم من حيث الرواية. وكل واحد من الباحثين قد يختار أيا من هذه المعايير لأسباب يراها.

والذي أميل إليه أن اختيار الرواية للموضوع يبنى عـلى الأنـسب للموضـوع مـع الصحة، بغض النظر عن مكان وجود الرواية في الكتب الأصلية، وقد يميـل الـبعض إلى تقديم رواية البخاري أو مسلم لفضلهما، الا أننا ننظـر في دراسـتنا الموضـوعية إلى الاستدلال للفكرة وبيانها بأقصر طريق؛ فعدم تشتيت ذهن القارئ بسبب الروايـات يحتم علينا أن نختار الرواية الأوفق لموضوع البحث، ومـن ثـم نـشير إلى الملاحظـات الأخرى عـلى الروايـة في جـسم البحـث إن كـان ممـا يـضيف معنـى، أو في الحاشـية لاستكمال المعرفة حول الرواية.

أما الشواهد والمتابعات، فيقتصر فيها على ما يستدل لصحة الحـديث، وفي حـدود يسيرة في جسم البحث، فإن زادت ففي الحاشية، فإن طالت فبملحق خاص، وعلى ما يضيف معنى أو لفظ أو فكرة جديدة للحديث المـستدل بـه، وبهـذا نكـون قـد وفينـا الموضوع حقه، دون انتقاص من الرواية.

ثانيا: مراعاة طريقة التخريج المناسبة.

ذكرت في الباب الأول أن من الملاحظات على بعض الرسائل التوسع المبالغ فيه في التخريج، فتجد الباحث قد خرّج حـديثاً واحـداً في عـدة صـفحات، ومـن عـشرات المراجع، وترجم لكل راوٍ في السند، وبين أراء علماء الجرح والتعديل فيه، وكـل هـذه الأمور تنقص قيمة الموضوع ذاته، فتغيب فكرة الموضوع بـسبب التوسـع والمبالغـة في التخريج ودراسـة الإسـناد. ولا أريـد أن أنـتقص مـن قيمـة هـذه الدراسـات الا أن الأنسب لها أن لا تكون ضمن دراسات الحديث الموضـوعي بمعنـاه المتكامـل الـذي قصدته.

فالتخريج في دراسات الحديث الموضوعي ليس غاية وهـدفا بحـد ذاتـه، إنـما هـو وسيلة يقصد منها الوثوق بالرواية التي بين أيدينا، وأرى أن نقتصر على أقل حجم من المعلومات في التخريج مع الثقة التامة بصحة الرواية، وكل ذلك في حاشية البحث إلا إذا اقتضت عوامل معينة غير ذلك، فتقدر بقدرها.

وأرى أن نجعل التخريج من كتب الحديث ضمن طبقات، ولا ننتقل من طبقة إلى أخرى إلا لغرض صحيح كزيادة توثق من صحة الرواية، أو نقـص في ألفـاظ بعـض الروايات، أو التعريف بمبهم، أو مجهول.. .

وهذه الطبقات في التخريج هي:

- **الصحيحان.**
- **ثم الموطأ، والكتب الأربعة ومسند أحمد**
- **ثم صحيح ابن خزيمة، وابن حبان، ومستدرك الحاكم مع مراعاة خصائص كل واحد منها من حيث صحة أحاديثه أو عدمها.**
- **ثم بقية كتب الحديث حسب الترتيب الزمني لوفاة مصنفيها.**

ولا ننتقل من طبقة إلى أخرى إلا لغرض علمي صحيح كما قدمت.

أما الجانب الآخر من التخريج؛ وهـو الحكـم عـلى الحـديث، فيجـب أن يظهـره الباحث في الحاشية، وذلك بنقل أقوال بعض العلماء المعتمدين في التصحيح، مراعيـاً درجة الوثوق بتصحيح العالم، وأقدمية وفاته باختصار.

ثالثا: معالجة مشكل الحديث ومختلفة إن وجد.

إذا ظهر للباحث بعض الأحاديث من نوع المختلف أو المشكل فإنه يجب أن يزيـل هذا الإشكال أو الاختلاف – ضمن القواعد المقررة عند علماء الحديث. ومقـصودي هنا أن أنبه الباحثين إلى أن حل المشكل أو المختلف هو مـن صـلب عمـل الباحـث في الحديث الموضوعي. وينبغي أن يوليه عناية خاصـة لمـا لـه مـن أثـر في علـم الحـديث وحسن فهمه، ونفي التناقض عنه. ومكان معالجته هو صلب البحث وليس الحاشـية. لأنه وإن لم يكن مقـصوداً لذاتـه إلا أننـا لا نـستطيع أن نقـرر الحقـائق، ونستكـشف

القواعد بدونه. وقد بينت في فصل العلوم اللازمة طريقة المحدثين ومنهجهم في المشكل والمختلف فلينظر هناك.

رابعا: مراعاة الأسلوب الحسن في الكتابة وطريقة العرض.

حتى تصطبغ الدراسات الموضوعية للحديث، بالأسلوب النبوي الشريف في كل مجالاتها؛ اللغة، والأسلوب، والمعاني، والأفكار، والمبادئ، فلا بد من بيان سمات الحديث الشريف اللغوية والأسلوبية، وسمات معاني كلامه عليه الصلاة والسلام، وما أجود ما قال الجاحظ في وصف كلامه عليه الصلاة والسلام حيث قال: هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف.. . واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب و الوحشيّ، ورغب عن الهجين السوقيّ فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام.. . لم تسقط له كلمة، ولا زلّت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذّ الخطب الطوال بالكلم القصار.. . ولا يحتجّ إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة. ولم يسمع الناس بكلام قطُّ أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً. ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنىً، ولا أبين في فحوى من كلامه – صلى الله عليه وسلم – (١)، وعلى الباحث أن يتحرى أن يكون كلامه أقرب ما يكون من هذا المستوى.

أما معاني الحديث ففيها صفات قلّ أن تجتمع في كلام سواه ومن هذه الصفات الغنى في الأفكار، والعمق، والجدة، والأحكام، والغوص في أغوار النفس الإنسانية، وملامسة أبعاد هذه النفس، مما مكّن لهذه المعاني أن تكون خالدة على وجه الدهر.

(١) الجاحظ، البيان [illegible] ج ٢ ص ١٧، تحقيق: عبد السلام [illegible]

إننا نرى في الحديث غنى مدهشاً في المعاني، فمعاني الحديث الواحد كثيرة متنوعة، وإذا نظرنا إلى معاني الأحاديث بشكل عامّ وجدنا أن السنّة لم تترك معنى من معاني الحياة والعقيدة والتشريع والخلق إلا وقررته وفصلت فيه القول. وكذلك فإنّ معنى الحديث يلمّ بالحقيقة من كلّ أطرافها، فلا يندّ منه جانب. وهذا ما نريد من كلمة الأحكام. ومما يتصل بالأحكام الدقة المتناهية والانسجام والتسلسل. فكلامه صلوات الله عليه وسلامه بريء من التنافر والتناقض والاختلاف.

ومعاني الحديث تغوص في أعماق النفس الإنسانية وتؤثر فيها تأثيرا كبيرا. ومعاني الحديث إنسانية لم تقيد بظرف الزمان ولا بظرف المكان، فلم ينظر فيها إلى العرب وحدهم، ولا إلى الناس في زمن النبوة فحسب، ولا إلى جزيرة العرب وحدها، ولا إلى طبقة دون طبقة، وإنما كانت هذه المعاني تنظر إلى الإنسان من حيث هو إنسان.

فهذه المعاني النبوية بهذه الصورة الواسعة تجعل آفاق الباحث واسعة. وتقرب بحثه لأن يكون معبراً عن حقيقة المنهج النبوي في الموضوع الذي يتناوله – إذا هو التزم قدر استطاعته بهذه السمات. وإن كثرة إيراد الأحاديث التي تفسر بعضها بعضا وتدعم الفكرة الأساسية تقرب الدراسات من الكمال المنشود.

أسلوب الحديث النبوي يمتاز بالجزالة والوضوح، والدقة في الوصف والتعبير، والإبداع في التشبيه والتصوير، والموسيقى الرائعة في الألفاظ والإيجاز في القول ومجانبة التكلف. فمن خصائص أسلوب الحديث جمعه بين الجزالة في المفردات والوضوح في الدلالة، وإذا اقترن الوضوح بالجزالة في الكلام كان من البيان الساحر، وأضحى صالحا لأن يلقى على جماهير الناس، وإنه حينئذ لخليق أن يفتح مغاليق قلوبهم إلى النور، ويقودهم إلى درب الخير، وهذا ما نقرأه في السيرة النبوية من تأثير الحديث في الصحابة واستحواذه على إعجابهم. ومن هذه الخصائص بعده عن التكلّف مع تجديده في أساليب النثر المألوفة فلا يجد القارئ التكلف في سجع، ولا التصنع السمج في صورة، بل تطالعه سجيّة مرسلة، وأسلوب حر من كل قيد خال من كل زخرف مستكرَه. وأوضح مثال على ذلك موقف الرسول –صلى الله عليه وسلم – من السجع الذي كان سمة النثر الفني في ذلك الزمان. وكذلك فإن الموسيقى الموفقة العذبة التي تنساب من العبارة الحديثيّة من الخصائص الواضحة في أسلوب الحديث.

ومنها الإيجاز في القول وقد قرر صلوات الله عليه وسلامه أنه أعطى جوامع الكلم. (١)

إن هذه المنزلة السامية والدرجة الرفيعة في البلاغة واحتلاله من الأدب المتألق أعلى المراتب تجعل الكاتب أكثر اهتماماً بأن يحشد أكبر قدر ممكن من النصوص النبوية لموضوعه. ويربط بينها بذات الأسلوب البلاغي – إن استطاع – ليكون بحثه بالإضافة إلى علميته مشوقاً لقارئه، مقنعاً له، معبراً أتم تعبير عما يدور في ذهنه، موصلاً للحقائق الكاملة بأبهى حلة وأعذب منطق.

الهدف من الكتابة في أي بحث هو إيصال المعلومات للقارئ بأجمل العبارات وأفصح الكلمات وأوضح الأساليب. وذلك أن الألفاظ قوالب المعاني. فالمعنى الرفيع في الأسلوب الرصين المشرق يكسب النص حيوية. ويوجد تياراً من التفاعل الفكري لدى القارئ.

وأبحاث الحديث الموضوعي أكثر البحوث حاجةً إلى اختيار العبارات السهلة الفصيحة، والأساليب الأدبية المشوقة. ليسهل على القارئ إدراك المعاني المقصودة في وضوح ويسر، والوسيلة إلى هذا هي قراءة كتب الأدب والاطلاع على فنونه في مصادره القديمة والحديثة، ليعتاد الباحث حسن السبك، وفصاحة اللفظ، وتوكيد المعاني والأفكار. وتنويع الأسلوب في غير تكلف(٢).

الا أنه من الأفضل أن نجعل الأحاديث تتحدث بنفسها قدر المستطاع، فإذا استطاع الباحث أن يستكثر من الأحاديث التي تغطي الموضوع من جوانبه، مع حسن الربط بيسير من الكلمات فيما بينها فإنه يكون قد أوصل الرسالة على أحسن حال.

يقول ابن القيم – رحمه الله – في باب آداب المفتي : ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ الحديث مهما أمكنه، فإنه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام، فهو حكم مضمون له الصواب، متضمن للدليل عليه في أحسن بيان، وقول الفقيه المعيّن ليس كذلك، وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على مناهجهم، يتحرون ذلك غاية التحرّي، حتى خلفت من بعدهم خلوف رغبوا عن النصوص، واشتقوا

١ الصباغ، (التصوير الفني في الحديث)، ص٢٣و٢٤.

٢ أبو سليمان، عبد الوهاب، (منهج البحث في الفقه الإسلامي)، ص٢١٤ بتصرف.

لهم ألفاظاً غير ألفاظ النصوص، فأوجب ذلك هجر النصوص، ومعلوم أن تلك الألفاظ لا تفي بما تفي به النصوص من الحكم والدليل، وحسن البيان... فألفاظ النصوص عصمة، وحجة بريئة عن الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب (١)

أما إذا لم يكن بالإمكان ذلك لقلة الأحاديث المؤسسة للموضوع والمبينة له فبالإمكان الاستعانة بالموقوفات الصحيحة، أو المقطوعات، أو أقوال العلماء والشراح في معاني الحديث. حتى يتضح المعنى بكل أبعاده. وحسن الاقتباس يدل على حسن الفهم وجودة الترتيب، وكم من باحث لا يستطيع أن يعبر عن معنى يجد آخر قد كفاه. فإذا اقتبس دل ذلك على حسن صنيعه. وإذا أراد الباحث أن يوضح الفكرة بنفسه والتي تبين مراد النبي – –صلى الله عليه وسلم – – فلا بأس ولكن بإشراق عبارة، وسهولة بيان، وكلما كان أسلوبه أبعد عن التعقيد والتكلف وأقرب إلى أسلوب الحديث كان أقرب من منهج الحديث الموضوعي.

١ ابن القيم، (أعلام الموقعين ج٤ ص١٧٠

الباب الثالث

المنهج النبوي في
تقويم الألفاظ والمفاهيم

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: أهمية الكلمة في الإسلام ووظيفتها

الفصل الثاني: أهداف المنهج النبوي في التقويم ووسائله وخصائصه

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبة الطيبين الطاهرين، أما بعد:

لما كانت رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم - خاتمة الرسالات، ورضيها رب العزة عز وجل للناس كافة، فقد جاءت بما فيه خير البشرية في جميع المجالات، وتميزت معجزة محمد -صلى الله عليه وسلم - بأنها كلامية، وذلك لما للكلام من أثر عظيم على الحياة في كل ميادينها، وامتدح الله عز وجل نعمة البيان التي وهبها للإنسان، لذا فقد كان للكلام أهمية وخطورة بالغة في حياة الإنسان، وبوصفه نبيا فقد عالج عليه الصلاة والسلام مشكلات اللفظ وما يتعلق به كجزء من العلاج الشامل لكل مظاهر الخلل في المجتمع الإسلامي الوليد، وتنبه المحدثون لهذا الأمر فساهموا في حل ما يتعلق بمشكلات اللفظ من حيث ذاته أو من حيث دلالته وهو ما نسميه المفهوم، وتنوعت طريقتهم في المعالجة كل حسب ما أداه إليه اجتهاده، الا أنهم يستقون من نبع واحد، حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وكما كان للمحدثين الأوائل دور في موضوع اللفظ والكلمة، فلا بد أن يكون لأهل الحديث في هذا العصر دور كذلك، يسهمون من خلاله بتجاوز بعض مشكلاته، بل إن مسلم اليوم أحوج من مسلم الأمس لفهم أبعاد هذا الموضوع، ذلك أن أخطاء اللفظ والمفهوم في الماضي كانت فردية غير مع مقصودة، أما اليوم فهي مدروسة ضمن علوم معاصرة لها أهداف واضحة في إبعاد الناس عن حضارتهم، بالإضافة إلى الأخطاء المتعلقة بالجهل وغلبة الهوى، فمن الواجب أن يتصدى المحدثون لمقاومة موجة الجهل والتغريب التي نخرت في جسم هذه الأمة.

وقد رأيت من المناسب بعد استشارة أهل الفضل والمشورة، أن أكتب في هذا الموضوع القديم المتجدد، بروح تناسب العصر، وتحل اشكالياتة بإذن الله، مستق من النبع ذاته الذي استقى منه الأوائل، وأكون بهذا قد ترجمت فكرة الحديث الموضوعي إلى واقع تطبيقي، كنموذج لما ينبغي أن يكون عليه أهل الحديث في عصرنا في إسهامهم الجاد في دخول معترك الحياة والإسهام في حل مشكلاتها.

وهذا النموذج بهذه الصورة الجديدة لم أجد من كتب فيه من المتقدمين أو المعاصرين، فيكون نموذجاً جديدا من جهتين من جهة الشكل، وجهة الموضوع، فمن جهة الشكل هو تطبيق عملي للحديث الموضوعي بمعناه المتكامل، ومن جهة الموضوع بيان شامل للمنهج النبوي في تقويم اللفظ والمفهوم.

ويهدف هذا الباب إلى:

بيان أن عملية تقويم الألفاظ والمفاهيم كانت تخضع لمنهج متكامل، ولم تكن مجموعة مفردات موزعة في مواضع متفرقة، وبيان أركان هذا المنهج، والذي يقوم على معرفة الأهداف، والوسائل، والخصائص، والثمار للمنهج للنبوي في التقويم. والتطبيق العملي لفكرة الحديث الموضوعي بصورته المتكاملة كما أراها، حتى لا تبقى مجرد فكرة أو اقتراح عام في بطون الكتب.

أما أهمية الموضوع فتظهر من خلال بيان ما يلي:

مكانة اللفظ والمفهوم وأثرها على الحياة الدنيا والآخرة عند المسلمين، والتنبيه إلى دور اللفظ والمفهوم في بناء المجتمع المسلم بناءً صالحاً متماسكاً إذا كان هادفاً ومنهجاً، وكشف قواعد المنهج النبوي في التقويم، وإمكان تطبيق هذه القواعد بما يناسب حاضرنا.

ويمكن معرفة المزيد عن الهدف من الموضوع من خلال الأسئلة التالية:

ما المقصود باللفظ والمفهوم؟ وما نظرة الإسلام للفظ من خلال القرآن والسنة؟ وما أثر اللفظ على حياة الإنسان في مجالات العقيدة و العبادة و السلوك ؟وهل هناك منهج متكامل لتقويم الألفاظ والمفاهيم من خلال حديث النبي صلى الله عليه وسلم؟ وما هي قواعد المنهج النبوي في تقويم الألفاظ والمفاهيم من حيث أهدافه ووسائله وخصائصه.

أما خطة الدراسة للنموذج التطبيقي فهي كما يلي:

البحث بعنوان: المنهج النبوي في تقويم الألفاظ والمفاهيم

وفيه الفصول والمباحث التالية:

الفصل الأول: أهمية ووظيفة الكلمة في الإسلام

المبحث الأول: عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بتقويم الألفاظ والمفاهيم

المبحث الثاني: المبادئ العامة لضبط الألفاظ والمفاهيم.

الفصل الثاني: أهداف ووسائل وخصائص المنهج النبوي في التقويم

المبحث الأول: أهداف تقويم الألفاظ والمفاهيم.

المبحث الثاني: أساليب تقويم الألفاظ والمفاهيم.

المبحث الثالث: خصائص المنهج النبوي في التقويم.

وحتى أتيح المجال للقارىء أن يستفيد من المفارقات بين مدى التوافق بين نظرية الحديث الموضوعي، والمثال التطبيقي له، **فلا بد من بيان منهج الدراسة العملية الواقعية.**

فقد ابتدأت في كتابة الباب التطبيقي بعد استكمال المنهج النظري كاملاً، وحاولت قدر المستطاع أن أسير على الخطوات التي رسمتها فكان المنهج كما يلي:

أ-مرحلة اختيار الموضوع وكتابة المخطط الأولي للبحث:

راجعت مصادر كثيرة حديثة وقديمة في الموضوع، واستشرت عدداً من أهل الاستشارة من المختصين في الحديث، ومن المختصين في التربية وعلم النفس، وكان لآرائهم أهمية كبيرة في الخطة الأولية للموضوع.

ب- طريقة العمل في جمع الأحاديث

حددت البحث ضمن إطار معين بحيث لا يخرج عنه، وقرأت كتاب جمع الفوائد للروداني كاملاً والذي جمع فيه أربعة عشر كتاباً، لاستخراج الأحاديث التي تخص موضوع البحث، فجمعتها على بطاقات، كل حديث في بطاقة، واستعنت بالحاسب الآلي -الموسوعة الشاملة- للاطلاع على أحاديث تخص الموضوع قد تكون فاتتني أثناء الجمع الأولي. وقرأت قراءة مباشرة في كتب أخرى اهتمت بالموضوع كزاد المعاد وغيره، واطلعت في مرحلة متأخرة من الكتابة على كتابٍ معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد، حيث تنبهت أيضاً لبعض الأحاديث التي قد تفيد الموضوع.

ج-تنقية الأحاديث

خرجت كل حديث من مصادره الأصلية، واعتمدت في تصحيح الأحاديث، وتضعيفها على أقوال الائمة، بعد دراسة يسيرة للحديث، ضمن المنهج الذي اعتمدته في دراستي النظرية، واستبعدت من الدراسة كل حديث ضعيف، فلا تجد إلا حديثاً

صحيحاً أو حسناً فقط، فإن وجد حديث ضعيف فإما غفلة، وإما اجتهاد في تصحيحه، ونقلت التصحيح والتضعيف من الموسوعة الحاسوبية الشاملة، وتوثقت من صحة ما فيها بمراجعة الكتب الأصلية، علما أني لا أعيد تخريج الحديث إذا تكرر.

د-منهج الكتابة في الموضوع

قرأت عشرات الكتب في مجال التربية، وتعديل السلوك، العربية أو المترجمة، واستفدت منها.

وناقشت عدداً من الأساتذة في الموضوع، وإمكان استنباط نظرية نبوية في مجال تقويم الألفاظ والمفاهيم. واستفدت من الأفكار الرئيسية التي طرحت في كتب التربية وعلم النفس. وعالجت الموضوع بصورة قريبة من منهج المحدثين وبطريقة معاصرة. وحاولت أن أجعل الأحاديث تتحدث بنفسها عن نفسها قدر الإمكان، ولذلك أقللت من النقول المعاصرة أو القديمة قدر المستطاع. وقرأت شرحاً لكل حديث من المصادر المعتمدة في الشرح، لكي أحدد معناه ودلالته بدقة. واستفدت من كتاب معجم المناهي اللفظية والأبحاث الطيبة المنثورة في ثناياه، لأن موضوعه قريب من موضوعي من حيث الهدف العام، لا من حيث المنهج.

هـ- مرحلة ما بعد الكتابة:

عرضت الدراسة على المختصين لإبداء آرائهم وملاحظاتهم وهم: مختص في الحديث الشريف، وهو فضيلة الأستاذ الدكتور محمد العمري عميد كلية الشريعة والمشرف على الرسالة حفظة الله، فأبدى ملاحظات حديثية وتربوية قيمة جزاه الله خيراً، ومختصون في علم التربية الإسلامية، وهم الأستاذ الدكتور محمد عقلة، أستاذ التربية الإسلامية والفقه في جامعة اليرموك حفظة الله، والدكتور عماد الشريفين، المختص في التربية الإسلامية، وبخاصة موضوع تعديل السلوك في جامعة اليرموك، فأبديا ملاحظات قيمة أجبرتني على التراجع عن بعض ما كتبت، جزاهما الله خيراً، ثم أعدت صياغة الرسالة مع الأخذ بملاحظات الأساتذة المكرمين، فجاء هذا الجهد بهذه الصورة.

والله أسال أن يوفقني لما يحب ويرضى، ويأخذ بيدي إلى البر والتقوى، والشكر موصول لكل من كانت له يد في هذا الموضوع فجزاه الله خيراً.

وما كان صواباً فمن الله وحده، وما كان خطأ فمني ومن الشيطان.

والله تعالى أعلم.

الفصل الأول

أهمية الكلمة في الإسلام ووظيفتها

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بالكلمة

المبحث الثاني: المبادئ العامة لضبط الألفاظ والمفاهيم

المبحث الأول

عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بالكلمة

المطلب الأول:

مصطلحات مفتاحيه للبحث

اللفظ: من لفظه أي رماه، فهو ملفوظ ولفيظ، وتلفظ بالكلام أي نطق، وألفاظ جمع لفظ هو ما يلفظ به من الكلمات(١). المقصود بالألفاظ التي قومها النبي صلى الله عليه وسلم؛ كلمات تلفظ بها بعض الصحابة وكانت مخالفة من حيث ذاتها أو دلالتها للأحكام الشرعية، سواء كانت المخالفة من باب التحريم أو من باب الأفضلية، وبحيث يكون غيرها أفضل منها، سواء كانت المخالفة في مقام دون مقام أو جميع الحالات.

والمفهوم: من فهم الأمر أي: علمه وعرفه وأدركه. والفهم: تصور الشيء وإدراكه. (٢) وهو أيضا سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها. أو تصور المعنى من اللفظ، أو هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسن. (٣) وأقصد بالمفاهيم التي غيرها النبي صلى الله عليه وسلم؛معان كامنة في دلالات الألفاظ عند قائلها أو سامعها فغير النبي عليه الصلاة والسلام هذه المعاني كليا أو جزئيا، وبمعنى آخر هي ما أخرجه الرسول -صلى الله عليه وسلم - عن معنى لغوي إلى آخر. (٤)، ويلتحق بالمفهوم **الشعار** من أشعر أي لزق ولصق، وكل ما ألزقته بشيء أشعرته به، وأشعر القوم، نادوا بشعارهم أو جعلوا لأنفسهم شعارا. (٥) والشعار، نداء مخصوص يعرف القوم به بعضهم بعضا أو ينادون

---

١ الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص ٩٠٢، مؤسسة الرسالة ط٢، ١٩٨٧والمنجد في اللغة والأعلام، ص٧٢٧، دار المشرق، بيروت، ط٣٦

٢ الفيروز آبادي، ص ١٤٧٩، والمنجد، ص ٥٩٨.،

٣ الفيروز آبادي، المرجع السابق، الحاشية ص ١٤٧٩، (تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة)

٤ البوسعيدي عبد الرحمن حمد، مصطلحات نبوية، ص٢، بيروت، ط١، ٢٠٠١

٩ الفيروز آبادي، ص ٩٣٤

به للحرب أو الغزو. (١) **وأقصد بالشعار:** ألفاظ مخصوصة في ظروف معينة تحمل مضامين محددة تشبه العنوان للكتاب.

والاسم: هو اللفظ الموضوع على جوهر أو عرض لتعيينه ولتمييزه. (٢) وأقصد بالأسماء ؛ أسماء الأشخاص أو الأماكن أو الأشياء التي أرشد النبي -صلى الله عليه وسلم - إلى تغيرها واستبدالها بغيرها.

السلوك الصحيح في التربية الإسلامية: هو كل ما يصدر عن الإنسان من أنماط النشاط الظاهر وغير الظاهر بما لا يخالف الأحكام الشرعية(٣).

تعديل السلوك: هو أحداث تغيير هادف في أنماط السلوك غير المرغوب فيه نحو الأفضل وتعزيز ما هو مرغوب فيه وفق مرجعية خاصة٤.

السلوك اللفظي الذي أعنيه في البحث هو: كل كلام مقصود مفهوم يصدر عن الإنسان

وحدود تقويم الألفاظ في بحثي هو: الكلام المقصود المفهوم الصادر عن المسلم والذي أرشد النبي -صلى الله عليه وسلم - إلى تقويمه.

وعليه فإن **تقويم الألفاظ والمفاهيم في بحثي** هو: تغيير هادف للسلوك اللفظي غير المرغوب فيه شرعا، ضمن مرجعية محددة هي؛حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني

مبادئ تعديل السلوك وخصائصه في التربية الإسلامية

يندرج هذا البحث بشكل عام ضمن علوم التربية المعاصرة، التي تطورت تطورا هائلا في القرن الأخير، ويندرج بشكل خاص ضمن علوم تعديل السلوك، لذا

١ المنجد في اللغة والأعلام ص ٣٩١ دار الشروق بيروت ط ٣٦

٢ الفيروز آبادي، المرجع السابق، ص ١٦٧٢، والمنجد، ص٣٥٢

٣ شريفين، عماد، تعديل السلوك في التربية الإسلامية ص ٦، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، ٢٠٠٢،

٤ المرجع السابق ص٥٤

فإنه من المناسب أن نعرف أهداف وخصائص ومبادئ هذا العلم من وجهة نظر التربية الإسلامية.

تتمثل أهداف هذا العلم في قواعد كلية عامة منها: توثيق علاقة الإنسان بالله عز وجل، وبأنه خالقه ورازقه، ومصيره إليه، وهو الذي يستحق العبادة، وتنبثق عن هذه القاعدة قواعد أخرى تهدف إلى أن تكون نظرة الإنسان للأمور نظرة متوازنة؛ تستمد من هذه الشريعة المباركة، فنظرته للإنسان والكون والحياة نظرة متوازنة بين جميع الثقافات، وغرس المبادئ والقيم الأخلاقية والفضائل العامة هدف واضح من أهداف تعديل السلوك في التربية الإسلامية، ومن أهدافها بناء الفرد الصالح المصلح صاحب الشخصية المميزة الفاعلة المؤثرة إيجابيا فيمن حوله، كما أن تحقيق التوازن بين الصحة الجسمية والعقلية والنفسية من الضرورات ليقوم المسلم بدوره في إعمار الأرض وبناء مجتمع صالح فاضل إنساني١.

وأما القواعد العامة لتعديل السلوك في التربية الإسلامية فتمكن في مبادئ عدة من أهمها؛ مبدأ المسؤولية حيث إن الإنسان مسؤول مكلف، ومحاسب عن أعماله فينبغي أن يكون سلوكه خاضعا للمساءلة والمحاسبة من ربه عز وجل، والمجتمع، ونفسه أيضا. وحتى يستطيع الإنسان أن يغير من سلوكه لابد من تكوين رغبة في التغيير، وإذا عرف الإنسان الغاية من الخلق ومهمته في الحياة فإنه يكون أقدر على ضبط سلوكه وتصرفاته وتغييرها إذا لزم. والغاية من الخلق بينها قوله سبحانه وتعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالانسَ الا لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) سورة الذاريات، ومهمته عمارة الأرض وفق شرع الله عز وجل بما فيه صالح البشرية.

ويراعى في تعديل السلوك الطبيعة المزدوجة للإنسان من حيث شموله على الجانب الروحي والمادي. فيبقى التوازن هو المقياس الصحيح لهذا التعديل، كما أن للبيئة دورها في إصلاح الفرد وتعديل سلوكه وتخليصه مما هو فيه. وأهم إجراءات تعديل السلوك فيمكن تلخيصها بأمور منها، التعريف بالسلوك غير المرغوب فيه مع بيان السبب إن أمكن، ثم تحديد السلوك غير المرغوب تحديدا دقيقا في ضوء معايير واضحة متوافقة مع الشرع، وفهم أسباب السلوك ودوافعه ومعالجة أسبابه، كما أن

١ انظر المرجع السابق ص٨٢ فما بعدها

الوقت جزء مهم في أي علاج لمرض سلوكي، ولابد من بناء علاقة إيجابية عميقة مع من نريد تغيير سلوكه، ثم محاولة جعله جزء من عملية العلاج بحيث يقوم هو نفسه بعملية الأصلاح أو المساعدة فيها على الاقل، كل ذلك في ضوء قواعد إيمانية راسخة تهدف إلى بناء فرد سليم ومجتمع سليم[1].

المطلب الثالث

عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بتهذيب الألفاظ

كانت معجزة النبي –صلى الله عليه وسلم – هي القرآن الكريم الذي فيه قواعد الخير ومبادئ الأصلاح، وحث الله سبحانه وتعالى على تلاوته والإكثار منها، ورتب عليها أجرا عظيما، وحث على التفكر والتدبر ونعى على من لا يتدبر الكتاب الكريم.

قال سبحانه مخاطبا نبيه –صلى الله عليه وسلم – بمجموعة من الأوامر {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ*وَأَنْ أَتْلُوَ القرآن فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ} (سورة النمل آية ٩١ و٩٢)، وكثرة التلاوة للكلام الحسن المعجز تورث القارئ ثروة لفظية يكتسبها بالممارسة. وحث سبحانه على التدبر فقال {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الألباب}(سورة ص آية ٢٩)، والتدبر يسهم في ضبط اللفظ استجابة للأمر الرباني.

وفي القرآن الكريم مجموعة كبيرة من الآيات تحث على اللفظ الحسن والكلام الحسن لأنها من سمات الإسلام، منها قوله سبحانه {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا} (سورة الإسراء آية ٥٣) والقول الأحسن هو كما قال الطبري: وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم

---

١ المرجع السابق

لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة وقال الحسن لا يقول له مثل قوله، يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك[1]

وقال سبحانه آمرا بالقول الحسن الصادق {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا سورة الاحزاب آية ٧٠، والقول السديد هو: كما قال ابن عباس: صوابا، وقال قتادة: عدلا وقال الحسن: صدقا، وقيل: مستقيما وقال عكرمة هو: قول لا إله الا الله[2]، وهو يشمل كل ذلك.

وبين الله سبحانه في كتابه أن الإنسان مسؤول عن ألفاظه مراقب عليها فقال: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ الا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (سورة ق آية ١٨)، ومن أجل أن يبقى القول في مداره المشروع منع التشبه باليهود الذين يقصدون السب والشتم في قولهم (راعنا) من الرعونة، فقال سبحانه مستبدلا اللفظ بأخر لا يحتمل المعنى السئ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (١٠٤) سورة البقرة.

كما شبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، فللشجرة حين ننظر إليها أثر في إدخال السرور في النفس وبعث الطمأنينة في القلب، وكذا للقول الطيب أثر شبيه، قال سبحانه: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء} (٢٤) سورة إبراهيم.

ونعى القرآن الكريم على من يخالف قوله فعله فقال سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} سورة الصف٢، وذلك حتى يكون للكلمة قيمتها ومكانتها وتؤدي دورها المطلوب في الحياة. والكلام الطيب هو الذي يرفع لله عز وجل لقوله سبحانه { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } (١٠) سورة فاطر.

أما النبي عليه الصلاة والسلام فقد اعتنى النبي –صلى الله عليه وسلم – عناية بالغة بتهذيب اللسان وتقويم الكلمة، واعتبر النبي –صلى الله عليه وسلم –

---

١ الطبري، جامع البيان ج١٥ص ٧٠ دار المعرفة –بيروت ط٢ ١٩٧٢

٢ البغوي، محمد بن الحسين التفسير المسمى معالم التنزيل ج٣ص ٥٤٦. دار المعرفة –بيروت تحقيق خالد العك ط١ ١٩٨٦

الكلمة الطيبة صدقة(١)، وقال عليه السلام: اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة(٢) ذلك لأن الكلمة الطيبة تقوم مقام الصدقة في التخفيف عن السائل وفي أثرها في قلبه، وقد كانت الكلمة الطيبة هي التي تسود أوساط المسلمين في عصر النبوة والعصور الإسلامية الزاهرة.

وبين النبي -صلى الله عليه وسلم - أن حال المسلم أن يتكلم إن كان الكلام نافعا، والا فالصمت أولى فقال عليه السلام: من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرا أو ليصمت(٣). وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة[٤]. ودل معاذ - رضي الله عنه - أن يكف لسانه فقال عليه السلام: كف عليك هذا وأشار إلى لسانه قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم[٥]

ومن أجل قطع الطريق على السير وراء اللسان ومخاطره فقد كره لنا عليه الصلاة والسلام قيل وقال، فقال فيما روى المغيرة بن شعبة أن الرسول -صلى الله عليه وسلم - قال: : سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم - يقول: إن الله كره لكم ثلاثا قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال[١] . وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب تأتي في موضعها بإذن الله.

١ البخاري، في الجهاد والسير باب من أخذ بالركاب ونحوه، رقم٢٨٩١وفي الصلح رقم٢٧٠٧، ومسلم في الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف رقم ١٠٠٩.

٢ البخاري واللفظ له في الزكاة باب طيب الكلام رقم ١٤١٧وفي الأدب ٦٠٢٣وفي الرقاق ٦٥٦٣، ومسلم في الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ج ٢ص٧٠٣ رقم١٠١٦

٣ البخاري في أبواب متعددة منها في الأدب باب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ رقم ٦٠١٨، ومسلم في الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت الا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان ج١ ص ٦٨رقم ٤٧

٤ البخاري في الرقاق باب حفظ اللسان رقم ٦٤٧٤

٥ أحمد رقم ٢٢٠١٦و٢٢٠٦٣ وقال شعيب الارنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد منقطع، والترمذي في الايمان باب ما جاء في حرمة الصلاة ج٥ض١١ رقم ٢٦١٦ وقال هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني صحيح في اكثر من موضع منها في صحيح سنن الترمذي وصحيح سنن ابن ماجة وصحيح الترغيب والترهيب وغيرها، والنسائي في الكبرىج٦ ص٤٢٨ رقم ١١٣٩٤وابن ماجه باب كف اللسان في الفتنة ج٢ص١٣١٤رقم ٣٩٣٧ وقال الألباني: صحيح

المطلب الرابع

اهتمام المحدثين باللفظ والمفهوم

أبو داود السجستاني وابن القيم نموذجا

تنوعت مظاهر اهتمام العلماء باللفظ نظرا لما علموا من خطورته، وأهميته، ودوره في السلوك والعمل، وتعددت أساليب معالجتهم للموضوع من عصر لآخر، ومنها التصنيف، فقد صنف كثير من العلماء مصنفات مستقلة مفردة لبيان ما يتعلق بالألفاظ من أحكام وفوائد، منبهين على جملة من الألفاظ التي تناولها النبي عليه الصلاة والسلام بالتقويم وما يتعلق بها من أحكام ومنها: كتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا، وابن أبي عاصم، والسيوطي، وكتاب حفظ اللسان للمحدث يحيى بن سعيد العطار الأنصاري الحمصي، وكتاب الهداية والإعلام بما يترتب على قبيح القول من الأحكام، للأفغاني المتوفى سنة (٧٧٧) هجرية، والايضاح التام لبيان ما يقع على ألسنة العوام للطيبي المتوفى سنة (٩٨١) هجرية، وكتاب السنن والبدع المتعلقة بالألفاظ للشيخ ابن عثيمين رحمه الله وأكثرها عن حكم ألفاظ يتداولها العوام وغيرها[٢].

وقد تنبه المحدثون لهذه المسألة المهمة، وعالجوا الموضوع في مصنفاتهم، كل حسب منهجه، وذكر أكثر المحدثين الأحاديث المتعلقة باللفظ في أبواب الأدب باعتبار أنها من المندوبات أو المكروهات في أغلبها، وهكذا كان التعامل معها في ذلك الزمان، فهي أمور متممة لمحاسن الأخلاق وليست من صلب العقيدة أو العبادة، وكان هذا المنهج هو المتبع عند المحدثين في بيان فقه الحديث عموما، ولم تكن المصنفات الحديثية

١ البخاري في الرقاق باب ما يكره من قيل وقال رقم٦٤٧٣ وغيره، و مسلم في الاقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ج٣ص١٣٤٠رقم٥٩٣ورقم١٧١٥

٢ انظر بكر أبو زيد، معجم المناهي اللفظية ص ٤٥.

في أغلبها الا من هذا النمط، ولم يكن يدور بخلدهم أن تغير الحياة وأساليبها سيجعل هذه المسائل متعلقة بوجه أو بآخر بالعقيدة أو السلوك والعمل بشكله الحالي الواسع.

لم يهتم المحدثون بجانب التحليل الموسع وبيان ما يتعلق بهذه الأحاديث من جوانب تربوية معمقة، بسبب طبيعة الحياة التي كانوا يعيشونها، فكان يكتفي العالم بذكر الحديث مع الترجمة المباشرة لفقهه، ليتحول في حياة أكثر المسلمين إلى عمل، ويظهر أنه كلما ابتعد الناس عن عهد النبوة حدث أمران الأول: عدم اقتناع الناس بالحديث مجردا عن فقهه العميق، والثاني: تشعب وتطور الحياة الاجتماعية والعملية للناس تجعلهم بحاجة إلى تحليل أعمق للأحاديث.

ومن أصحاب الكتب الستة نتناول منهج أبي داود كنموذج، لأنه الأكثر اهتماما بهذا الموضوع من بينهم من حيث عدد الأحاديث، ومنهج التقسيم لها، ودلالة الترجمة على المراد، فقد تنبه لشأن اللفظ وأهمية ضبطه ومعالجته، فذكر الأحاديث مع الترجمة عليها، ليبين الفقه من خلال هذه الترجمة، وعالج الموضوع في كتاب الأدب في عدة أبواب منها، باب في تغيير الأسماء، وذكر فيه عدة أحاديث في حسن التسمية، وأحب الأسماء إلى الله عز وجل، وذكر بابا آخر في تغير الاسم القبيحوذكر فيه عدة أحاديث في من غير النبي –صلى الله عليه وسلم – اسمه، كعاصيه، وبرة، واصرم، وأبو الحكم، وحزن، والأجدع. وذكر حديث النهي عن تسمية الغلام بيسار وأفلح وراشد ونجيح.. وعقد بابا باسم باب في الكرم وحفظ المنطق، وباب لا يقول المملوك ربي وربتي، وباب لا يقال خبثت نفسي، وبابدون اسمذكر فيه حديث لا تقولوا ما شاء الله وشئت، وحديث لا تقل تعس الشيطان ، وحديث إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم ، وذكر بابا بعنوان في صلاة العتمة، ذكر فيه حديث النهي عن تسمية العشاء العتمة، وذكر بعدها أبوابا متعددة في الدعاء وغيرها.

أما فقهاء المحدثين فقد اهتموا بالموضوع اهتماما كبيرا كذلك، وربما لم يخل كتاب مبسوط من هذا الفقه، لأهميته وكثرة النصوص الواردة فيه. وأكثر ما نجد اهتمامهم في كتب الشروح عند شرحهم للأحاديث في الباب حيث يذكرون فقه الحديث ومتعلقاته، ويبسطوا القول بفوائده وفقهه، وعقد كثير من فقهاء المحدثين أبوابا مستقلة في مصنفاتهم في الألفاظ المنهي عنها، وفي الأسماء وتغييرها وما يتعلق بها.

وأتناول هنا جهود ابن القيم رحمه الله في هذا المجال في كتابه زاد المعاد، فقد عقد فصلا بعنوان في هديه –صلى الله عليه وسلم – في الأسماء والكنى وذكر كثيرا من الأحاديث في تسمية الغلام المشروعة، وغير المشروعة. ثم عقد فصلا آخر بعنوان في فقه هذا الباب مستنبطا منه العلاقة بين الاسم والمسميات، ومما قاله لما كانت الأسماء قوالب للمعاني، ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب، وأن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثر عن أسمائها في الحسن والقبح، والخفة و الثقل، واللطافة والكثافة، كما قيل: وقلما أبصرت عيناك ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه.[1]

ثم ذكر رحمه الله تحليلا دقيقا للأسماء وعلاقتها بمسمياتها، وفقه هذه الأسماء، وأسباب ذلك، كما ذكر نماذج من ما سميته في رسالتي بالمفاهيم، وبين وجه النهي عن التسمية ببعض الأسماء.

وعقد فصلا آخر في هديه –صلى الله عليه وسلم – في حفظ المنطق واختيار الألفاظ، وقدم خلاصتة في جملة لطيفة فقال كان يتخير في خطابه، ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها، وألطفها، وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش، فلم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا ولا فظا، وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في حق ما ليس كذلك. وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس من أهله[2].

وذكر نماذج أخرى مما جاء في الأحاديث من الألفاظ، وأشباهها المكروهة التي انتشرت في عصره. وعقد فصلا آخر بعنوان: في ألفاظ كان –صلى الله عليه وسلم – يكره أن تقال [3]وذكر منها قول خبثت نفسي وتسمية العنب كرما، وقول هلك الناس، وقول ما شاء الله وشئت، ومطرنا بنوء كذا ، وأن يحلف بغير الله ، وأن يقول المسلم للمسلم يا كافر ، وقول ملك الملوك للسلطان.. .. .. . والملاحظ أنه

---

١ ابن القيم زاد المعاد ج٢ ص ٣٠٧.
٢ المرجع السابق ج ٢ ص ٣٢١.
٣ المرجع السابق ج ٢ ص ٤٢٨

ذكر هذه الأحاديث ذكرا فقط، مع وجود بعض الأحاديث الضعيفة مما ذكره رحمه الله [1].

وقد استفدت من الإمام ابن القيم رحمه الله فيما ذكره في هذه الحقول، واستفدت فائدة أكثر أهمية وهي أننا بحاجة إلى إعادة دراسة السنة بطريقة معاصرة، ولو أن باحثا أعاد دراسة بعض موضوعات كتاب زاد المعاد على طريقة الحديث الموضوعي المعاصر لبيان المنهج النبوي لقدم خدمة نافعة جدا للعلم وأهله.

---

١ انظر المرجع السابق حاشية المحقق ص ٤٣٢ وغيرها.

المبحث الثاني:

المبادئ العامة لضبط الألفاظ والمفاهيم

أوجد الإسلام مبادئ عامة لحفظ اللفظ ومعالجة آثاره السلبية، وتدعيم وتشجيع آثاره الإيجابية، وكان ذلك من خلال وسائل متنوعة سأبي نها في المطالب التالية.

المطلب الأول:

أهمية اللفظ الصحيح وآثاره

كانت معجزة النبي -صلى الله عليه وسلم- الخالدة هي القرآن الكريم، الذي نزل عليه بواسطة جبريل عليه السلام، وهذه المعجزة تعددت جوانبها من إعجاز تشريعي وغيبي، وعلمي، وبياني الذي هو الجانب الأبرز من جوانب الإعجاز الكثيرة، والإعجاز البياني متعلق باللفظ من حيث حروفه؛ ترتيبها ونوعها ودلالتها. وكلمته؛ من حيث تركيبها ودلالتها ومكانها، مما يوحي بأهمية الألفاظ التي يتلفظ بها الإنسان ومكانتها السامية في الشريعة الإسلامية.

إن الوسيلة الأكثر انتشارا للتخاطب ونقل الأفكار والتعبير عما في النفس هي الألفاظ، لذا فإنه من الأهمية بمكان لا يخفى على أحد ضرورة أن يكون اللفظ مناسبا صحيحا في جميع استعمالاته، وبالنسبة للمسلمين فلابد أن تكون هذه الألفاظ موافقة للشرع مستمدة منه خاضعة لمبادئه ومعانيه ومعبرة عنه بما يحقق مقاصد الشرع ومراميه.

وللفظ آثار كثيرة منها آثار مادية وأخرى معنوية، ومن نماذج هذه اللآثار ما يلي:

نقرأ في كتاب الله الكريم في سورة الكهف قصة الرجلين، الذين جعل الله لأحدهما جنتين من أعناب ونخل وزرع يجري فيهما النهر، ودار بينهما حوار حول نعمة الله على الإنسان وخضوعه له وشكره لمولاه سبحانه، والاعتراف أن الفضل والنعمة منه ؛ فأما صاحب الجنتين فقد أنكر النعمة والفضل ونسبهما إلى نفسه ظلما منه وطغيانا فقال له صاحبه المؤمن: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ الا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا} (٣٩) سورة الكهف فكان هذا القول لو قاله

صاحب الجنتين مانعا من احتراق الجنة والإحاطة بالثمر بإذن الله، قال ابن كثير رحمه الله . هذا تحضيض وحث على ذلك أي هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة الا بالله، ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة الا بالله [1]. فقد كان هذا اللفظ مانعا بإذن الله من زوال هذه النعمة لو أنه قاله، وما زلنا نقول إذا رأى أحد منا ما يعجبه تبارك الله وهو قول النبي -صلى الله عليه وسلم - لعامر بن ربيعة عندما عان-أصاب بالعين- سهل بن حنيف: عَلَامَ يَقْتُلُ أحدكُمْ أَخَاهُ هَلَّا إذا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْـت [2]، أي قلت: تبارك الله،، وذلك لندرك الآثار الحسية العاجلة للألفاظ التي يتكلم بها الإنسان.

وعن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال قال سليمان بن داود نبي الله لأطوف الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه أو الملك: قل إن شاء الله فلم يقل ونسي فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا له في حاجته [3]، فكانت الكلمة سببا في رزق عميم لو أنه قالها عليه السلام.

وقد يكون اللفظ الخاطىء، أو عدم القدرة على التعبير الصحيح سبب في مصائب تقع على أصحابها كما في قصة خالد بن الوليد مع بني جذيمة، فعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال : بعث النبي -صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره، فقلت والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجلا من أصحابي أسيره، فذكرنا ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم - فقال

١ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج٣ص١١٥ مكتبة دار الفيحاء دمشق ط١. ، ١٩٩٤

٢ اخرجه مالك في الموطأ باب الوضوء من العين ج٢ص٩٣٩ رقم ١٦٧٨، وأحمد في المسند رقم ١٥٩٨٠ وقال شعيب: حديث صحيح وابن حبان في الصحيح ج١٣ص ٤٧٠ رقم ٦١٠٦، وقال شعيب: حديث صحيح، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة رقم ٣٥٠٩

٣ أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب الاستثناء في الإيمان، رقم ٦٣٤١، ومسلم كتاب الإيمان باب الاستثناء، رقم [illegible]

اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد مرتين [1]، وحاصل القصة أن خالد بن الوليد غزا بأمر النبي -صلى الله عليه وسلم - قوما، فقالوا صبأنا، وأرادوا أسلمنا، فلم يقبل خالد ذلك منهم، وقتلهم بناء على ظاهر اللفظ، فبلغ النبي -صلى الله عليه وسلم - ذلك فأنكره، فدل على أنه يكتفى من كل قوم بما يعرف من لغتهم، وقد عذر النبي -صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد في اجتهاده ولذلك لم يقد منه.

وإن كان عليه الصلاة والسلام قد أنكر على خالد فعله، فإن مما لا شك فيه أن للألفاظ الخاطئة آثارها الحسية العاجلة التي تعود بالضرر على أصحابها، وهي التي أوقعت القوم في هذه النتيجة. وعلى كل فإن أحدا لا ينكر الدور الإيجابي أو السلبي للالفاظ في الحياة، وخطورة هذه الألفاظ وآثارها الحسية والمعنوية معا، وقد كان عليه الصلاة السلام يستعيذ من منافق عليم اللسان [2].

ولأن للفظ مكانته العالية في الشرع فقد رتب الشارع سبحانه آثارا حسية ومعنوية على بعض الألفاظ في أبواب مختلفة منها على سبيل المثال:

في أبواب اليمين، فقد قال سبحانه { وَاحْفَظُواْ إِيمانكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٨٩) سورة المائدة، أي لا يكثر المسلم من اليمين، وإذا أقسم فيجب أن يبر في يمينه، قال القرطبي رحمه الله في تفسير الاية أي بالبدار إلى ما لزمكم من الكفارة إذا حنثتم وقيل: أي بترك الحلف فإنكم إذا لم تحلفوا لم تتوج عليكم هذه التكليفات (٢).

. ١ أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة رقم ٤٣٣٩ ورقم ٧١٨٩

. ٢ أحمد رقم ١٤٤ و٣١٠ من رواية عمر بن الخطاب وقال شعيب: إسناده قوي، وابن حبان رقم ٨٠ ج١ص٢٨١ من رواية عمران بن حصين رضي الله عنه و. قال شعيب الارنؤوط إسناده صحيح على شرط البخاري، وصححه الألباني في اكثر من موضع، منها في صحيح الجامع رقم ٢٣٩ و١٥٥٤و١٥٥٦ وفي السلسلة الصحيحة ج٣ ص١١ رقم ١٠١٣

٣ القرطبي، التفسير ج٦ص[illegible] ١٩٨٧

ونهى النبي –صلى الله عليه وسلم – عن الحلف بغير الله فقال: من حلف بغير الله فقد أشرك[١]. ورتب على من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها كفارة فقال: من حلف على يمين فرأى أن غيرها خير منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه [٢]. وما الكفارة الا ضابطا لليمين ليكون المسلم على بينة مما يقول.

وأمر النبي عليه الصلاة والسلام من حلف باللات والعزى أن يقول لا إله الا الله فقال: من حلف منكم فقال في حلفه باللات فليقل لا إله الا الله ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق[٣] فجعل الصدقة كفارة للقول المنهي عنه، وفي الحديث عن قتيلة بنت صيفي الجهينية رضي الله عنها قالت: أَتَى حَبْرٌ مِنْ الاحْبَارِ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا ذَاكَ، قَالَ تَقُولُونَ إذا حَلَفْتُمْ وَالْكَعْبَةِ، قَالَتْ فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم – شَيْئًا ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ قَالَ، فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ. قَالَ يَا مُحَمَّدُ نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ نِدًّا، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا ذَاكَ، قَالَ: تَقُولُونَ

١ أبو داود من حديث ابن عمر كتاب الإيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالاباءج٢ص٢٤٢.رقم ٣٢٥١وقال الألباني صحيح، والترمذي في النذور والإيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ج ٤ص١١٠رقم ١٥٣٥وقال: "هذا حديث حسن وفسر هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله فقد كفر أو أشرك على التغليظ والحجة في ذلك حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع عمر يقول و أبي أبي فقال الا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم وحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله الا الله". وقال الألباني: صحيح، واخرجه ابن حبان ج١٠ص ١٩٩ رقم ٤٣٥٨ وصححه شعيب من رواية ابن عمر وقال على: شرط مسلم وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ج٥ ص٦٩ رقم ٢٠٤٢ صحيح وساق له شواهد عدة

٢ مسلم في كتاب الإيمان باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه واللفظ له ج٣ص١٢٧١ رقم ١٦٥٠

٣ مسلم في الإيمان [illegible] حلف باللات والعزى [illegible] ١٦٤٧

مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قَالَ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم – شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ قَالَ: فَمَنْ قَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَلْيَفْصِلْ بَيْنَهُمَا ثُمَّ شِئْتَ[١]

وفي باب النذر كذلك إذ نهى النبي –صلى الله عليه وسلم – عن النذر نهيا عاما، حمله أغلب العلماء على الكراهية، قال ابن عمر عن النبي –صلى الله عليه وسلم – أنه قال النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخره، وإنما يستخرج به من البخيل[٢]، ورتب كفارة على من لم يف بنذره ليكون مانعا للمسلم أن يقول ما لم يفعل.

وفي الظهار وهو قول الرجل لزوجته أنت علي كظهر أمي قال الله سبحانه في حق من قال مثل هذا القول موبخا ومنكرا: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ الا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} (٢) سورة المجادلة وجعل الكفارة مغلظة تتمثل بعتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا، وذلك قبل أن يقربها لتكون ردعا للرجل أن يتكلم بكلمة لها آثار سلبية على الحياة الاجتماعية.

والقذف في الشرع: الرمي بوطء يوجب الحد على المقذوف[٣]، وجعل الإسلام فيه حدا شديدا؛ ثمانون جلدة، وعقوبة معنوية بعدم قبول شهادته حتى يحدث توبة، ليعلم أن اللسان مسؤول كما الجوارح الأخرى إن لم يكن أكثر مسؤولية منها.

ولو تتبعنا هذا الباب لطال علينا، ففي الطلاق والعتق والصدقة والهبة والرجعة والبيع والشراء وغيرها أحكام كثيرة تعلقها باللفظ كبير.

١ أحمد في المسند رقم ٢٧٠٩٣، واللفظ له وقال شعيب الارنؤوط: اسناده صحيح، وعند النسائي ج٧ص٦رقم ٣٧٧٣ وقال الشيخ الألباني: صحيح، وفي الأدب المفرد١ص٢٧٤ رقم ٧٨٣ قال الشيخ الألباني: صحيح

٢ البخاري كتاب النذور باب الوفاء بالنذر رقم ٦٦٩٢ومسلم كتاب النذر باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئا واللفظ له رقم ١٦٣٩

٣ الصنعاني، محمد بن إسماعيل الامير سبل السلام ج١ ص١٨٩ دار الكتاب العربي– بيروت الطبعة العاشرة ١٩٩٧ تحقيق فواز زمرلي و ابراهيم الجمل

المطلب الثاني

الآثار العامة للمنهج النبوي في التقويم.

حرصا على أن يكون اللفظ منسجما مع روح الشرع، وعدم الوقوع في المعصية، وتجنب ما يترتب على اللفظ الخاطئ من آثار سلبية، فلا بد من وجود مبادئ عامة عند المسلم تضبط ألفاظه وتوجهها نحو الخير والعمل المنتج، وقد أبدع علماء المسلمين في وضع القواعد التي تحفظ اللفظ وتضعه في مكانه الصحيح ومن ذلك ما وضعه الإمام الماوردي رحمه الله في كتابه القيم أدب الدنيا والدين من ضوابط للفظ فقال- رحمه الله- وَأعلم أَنَّ لِلْكَلَامِ شُرُوطًا لَا يَسْلَمُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ الزَّلَلِ الا بِهَا، وَلَا يَعْرَى مِنْ النَّقْصِ الا بَعْدَ أَنْ يَسْتَوْفِيَهَا وَهِيَ أَرْبَعَةٌ: فَالشَّرْطُ الأول: أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ لِدَاعٍ يَدْعُو إلَيْهِ إمَّا فِي اجْتِلَابِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ.

وَالشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ، وَيَتَوَخَّى بِهِ إصَابَةَ فُرْصَتِهِ.

وَالشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ.

وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ: أَنْ يَتَخَيَّرَ اللَّفْظَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ.

فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ مَتَى أَخَلَّ الْمُتَكَلِّمُ بِشَرْطٍ مِنْهَا فَقَدْ أَوْهَنَ فَضِيلَةَ بَاقِيهَا[1].

فهذه الشروط النافعة مستمدة من القرآن الكريم والسنة المباركة والتجربة العملية، وبصياغة أخرى لما ذكره الماوردي رحمه الله، فإنه يمكن أن نجعل المبادئ العامة لحفظ اللفظ هي:

- اعتماد مبدأ المسؤولية عن اللفظ.
- وتجذير مبدأ صواب القول، الذي يقوم على الصدق والعدل.
- وضبط مقدمات آفات اللسان.
- والموازنة بين الكلام والسكوت.

وهذه المبادئ مستمدة كلها من القرآن الكريم أو من السنة المباركة ؛فمبدأ المسؤولية هو الأساس الذي تقوم عليه عملية التغيير كلها، وقد بين الله عز وجل أن الإنسان مسؤول عن عمله محاسب عليه فقال {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} (٣٨)

١ الماوردي علي بن محمد، أدب الدنيا والدين ص٢٦٦ مؤسسة الرسالة ناشرون بيروت ط١ ٢٠٠٤ بعناية محمد أبو الخير السيد

سورة المدثر، وقال {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ الا مَا سَعَى} (٣٩) سورة النجم، وقال {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ الا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (١٨) سورة ق، ليبين أن الإنسان مسؤول عما يقوم به ويفعله، سواء في الدنيا أو في الآخرة. فهذا المبدأ ينطبق على جميع التصرفات التي يقوم بها المسلم، ومنها ألفاظه.

وقد بين النبي -صلى الله عليه وسلم - أهمية المسؤولية، وحمل كل عاقل المسؤولية عن كل ما يتعلق به مما هو باستطاعته، فقوله عليه الصلاة والسلام كلكم راع ومسؤول عن رعيته[1]، يخاطب كل إنسان من أجل أن يستشعر مسؤوليته عن نفسه وعن غيره، فإذا علم المسلم أهمية هذا المبدأ فإنه يكون رقابة ذاتية على نفسه في ألفاظه وغيرها، ويصبح ضابطا لغيره أيضا من باب المسؤولية عن غيره حسب استطاعته، قياما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو واجب على الجميع.

وأما تجذير مبدأ الصواب من القول الذي يقوم على انتقاء الكلمة، والصدق والعدل، فإن معنى حفظ اللسان هو الامتناع عن النطق بما لا يسوغ شرعا مما لا حاجة للمتكلم به[2]. وجميع حالات الإنسان أن يكون إما ساكتا أو متكلما، والسكوت منه محمود ومذموم، والكلام كذلك. أما الكلام الذي هو الحال الغالب على الإنسان فالمحمود منه ما كان صوابا، والصواب ما قام على أصلين هما الصدق والعدل، فمن آثار هذا المنهج أن يقوم اللفظ على الصواب وهو الذي ينطلق من قاعدتين أساسيتين هما؛ الصدق والعدل.

أما الصدق، فهي الحال التي يحب الله أصحابها، ويورث فعله الطمأنينة في القلب والسكينة في النفس، كما قال عليه الصلاة والسلام دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة[3]، والقائل لا بد أن يتحرى الصدق حتى يلقى

١ البخاري في مواضع متعددة منها في الجمعة باب باب الْجُمُعَةِ فِي الْقُرَى وَالْمُدْن رقم٨٩٣ وبرقم ٢٤٠٩، ٢٥٥٤، ٢٥٥٨، ٢٧٥١، ٥١٨٨، ٥٢٠٠، ٧١٣٨

٢ ابن حجر، فتح الباري ج١ ص ٣٧٤ دار السلام الرياض، ط١، ١٩٩٧ م.

٣ أحمد في المسند رقم ١٧٢٧ ج٣ص٢٥٢ وقال شعيب: إسناده صحيح، والترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه و سلم باب٦٠ رقم٢٥١٨ وقال وهذا حديث حسن صحيح وقال الشيخ الألباني صحيح

عند الناس قبولا، ومن الله عز وجل محبة، فإذا كان الكلام منضبطا بهذه الصفة فيرجى نفعه وخيره.

وأما العدل فقد قال تعالى {وَإذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} (سورة الأنعام ١٥٢). قال ابن عاشور رحمه اللههذا جامع كل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام وهي الشهادة، والقضاء، والتعديل، والتجريح، والمشاورة، والصلح بين الناس، والأخبار المخبرة عن صفات الأشياء في المعاملات: من صفات المبيعات، والمؤجرات، والعيوب، وفي الوعود، والوصايا، والإيمان، وكذلك المدائح والشتائم كالقذف، فكل ذلك داخل فيما يصدر عن القول[1] فيجب على المسلم مراعاة العدل في كل ذلك.

وترك الكلام الذي يوقع في المعصية هو الأصل عند المسلم، كما قال عليه الصلاة والسلام:

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[2]، ولما كان للكلمة هذه الأهمية، ومن أجل المحافظة على المسلك القويم، والصراط المستقيم، جاء النهي والتحذير عن أقوال، وألفاظ وعبارات تشكل بمجموعها وسائل الشريعة لحفظ المنطق وصيانته عن كل لفظ محرم أو مكروه، وجاء هذا الأدب في أبواب متفرقة منها أدب المرء مع ربه عز وجل، ورسوله عليه الصلاة والسلام، والقرآن، والصحابة، ومع نفسه ووالديه، وأولاده، وزوجته، والجمادات، والدواب، والكفار.. .[3]، فإذا قوي الإنسان على التصرف الحق الموافق للشرع في هذه المواطن، فإنه لا بد أن يصير بعد ذلك قادرا على

---

١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ج٧ ص ١٢٤، المعروف بتفسير ابن عاشور لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

٢ أحمد في المسند رقم ١٧٣٧ وقال الارنؤوط حسن بشواهده، والترمذي في الزهد باب ١١ رقم ٢٣١٧ وقال هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرةعن النبيصلى الله عليه و سلم الا من هذا الوجه وقال الشيخ الألباني: صحيح، وابن ماجة في الفتن باب ١٢ ج٢ص٣٦٠ رقم ٣٢١١ و ٣٩٧٦ وقال الألباني صحيح.

٣ أبو زيد، بكر بن عبد الله معجم المناهي اللفظية، ص ٣٤– ٤٤، دار العاصمة [illegible] ١٤١٧.

ضبط ألفاظه في جميع المواقف، ولا ينتقي من الألفاظ الا الحلال، ولا من الحلال الا أجوده وأليقه.

وحفظ اللفظ أن لا يخرج لفظة ضائعة، بأن لا يتكلم الا فيما يرجو منه الربح والزيادة في الدين، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر هل فيها ربح وفائدة أم لا، فإن لم يكن منها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر، هل تفوت بها كلمة هي أربح منها، فلا يضيعها بهذه، وإن أردت إن تستدل على ما في القلب، فاستدل عليه بحركة اللسان، فإنه يطلعك على ما في القلب، شاء صاحبه أم أبى[1].

واللسان له آفتان، آفة الكلام وآفة السكوت، والساكت عن الحق شيطان أخرس عاص لله سبحانه إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله سبحانه، وأهل الوسط يكفون ألسنتهم عن الباطل، ويطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة.[2]

المطلب الثالث

أسباب مشكلة الألفاظ والمفاهيم وسبل حلها

لا يخفى على المراقب لما يدور على ألسنة عموم الناس ما وصل إليه حال الكلام والألفاظ والمفاهيم في هذه الأيام، إن المشكلة باختصار في موضوع الألفاظ وما يتعلق به أن الغالبية العظمى من كلام الناس ليس متوافقا مع ما شرعه الله عز وجل لعباده، بل إن كثيرا منها مخالف لشرع الله عز وجل سواء كان اللفظ ذاته، أو دلالاته ومتعلقاته، وإن مجلسا واحدا من مجالس العوام بل والمثقفين أيضا ليبين لنا عمق المشكلة التي نحن بصددها.

فإذا ناقشنا مسألة المفاهيم أو المصطلحات فنجد المشكلة أكبر والأمر أخطر، إذ ليس هناك اتفاق على كثير من المفاهيم التي كانت في يوم من الأيام من الثوابت، ثم إن تمييع وتحريف المصطلحات والمفاهيم الشرعية عن معانيها الحقيقية قد أخرجها عن دلالاتها التي وضعت لها أصلا، بالإضافة إلى تحييد وتغييب كثير من المفاهيم

---

١ ابن القيم، الجواب الكافي، ص ١٢٩، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض ١٩٧٨ د. ط

٢ المرجع السابق، ص ١٤٢.

الإسلامية الأصيلة، مما حدا بكثير من الباحثين والمفكرين الغيورين على الإسلام ومبادئه أن يحاولوا تصحيح بعض المفاهيم التي انحرفت عن مسارها الصحيح التي أرادها الله عز وجل لها.[1]

إن أسباب هذه المشكلة كثيرة منها:

البيئة ؛إذ اللغة ثروة مكتسبة من البيئة، فلا يقول الا ما تعلمه ممن حوله، فإن تعلم الصواب نطق الصواب، وإن تعلم الخطأ فلا ينطق الا به، وفي قول النبي –صلى الله عليه وسلم – الذي رواه أبو هريرة: ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء[2]؟ ثم يقول أبو هريرة واقرؤا إن شئتم { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أكثر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٣٠) سورة الروم، ما يبين ما لبيئة الإنسان من أثر على توجيه سلوكه وتفكيره ولسانه ومعتقده، إذ أن معنى الحديث أن الكفر ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه –ومثله كل أنواع السلوك الأخرى – بل إنما حصل بسبب خارجي فإن سلم من ذلك السبب استمر على الحق[3]

والجهل سبب رئيس فيما نرى من حال اللفظ اليوم، إذ الكثير لا يلقي بالا لما يقول، ولا يعلم أن قوله قد يكون سببا في المعصية والاثم، وما يترتب على ذلك من أضرار اجتماعية ودينية، وقد قال –صلى الله عليه وسلم – إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا، يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم[4]، وفي رواية إن العبد ليتكلم بالكلمة ما

1 انظر مثلا: محمد شقرة تنوير الافهام إلى بعض مفاهيم الإسلام، وبكر أبو زيد، معجم المناهي اللفظية، وابن عثيمين السنن والبدع المتعلقة بالألفاظ.

2 البخاري في الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين رقم ١٣٥٨و٤٧٧٥و ٦٥٩٩، ومسلم واللفظ له في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ج٤ص٢٠٤٦ رقم ٢٦٥٨

3 ابن حجر فتح الباري ج٣ص ٢٤٨ في شرح باب ما قيل في أولاد المشركين [illegible]

4 البخاري في الرقاق باب حفظ اللسان ٦٤٧٨

يتبين فيها، يزل فيها في النار أبعد مما بين المشرق[1]. فمن يعلم خطر الكلمة وأبعادها ودلالاتها، يكون حريصا على الا ينطق الا بما هو صواب من جهة الشرع له الأثر الحسن.

ويرجع السبب الأول والثاني إلى **ضعف الإيمان** في قلوب الناس، وضعف تقديرهم لشرع الله عز وجل، وضعف المهابة من الله عز وجل في قلوبهم، فليس الحاكم على أقوال الناس اليوم قول الله عز وجل {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (١١٢) سورة هود، بل إن حال الكثير يقول: فاستقم كما تشاء، ولو قوي الإيمان في القلوب لسيطر الإنسان على لسانه وكلمته وأصلح حاله وتعلم من العلم ما ينجيه من ظلمات الجهل.

ولا نستطيع أن ننكر أن **لدعوات التغريب**، ووسائل الاعلام، والتقليد الأعمى، والاستعمار الغربي دور كبير في إفساد اللسان، وحرف المعاني عن حقيقتها الشرعية، فباسم حقوق الإنسان يتحول المسلم في بلد عربي إسلامي إلى أجنبي، ويحمل الهندوسي أو البربري نفس الاسم، والدعوة إلى العامية واستبدالها بالفصيحة لصعوبتها بزعمهم قد حول اللغة الواحدة إلى لغات كثيرة، واعوج اللسان حتى لا يفهم مغربي تونسي، عدا مصري أو سوري، واستوردنا الصناعات المختلفة ومعها فكرها الذي تحمله، فالاستعمار بالصناعة رافقه استعمار بالثقافة والفكر واللفظ الذي يحمله.

كما أن **للتكبر والعناد** ومجاراة الاقران والصحبة السيئة والفراغ الزائد، دور في التلاعب بالألفاظ، فمن أجل التشبع بالجاه أو إضحاك الناس تطلق الألفاظ التي لا توافق شرعا ولا تبني مجتمعا نظيفا. فنحن نرى أن واقع الناس بالنسبة للألفاظ ليس مرضيا ولا متوافقا مع شريعة الله عز وجل، مما يقتضي مزيد عناية بالأمر.

فمن بين الأخطاء الشائعة في الألفاظ، نجد في أبواب العقيدة والعبادة أخطاء جسيمة، بعضها فيه شرك مع الله عز وجل، كالحلف بالشرف أو العرض أو الوطن، وبعضها فيه اعتداء على حق الله سبحانه وتعالى، وبعضها فيه اعتداء على ذات الله سبحانه وتعالى، وبعضها فيه عدم قدر الله حق قدره سبحانه.

1 البخاري في الرقاق باب حفظ اللسان رقم ٦٤٧٧

وكثير ممن انحرف عن شرع الله عز وجل يعمد إلى تغيير مسميات الأشياء المحرمة، وذلك للتحايل على الناس والتلبيس عليهم، وإيهامهم بحل ما حرم الله عز وجل، والقاعدة في ذلك أن تغيير المسمى لا يغير حقيقة الشيء، فقد تحايل بنوا إسرائيل على الشحم حين حرم عليهم فإذا أبوه وباعوه وأكلوا ثمنه، فكانت النتيجة أن لعنهم الله عز وجل على لسان النبي محمد عليه وسلم، فعن جابر بن عبد الله: أنه سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يقول عام الفتح وهو بمكة: إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ؟ فقال لا هو حرام، ثم قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – عند ذلك قاتل الله اليهود إن الله عز وجل لما حرم عليهم شحومها أجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه[1].

إن الربا لا يكون حلالا وإن سمي فائدة، والمحلل لا يسمى زوجا وإن عقد، والزنا ليس زواجا وإن كان في صورته، والرشوة ليست هي الهدية وإن أخذت صورتها... .. وإن تسمية الأشياء والعقود بغير أسمها لا يخرجها عن حقيقتها، ولو زينت بألف حلة، فإذا أردنا العلاج على المستوى العام فلا بد من إزالة كل ما سبق من عوائق من طريق اللفظ الصحيح، واستبدالها بألفاظ ومصطلحات ومفاهيم إسلامية صحيحة تحمل رسائل إيجابية في مضمونها، وعلى المستوى الشخصي فبإزالة تلك الأسباب، والابتعاد عنها قدر المستطاع حتى نحمي أنفسنا ولو جزئيا من غول التغريب وسيء القول.

---

١ مسلم في البيوع باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام ج٣ص١٢٠٧رقم ١٥٨١ وعنده عن عمر و أبي هريرة ايضا

الفصل الثاني

أهداف المنهج النبوي في التقويم ووسائله وخصائصه

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: أهداف تقويم الألفاظ والمفاهيم.

المبحث الثاني: أساليب تقويم الألفاظ والمفاهيم.

المبحث الثالث: خصائص المنهج النبوي في التقويم.

المبحث الأول:

أهداف تقويم الألفاظ والمفاهيم

يمكن استخلاص مجموعة من الأهداف التي أراد النبي -صلى الله عليه وسلم - غرسها في المجتمع من خلال تقويم الألفاظ والمفاهيم، وهذه الأهداف كلها مستمدة من حديثة عليه الصلاة والسلام في تغييره للألفاظ والمفاهيم، وتقسم هذه الأهداف إلى أربعة مجالات سأجعل كل واحد منها في مطلب مستقل.

الأول: فيما يتعلق بالعقيدة والعبادة، ويتضمن هدفين هما؛ تنقية العقيدة مما يشوبها، والنفاذ إلى جوهر العبادة.

الثاني: فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية، ويتضمن هدفين هما؛توثيق العلاقات الاجتماعية، وإشاعة معاني الخير في المجتمع.

الثالث: فيما يتعلق بالأثر الحسي والنفسي، ويتضمن هدفين هما؛مراعاة الأثر الحسي، ومراعاة الأثر **النفسي للفظ.**

الرابع: فيما يتعلق بالأدب والأخلاق، ويتضمن هدفين هما؛ تنمية الذوق، وبناء الأخلاق الحميدة

المطلب الأول

أهداف التقويم فيما يتعلق بالعقيدة والعبادة

أولا: تنقية العقيدة

يعتبر هذا الهدف أبرز أهدافه عليه الصلاة والسلام في تقويمه للألفاظ والمفاهيم، وقد كانت رسالة جميع الأنبياء لتنقية التوحيد وإزالة ما علق به من غبار الجاهلية، فقد أراد عليه الصلاة والسلام أن تكون العلاقة بين العبد وبين ربه سبحانه قائمة على أسس واضحة، أساسها اعتراف العبد بسمات العبودية تجاه خالقه؛ من الخضوع

والتضرع والضعف وغيرها. كما على العبد أن يستشعر ويقر أن الرب سبحانه له صفات الكمال المطلق، ثم يجعلها منطلقا لسلوكه قولا وعملا.

لذا فإن أي اعتداء صريح أو ضمني على صفات الربوبية أو حقوق الله سبحانه كان يسعى عليه الصلاة والسلام لتغييره مباشرة، ومن ذلك مبادرته لتغيير أي لفظ يشعر بالإشراك بالله عز وجل، ففي حديث ابن عباس: أن رجلا قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – ما شاء الله وشئت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده [1]، والسبب أن الواو يشرك بين المعنيين وليس هذا من الأدب، بالإضافة إلى أن فيه التشريك في المشيئة. فأراد عليه الصلاة والسلام أن يبين للرجل أن المشيئة المطلقة لله وحدة، وأنه لا يشاركه أحد في ذلك حتى لو كان أفضل الخلق طالما أنه مخلوق.

ونهى عليه الصلاة والسلام عن الحلف بالكعبة تأكيدا للمعنى السابق، فقد روى النسائي وغيره أن يهوديا أتى النبي –صلى الله عليه وسلم – فقال: إنكم تندون وإنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي –صلى الله عليه وسلم – إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولون ما شاء الله ثم شئت[2].

وقد أنكر عليه الصلاة والسلام على من قال له من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط، تشبها بالمشركين في اعتقادهم أن الشجرة قد تنفع أو تضر من دون الله، فقد روى أبو واقد الليثي رضي الله عنه: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – لما خرج إلى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي –صلى الله عليه وسلم

---

١ أحمد في المسند رقم ١٨٣٩ وقال شعيب الارنؤوط: صحيح لغيره. والبخاري في الأدب المفرد ج١ص٢٧٤ رقم٧٨٣و قال الشيخ الألباني صحيح. وترجم البخاري باب لاَ يَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَهَلْ يَقُولُ أَنَا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ عند حديث ٦٦٥٣

٢ النسائي في الأيمان والنذور باب الحلف بالكعبة بهذا اللفظ ج٧ص٦رقم ٣٧٧٣و قال الشيخ الألباني: صحيح

– سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم[1].

ومنه إنكاره الشديد بل الوصف بالكفر لمن ينسب شيئا من فعل الله عز وجل إلى غيره سبحانه، فعن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم – صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب.[2].

قال ابن عبد البر من قال مطرنا بنوء كذا وهو يريد أن النوء أنزل الماء، كما كان بعض أهل الشرك من أهل الجاهلية يقول فهو كافر حلال دمه إن لم يتب[3]

ونهى عليه الصلاة والسلام عن سب الدهر لأن الله سبحانه هو الذي يصرف الحوادث في الدهر، فمن سب الدهر فكأنما سب مسبب الحوادث في الدهر وهو الله سبحانه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما[4]

---

١ أحمد رقم ٢١٨٩٧وقال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والترمذي رقم ٢١٨٠ وقال هذا حديث حسن صحيح و أبو واقد الليثي اسمه الحارث بن عوف وفي الباب عن أبي سعيد و أبي هريرة وقال الشيخ الألباني: صحيح، وأخرجه ابن حبان ٦٧٠٢ ج١٥ص٩٤ قال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وقال ابن الأثير في النهاية في معنى ذات أنواط ج٥ ص ٢٦٩: هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم أي يعلقونه بها ويعكفون حولها فسألوه أن يجعل هم مثلها فنهاهم عن ذلك.

٢ البخاري في الاذان باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم رقم٨٤٦ ورقم ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣ ومسلم في الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ج١ص٨٣ رقم ١٢٥، وأبو داودج٢ص٤٠٨ رقم ٣٩٠٦ وقال الألباني صحيح ورواه غيرهم من اصحاب الصحاح والسنن.

٣ ابن عبد البر، التمهيد ج١٦ص ٢٨٥

٤ البخاري في الأدب باب لا تسبوا الدهر رقم ٦١٨٢، ٦١٨١ ومسلم واللفظ له في الألفاظ من الأدب باب كراهة تسمية العنب كرما رقم ٢٢٤٧

ونهى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقال للمنافق سيد، فقال: لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل[1]. وذلك والله أعلم أن لفظ السيادة فيه إشعار بالعزة، والمنافق لا ينبغي أن يكون كذلك، والسيد مطاع والمنافق لا يطاع، والسيد يخضع له، والمنافق ليس أهلا لذلك[2].

وبين عليه الصلاة والسلام أن أخنع الأسماء عند الله عز وجل رجل تسمى ملك الأملاك[3]. إذ أن هذا الوصف لا ينبغي أن يكون الا لله سبحانه وتعالى، فإذا أطلق على إنسان مهما كانت رتبته، فكأنه يضع نفسه بمصاف الإلوهية، وأنى له ذلك؟

وهكذا نرى أن أحد أهم الأهداف في تغيير الألفاظ والأسماء هو الحفاظ على صفاء العقيدة. وخلوص التوحيد لله عز وجل، وأن لا يرفع الإنسان نفسه إلى مقامات الألوهية أو ما شابهها، وليكون الإنسان في كل شأنه مستمدا وطالبا منه وحده العون والتوفيق والسداد.

---

١ أحمد في المسند رقم ٢٢٩٤٠ وقال شعيب الارنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين وقتادة – وهو ابن دعامة السدوسي – لا يعرف له سماع من عبد الله بن بريدة كما قال البخاري في التاريخ الكبير ٤ / ١٢ وقال الترمذي في السنن بأثر الحديث ٩٨٢: قال بعض أهل العلم: لا نعرف لقتادة سماعا من عبد الله بن بريدة. قلنا (الارناؤوط): ومع ذلك فقد صحح إسناده المنذري في الترغيب والعراقي في تخريج الاحياء والنووي في الأذكار، وأخرجه أبو داود في الأدب باب لا يقول المملوك.. . رقم ٤٩٧٧ و قال الشيخ الألباني: صحيح، والبخاري في الأدب المفرد ج١ص، ٢٦٧ والحاكم ج٤ ص٣٤٧ وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

٢ انظر عون المعبود ج١٣ ص٢٢٠

٣ البخاري في الأدب باب أبغض الأسماء إلى الله رقم ٦٢٠٥ عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، وأخرجه مسلم في الاداب باب تحريم التسمي بملك الأملاك وملك الملوك ج٣ص ١٦٨٨ رقم ٢١٤٣ ولفظ مسلم: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، قال مسلم وزاد ابن أبي شيبة في روايته (لا مالك الا الله عز وجل، و قال سفيان مثل شاهان شاه وقال أحمد بن حنبل سألت أبا عمرو عن أخنع ؟ فقال أوضع)انتهى من صحيح مسلم

ولما كان عهده صلوات الله وسلامه عليه قريب من عصر الجاهلية، فقد وجدت ألفاظ معينة كانت امتدادا لما كان الأمر عليه في الجاهلية، لذا فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يغير هذه الألفاظ، لكي يقطع الصلة بين المسلم وكل ما يذكره بجاهليته من أمور مخالفة للشرع.

ومن ذلك أنه نهى عليه الصلاة والسلام عن التهنئة بالرفاء والبنين، لأنها تهنئة الجاهلية وذلك أنهم كانوا يهنئون بالبنين دون البنات، فعندما تزوج عقيل بن أبي طالب امرأة من بني جثم فقيل له بالرفاء والبنين قال: قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بارك الله فيكم وبارك لكم [1]، قال ابن المنير الذي يظهر أنه –صلى الله عليه وسلم – كره اللفظ لما فيه من موافقة الجاهلية لأنهم كانوا يقولونه تفاؤلا لا دعاء[2]

ومن ذلك أيضا أنه قال لمن قال له عليك السلام، لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى، ونهى عن تسمية العنب كرما لأن الجاهلية كانت تسمي العنب الذي يتخذ منه الخمر كرما، للوصول إلى أن الخمر أم المكارم، بعكس ما كان عليه الحال عند المسلمين حيث اعتبروا الخمر أم الخبائث.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم – لأبي ذر عندما عير رجلا بأمه، أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية، أي أن هذه الصفات هي صفات الجاهلية التي أنعم الله عز وجل على المسلمين بتركها إلى ما هو خير.

---

١ أحمد في المسند رقم ١٧٣٨و١٧٣٩و١٥٧٤٠ وقال شعيب الارنؤوط: صحيح لغيره، والنسائي في النكاح باب كيف يدعى للرجل إذا تزوج ج٦ص ١٢٨ رقم ٣٣٧١ وقال الألباني: صحيح، و قال ابن حجر في الفتح ج٩ص٢٢١ورجاله ثقات الا أن الحسن لم يسمع من عقيل فيما يقال، وقال "والسنة في الدعاء للمتزوج، ما أخرجه أصحاب السنن وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبي ه عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفأ إنسانا قال بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير"

٢ ابن حجر فتح الباري ج٩ص٢٢١

وفي حديثه عليه الصلاة والسلام ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية[1] بيان واضح في أن من مقاصد النبي -صلى الله عليه وسلم- قطع صلة المسلم بالجاهلية في جميع الأبواب حتى الألفاظ والمفاهيم.

ثانيا: النفاذ إلى جوهر العبادة

شرع الله عز وجل من أنواع العبادات ما يعين الإنسان على التقرب من خالقه، وتوثيق علاقته بربه عز وجل. وجعل تمام الانتفاع من العبادة في الدنيا والآخرة موقوف على شروط معنية بعضها متعلق باللفظ.

إن تمام الانتفاع بفريضة الحج واكتمال الأجر منها، موقوف على ترك الرفث والفسوق كما قال عليه السلام: من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه[2]، وهذا بيان لقوله سبحانه: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ} (١٩٧) سورة البقرة.

وفريضة الصيام تتطلب من صاحبها ترك أنواع من الأذى اللساني لقوله عليه السلام: من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه[3]، وقوله عليه السلام: والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم.[4] تذكيرا لنفسه ولخصمه بأن الصيام يمنع من مثل هذه الأفعال.

وفي شأن الصدقات قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

---

١ أخرجه البخاري في الجنائز باب ليس منا من شق الجيوب رقم١٢٩٤وبرقم أطرافه ١٢٩٧، ١٢٩٨، ٣٥١٩و مسلم في الإيمان باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب رقم ١٠٣

٢ أخرجه البخاري في الحج باب فضل الحج المبرور رقم ١٨١٩ ورقم ١٥٢١، ١٨٢٠و أخرجه مسلم في الحج باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة بنحوه رقم ١٣٥٠عن أبي هريرة

٣ أخرجه البخاري في الصوم باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم. رقم ١٩٠٣ وبابا قول الله تعالى واجتنبوا قول الزوررقم٦٠٥٧

٤ أخرجه البخاري في [illegible] باب هل يقول إني صائم إذا شتم ١٩٠٤، ومسلم في الصوم باب حفظ اللسان للصائم [illegible] رقم ١٦٠

صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (٢٦٤) سورة البقرة.

وأرشد النبي عليه الصلاة والسلام إلى جملة من الأمور، من شأنها جعل العبد يستكثر من العبادة ويعرف طرق الاستفادة منها و تحقيق ثمرتها، فبين أن كل ما يفعله المسلم من خير يبتغي به وجه الله فإنه صدقة، فعندما اشتكى الفقراء إليه أنهم لا يجدون ما يتصدقون به قال لهم أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا[1]، فغير النبي -صلى الله عليه وسلم- المفهوم عن الصدقة، وأنها لا تقتصر على جانب دون أخر ووسع دلالتها لتشمل كل معروف.

وعندما سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عائشة عن الشاة قالت: قلت يا رسول الله ما بقي الا كتفها، قال كلها قد بقي الا كتفها[2]، فهذا المعنى الجديد فيه تغيير لمفهوم ما يبقى وما يذهب، فما كان لله فهو الباقي وما كان لغيره فهو الذاهب.

وفي باب الذكر روى مسلم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال: سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون ؟ يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات[3].

وفي الدعاء فقد صحح عليه الصلاة السلام ألفاظا ومفاهيم متعلقة به حتى يكون مشروعا مستجابا، فقال مثلا إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن

---

١ مسلم في الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ج٢ص ٦٧٩رقم ١٠٠٦

٢ أحمد في المسند رقم ٢٤٢٤٠وقال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين

٣ مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى ج٤ ص٢٠٦٢رقم ٢٦٧٦

شئت فأعطني فإنه لا مستكره له[1]. وحتى يكون الدعاء موافق للشرع فقد نهى النبي عليه الصلاة السلام عن تمنى الموت بقوله: لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، وأرشد إلى أنه إن كان لا بد فاعلا فليقل. اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي[2]

ومن المفاهيم بالغة الأهمية التي صححها عليه الصلاة والسلام، المفهوم الشامل لمعنى العبادة في حديث النفر الثلاثة، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم - ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني[3].

المطلب الثاني:

الأهداف فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية

تعد العلاقات الاجتماعية أحد أهم مقومات المجتمع، ولا يمكن أن تستقر حياة الناس بدون علاقات اجتماعية وثيقة، وقد أرسى النبي عليه الصلاة والسلام

١ البخاري في الدعوات واللفظ له باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له رقم ٦٣٣٨ورقم٧٤٦٤، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت رقم ٢٦٧٨": أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه"

٢ البخاري باب نهي تمني المريض الموت رقم ٥٦٧١ورقم٦٣٥١، ٧٢٣٣، و أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة باب كراهة تمني الموت لضر نزل به ج١ص ٣٨٧رقم٢٦٨٠.

٣ البخاري في [illegible] الترغيب في النكاح رقم ٥٠٦٣م ومسلم في النكاح باب استحباب النكاح ٢٧٣٢.

هذه العلاقات وبصور مختلفة، ومن أهداف النبي -صلى الله عليه وسلم - في تقويمه للألفاظ ما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية ومنها:

أولا: توثيق العلاقات الاجتماعية

حرص النبي -صلى الله عليه وسلم - على بناء مجتمع قوي متماسك، سليم المعتقد، صحيح التوجه، يعرف مقصده وأهدافه من خلال وسائل عدة، من بينها تقويم وتصحيح الألفاظ والمفاهيم، وذلك لما للفظ الطيب من أثر في توثيق العلاقات، وما للسيء من أثر سلبي يهدم العلاقات الاجتماعية.

نجد مفاهيم كثيرة أوجدها النبي -صلى الله عليه وسلم - لم تكن موجودة، أو قومها النبي -صلى الله عليه وسلم - لتسهم في بناء المجتمع المنشود. وذلك حتى يكون المجتمع متناصرا، يحقق لأفراده السلامة ويؤخذ الحق فيه للضعيف من القوي، ويمنع القوي فيه من ظلمه، قال عليه السلام: انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال تأخذ فوق يديه[1]. فمفهوم نصرة الظالم بأن يأخذ المجتمع على يديه، ويمنعه من ظلمه يعد جديدا على المجتمع الوليد الناشئ.

وحذر النبي -صلى الله عليه وسلم - من الإفلاس المعنوي، موجها المجتمع إلى أن المفلس الشرعي هو الذي يؤذي المجتمع ويسعى فيه بالفساد، فقال: أتدرون ما المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار[2].

١ البخاري كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالما أو مظلومارقم٢٤٤٣ ورقم ٦٩٥٢ وفسر النصربقوله عليه الصلاة والسلام (تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره)

٢ مسلم في البر والصلة والاداب باب تحريم الظلم ج٤ ص١٩٩٧ رقم ٢٥٨١

وأرشد العقلاء إلى السعي بين الناس في الإصلاح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى يارسول الله قال إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة[1] .

والربا في الأموال من جملة المعاصي التي تفسد في المجتمع وتسعى فيه بالخراب، الا أن النبي عليه الصلاة والسلام أشار إلى ما هو أخطر من ربا المال، وهو الربا في الأعراض حيث سماه أربى الربا فقال: إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق[2].

ولما كانت هناك مجموعه من الصفات الذميمة التي تنهك المجتمع إذا سادت فيه كالغضب، فقد بين عليه الصلاة والسلام بأن من مظاهر قوة الشخص أن يملك نفسه عند الغضب، وليس الذي يصرع الرجال هو الصرعة ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب، فقال صلى الله عليه وسلم: ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب[3].

---

١ أبو داود في الأدب باب في اصلاح ذات البين ج٢ ص٦٩٧ رقم٤٩١٩ واللفظ له وقال الألباني صحيح و رواه الترمذي من طريقين ج٤ص ٦٦٣رقم. ٢٥٠٨و٢٥٠٩وقال في الأول" هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ومعنى قوله وسوء ذات البين إنما يعني العداوة والبغضاء وقوله الحالقة يقول إنما تحلق الدين" وقال في الثاني " هذا حديث صحيح ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين" وقال الألباني في الأول حسن وفي الثاني صحيح واخرجه أحمد رقم. ١٤٣٠وغيره وقال الارنؤوط اسناده صحيح، وابن حبان رقم ٥٠٩٢ وقال الارنؤوط: اسناده صحيح على شرطهما. كلهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه

٢ أحمد رقم ١٦٥١ وفيه زيادة بلاغا وفيه الحديث السابق وقال الارنؤوط: أما القسم المرفوع منه فإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير نوفل بن مساحق. ورواه أبو داود في الأدب واللفظ له باب في الغيبة ج٢ ص٦٨٥ رقم ٤٨٧٦ وقال الشيخ الألباني: صحيح. وفي مجمع الزوائد رقم ١٣٤٤٥ قال الهيثمي رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير نوفل بن مساحق وهو ثقة.

٣ البخاري في الأدب باب الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ رقم٦١١٤ ومسلم في البر والصلة والاداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب رقم ٢٦٠٩، قال ابن حجر في الفتح ج١ ص١٤٣ قوله" الصرعة بضم الصاد وفتح الراء وهو الذي يصرع الناس بقوته وقيل للذي يملك نفسه عند الغضب صرعة لأنه قهر أقوى أعدائه نفسه وشيطانه".

وفي قصة أبي ذر – رضي الله عنه – عن المعرور قال لقيت أبا ذر بالربدة وعليه حلة وعلى غلامه حله، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابيت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرو فيك جاهلية. إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم[1] فقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يقطع صفات السب والشتم والتعيير من أخلاق المسلمين بأن وصفها بالجاهلية، ولا ينبغي لمسلم أن يتخلق بأخلاق الجاهلية أو ببعضها.

وفي علاقة المسلم بعبده، كره النبي عليه الصلاة والسلام أن يقال للرقيق عبد وأمة فقال: لا يقل أحدكم أطعم ربك، وضئ ربك، اسق ربك، وليقل سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي[2]، وفي رواية لمسلم: لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله، ولكن ليقل فتاي، ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي[3]، لتكون العلاقة حتى مع الرقيق علاقة محبة ومودة وصفاء فإذا كان اللفظ يوحي بالاستعلاء أو التطاول والكبر فيجب أن يستبدل بغيره.

وفي علاقة الرجل بزوجته؛ نهى عليه الصلاة والسلام أن يقول رجل لزوجته: قبحك الله فقد سئل عليه الصلاة والسلام: ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت أو اكسبت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت. [4]

---

١ البخاري في الإيمان واللفظ له باب المعاصي من أمر الجاهلية ج١ص٢٠ رقم ٣٠ورقم ٢٥٤٥، ٦٠٥٠ و مسلم في الإيمان والنذور باب إطعام المملوك مما يأكل ج ٣ص ١٢٨٢ رقم ١٦٦١

٢ البخاري في العتق باب كراهية التطاول على الرقيق رقم ٢٥٥٢

٣ مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة ج٤ص١٧٦٤ رقم ٢٢٤٩

٤ أحمد في أكثر من موضع من المسند منها رقم ٢٠٠١١ جزء من حديث طويل – وقال شعيب الارنؤوط: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الصحيح غير حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري وهو صدوق حسن الحديث، ورقم ٢٠٠١٣ وقال الارنؤوط: إسناده حسن. وأبو داود، في النكاح باب في حق المرأة على زوجها رقم ٢١٤٢ و٢١٤٣ و٢١٤٤، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح

قال أبو داود: ولا تقبح أن تقول قبحك الله، وفي الشرح: ولا تقبح الوجه بتشديد الموحدة أي لا تقل إنه قبيح، أولا تقل قبح الله وجهك، أي ذاتك فلا تنسبه ولا شيئا من بدنها إلى القبح، الذي هو ضد الحسن لأن الله تعالى صور وجهها وجسمها، وأحسن كل شيء خلقه وذم الصنعة يعود إلى مذمة الصانع[1].

وتقدم حديث النهي عن قول سيد للمنافق لأن المنافق جسم غريب غير منسجم في المجتمع، ولكلمة سيد دلالة تشعر قائلها بالاستضعاف والمهانة، ولا يجوز لمسلم أن يكون ضعيفا بين المنافقين، كما أن كلمة السيد تتضمن معنى الطاعة وليس للمنافق طاعة.

ثانيا: إشاعة الخير وتضييق مسالك الشر.

يوجه الشرع إلى تعميم كل ما فيه الخير والنفع ويحث على نشره بين الناس، ويحارب ويضيق كل ما فيه نشر للشر والفاحشة، سواء أكان ذلك في الأقوال أو الأفعال. وقد قال -صلى الله عليه وسلم - محذرا من نشر الفاحشة والاستهتار بذكرها: كل أمتي معافى الا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه[2]. وذلك من أجل أن لا يتجرأ الناس على المعصية ويستهينوا بها، فتبقى مغمورة، وتعالج في أوكارها دون تضخيم لها.

ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام من قال هلك الناس فهو أهلكهم لأن من يقول مثل هذا القول إنما ينخر في جسم المجتمع، ويدب الوهن والضعف في قلوب الناس ونفوسهم، وكان عليه أن يعمل بصمت فيقوي الخير وأهله ويدفع الشر وأهله، ورغم قلة عدد المصلحين وكثرة الفساد فيما بين الناس، فإن الفئة الملتزمة بدينها تسعى دائما لإصلاح ما يمكن وبالوسائل المشروعة، وترجو أن تكون

---

١ العظيم آبادي عون المعبود ج٦ص ١٢٨

٢ البخاري في الأدب باب ستر المؤمن على نفسه٦٠٦٩، و مسلم في الزهد والرقائق باب النهي عن هتك الإنسان [illegible]

من الطائفة المنصورة التي قال عنها عليها السلام: لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون[1].

وقال عليه السلام: انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما ؟ قال تأخذ فوق يديه[2]، وقال ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها[3]، ولا تزال تحية المسلمين فيما بينهم كلمة – السلام عليكم- التي فيها نشر للخير وتعميم لمبادئه فيما بين بعضهم البعض.

وقد كره النبي -صلى الله عليه وسلم - الأسماء التي تحمل معاني الشر، كحرب ومرة[4]، لما فيها من إشاعة مصطلحات ومفاهيم تذكر الناس بالشر والحرب والمرار وغيره، وبالمقابل فقد استحب -صلى الله عليه وسلم - الأسماء ذات الدلالة الإيجابية الحسنة ومنه عبد الله وعبد الرحمن فقال إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن[5].

وحتى في تأويله -صلى الله عليه وسلم - للرؤى، كان يحرص على تأويلها على معاني تؤكد على النفع والخير والصلاح، ففي رؤيا قصها النبي على أصحابه أنه

---

١ البخاري واللفظ له في مواضع متفرقة منها في الاعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم ٧٣١١. ومسلم في الامارة باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة ج٣ص١٥٢٣ رقم ١٩٢١ ورقم ١٩٢٠ بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)

٢ البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما٢٤٤٣و٦٩٥٢ وفسر النصر بقوله عليه الصلاة والسلام: (تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره)

٣ البخاري في الأدب باب ليس الواصل بالمكافىء ٥٩٩١

٤ أبو داود، في الأدب، باب في تغيير الأسماء رقم٤٩٥٠ عن أبي وهب الجشمي وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة قال الشيخ الألباني: صحيح دون قوله تسموا بأسماء الأنبياء والبخاري في الأدب المفرد ج١ص٢٨٤رقم ٨١٤

٥ مسلم في الأدب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم رقم ٢١٣٢ ج٣ ص ١٦٨٢

قال رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة وأن ديننا قد طاب[1]، فالتأويل بهذا المعنى له دلالات أبرزها أن معاني الخير والرفعة والطيبة هي التي ينبغي أن تنتشر في نفوس الناس وتفكيرهم، على عكس ما يمكن أن نراه اليوم في واقعنا، حيث يتناقل الناس قصص اللؤم والشؤم ورسائل الغزل والعبث، إمعانا في إبعاد الناس عن صلتهم بدينهم وسلامة معتقداتهم وأخلاقهم.

المطلب الثالث

مراعاة الأثر النفسي والحسي للألفاظ والمفاهيم

أولا: مراعاة الأثر النفسي للألفاظ والمفاهيم

من الأهداف الأصيلة التي سعى النبي عليها السلام لنشرها بين المسلمين الصحة النفسية والمقصود بها حالة دائمة نسبيا، يكون فيها الفرد متوافقا نفسيا ويشعر بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين ويكون قادرا على تحقيق ذاته، واستغلال قدراته وإمكاناته، إلى أقصى حد ممكن، ويكون قادرا على مواجهة مطالب الحياة، وتكون شخصيته متكاملة سوية ويكون سلوكه عاديا بحيث يعيش في سلامة وسلام(٢). وقد كان من مقاصد نبينا -صلى الله عليه وسلم- من خلال تقويم بعض الألفاظ أو المفاهيم أو الأسماء، بناء الصحة النفسية ومعالجة مشكلاتها.

ومن ذلك أنه كان ينشر خلق التفاؤل من خلال الأسماء الحسنة، والكلام الحسن، حيث كان يعجبه الاسم الحسن، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتفاءل ولا يتطير ويعجبه الاسم الحسن[3]، وعندما

---

١ مسلم في الرؤيا، باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ج٤ص١٧٧٩رقم ٢٢٧٠

٢ حامد زهران، الصحة النفسية والعلاج النفس، ص ٩، نقلا عن رسالة الأحاديث الواردة في الصحة النفسية إعداد محمد حسين أحمد. إشراف د. باسم الجوابرة، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٢.

٣ أحمد، رقم ٢٣٢٨ وقال شعيب الارنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم ورقم ٢٧٦٦ وقال الارنؤوط: حسن لغيره، وابن حبان ج١٣ص ١٣٩ رقم ٥٨٢٥ وقال شعيب الارنؤوط: إسناده [illegible] من الإنقطاع بين جرير وبين عبد الملك رجاله ثقات رجال [illegible]

جاءه سهيل بن عمرو في صلح الحديبية قال: لقد سهل لكم من أمركم[1]، من باب التفاؤل ونشر السعادة في النفوس، والابتعاد عن التشاؤم الذي يورث الهم والحزن، اللذين استعاذ منهما صلى الله عليه وسلم.

وأراد النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يتجاوز الناس عن صفات سلبية من خلال ألفاظ معينة يطلقونها، كقول هلك الناس فقال عليه السلام: إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم[2]. وورويت أهلكهم على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها والرفع أشهر، فمعناه بالرفع أي أنه أكثرهم هلاكا أو أشدهم، لما فيه من العجب بالنفس والكبر الممقوت. وبالفتح أي هو سبب هلاكهم[3]، فكأنه لما أشاع بين الناس أن الهلاك واقع بهم، أسهم في الإسراع في نشر القبائح بين الناس والاستهانة بالمعصية والجرأة عليها -سواء قصد أو لم يقصد -فوقع في الهلاك الذي هو من جنس عمله.

ونهى عليه الصلاة والسلام عن قول خبثت نفسي، واستبدله بما يعبر عن المعنى ولا يتضمن الأوصاف السلبية، وهو قول لقست، فقال -صلى الله عليه وسلم - لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست نفسي[4]، ورغم أن لقست وخبثت بمعنى واحد، لكن كره معنى الخبث لبشاعة الاسم، وعلم أصحابه الأدب،

تعليقا وهو ثقة، و ترجم البخاري في الأدب المفرد تفقها " باب كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الاسم الحسن"ج١ص٢٨٣، وفي مجمع الزوائدج٨ص٧٢رفم ١٢٨٢٧ قال الهيثمي رواه أحمد والطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف بغير كذب، وصححه الألباني في الجامع الصغير رقم ٩٠٣٥ وفي صحيح الجامع رقم ٤٩٠٤. قلت والشواهد العامة له كثيرة

١ البخاري، في الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط رقم ٢٧٣١ عن عكرمة انه لما جاء سهيل... وهو مرسل وقال ابن حجر وله شاهد موصول من حديث سلمة ابن الاكوع رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة. قلت برقم ٣٦٨٥١ ج٧ص٣٨٥

٢ مسلم كتاب البر والصلة، باب النهي عن قول هلك الناس ج٤ص٢٠٢٤ رقم (٢٦٢٣)

٣ النووي، شرح صحيح مسلم، في شرح الحديث السابق ص١٥٦٠ ط دار الافكار الدولية

٤ البخاري كتاب الأدب، باب لاَ يَقُلْ خَبُثَتْ نَفْسِي رقم٦١٧٩و ٦١٨٠ و، أخرجه مسلم، في الألفاظ من الأدب باب كراهة قول الإنسان خبثت نفسي رقم ٢٢٥٠

واستعمال اللفظ الحسن وهجران الخبيث[1]، كما أن لفظ الخبث يوحي بمعان سلبية كثيرة كالشر والسوء والهم والحزن تخلو منها كلمة لقست.

ومن أجل أن يكون الإنسان فاعلا إيجابيا لا يعيش في أوهام الماضي وأحزانه، فقد نهى عليه الصلاة والسلام عن لو، التي فيها اعتراض على القدر، أو القول بغير علم، أو التي تدعو إلى القعود والتكاسل، فقال صلى الله عليه وسلم: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان[2].

وكره النبي -صلى الله عليه وسلم- اسم العقيقة، واستبدل اسمها بكلمة النسيكة، كما روى عمرو بن شعيب عن أبي ه عن جده سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن العقيقة فقال لايحب الله العقوق كأنه كره الاسم، وقال من ولد له ولد فأحب أن ينسك عنه فلينسك عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة[3]، وذلك لأن لفظ العقوق يوحي بالقطيعة، فيخشى أن يكون له آثار سلبية على النفس.

وجاءه رجل مسلما فقال عليك السلام يا رسول الله فقال: لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى[4]، والمعنى من الحديث أن عادة العرب هي تقديم الخبر على المبتدأ في السلام على الأموات، والسلام خالص للأحياء، فكره عليه الصلاة والسلام هذا النوع من السلام، حتى لا يكون كالدعاء على المسلم عليه بالموت بعرفهم.

---

١ ابن حجر، الفتح ج١٠ ص٥٦٣

٢ مسلم، في القدر، باب في الامر بالقوة وترك العجز والستعانة بالله وتفويض المقادير اليه رقم ٢٦٦٤

٣ أحمد، رقم ٦٧١٣ و٦٨٢٢ وغيره، قال شعيب الارنؤوط: إسناده حسن، وأبو داود في الضحايا باب في العقيقة رقم ٢٨٤٢ وقال الشيخ الألباني: حسن، والنسائي في العقيقة باب ١رقم ٤٢١٢وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح كلهم من طريق داود بن قيس عن عمرو بن شعيب عن أبي ه عن جده

٤ أحمد في المسند، رقم ١٥٩٩٥ وقال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، وأبو داود في الأدب باب كراهية ان يقول عليك السلام ج٢ص٧٧٤ رقم ٥٢٠٩ واللفظ له قال الشيخ الألباني صحيح [illegible]

قال ابن القيم رحمه الله وقد أشكل هذا الحديث على طائفة، وظنوه معارضا لما ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - في السلام على الأموات بلفظ السلام عليكم بتقديم السلام، فظنوا أن قوله عليك السلام تحية الموتى إخبار عن المشروع، وغلطوا في ذلك غلطا أوجب لهم ظن التعارض، وإنما معنى قوله عليك السلام تحية الموتى إخبار عن الواقع لا المشروع، أي أن الشعراء وغيرهم يحيون الموتى بهذه اللفظة كقول قائلهم:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فكره النبي -صلى الله عليه وسلم - أن يحيا بتحية الأموات، ومن كراهته لذلك لم يرد على المسلم بها[1].

وأمر النبي عليه الصلاة والسلام بإطلاق كلمة الكرم على قلب المؤمن أو على المؤمن ذاته. ونهى عن إطلاقها على العنب فقال: لا تسموا العنب الكرم فإن الكرم الرجل المسلم.[2] وذلك لأن كلمة الكرم تجمع معاني الخير وخصاله الكثيرة، وكانت الجاهلية يطلقون على العنب يصنع منها الخمر كرما، لأنها تحث على الكرم ومحاسن الأخلاق بزعمهم فكره النبي عليه الصلاة والسلام أن يقال للخمر المحرمة الكرم، وكان الأولى بهذه التسمية هو المؤمن لأنه مصدر للكرم والأخلاق الحسنة[3].

والغنى المعروف بين الناس هو كثرة المال بشتى أنواعه، ومن ليس كثير المال فإنه فقير، والفقر يشعر بالمذلة، وليس كل الناس أغنياء، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يغير مفهوم الغنى، أو يجعل له بديلا يجده كل أحد إن أراد، فقال عليه السلام: ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس[4]. فكثير المال الذي لا يتجمل

---

١ ابن القيم، زاد المعاد، ج ٢ص ٣٨٤ مؤسسة الرسالة ط٣ ١٩٩٨

٢ البخاري، في الأدب، رقم٦١٨٣ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما الكرم قلب المؤمن) عن أبي هريرة قال عليه الصلاة والسلام بلفظ "ويقولون الكرم إنما الكرم قلب المؤمن"، و مسلم واللفظ له في الألفاظ من الأدب باب كراهة تسمية العنب كرما رقم ٢٢٤٧

٣ انظر فتح الباري ج١٠ ص ٥٦٧

٤ البخاري، في الرقاق، باب الغنى غنى النفس ٦٤٤٦ ومسلم في الزكاة باب ليس الغنى عن كثرة العرض ج٢ص ٧٢٦ رقم ١٠٥١

بصفات الكمال يشعر بنفسه فقيرا، والفقير المتعزز وإن كان قليل المال فإنه يستغني بعفته عن الناس وعن أموالهم، فيشعر بغناه رغم قلة ذات يده، ويلزم غيره على التعامل معه كأنه غني وهو ليس كذلك.

قال القرطبي رحمه الله: معنى الحديث ان الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غني النفس، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع، فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه، فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل، والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعا بما رزقه الله، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح في الطلب ولا يلحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له [1]

ومر النبي –صلى الله عليه وسلم– بقوم كانوا يسمون السماسرة، فقال: يا معشر التجار، فعن قيس بن أبي غرزة قال كنا في عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– نسمى السماسرة فمر بنا النبي –صلى الله عليه وسلم– فسمانا باسم هو أحسن منه فقال يا معشر التجار: إن البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدق[2]. وإنما غير النبي وصفهم لأن السمسار تابع ليس مستقل في بيعه وشرائه، فأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يربي في النفوس مبدأ الاستقلالية ونفع النفس والغير فسماهم التجار. [3]

---

١ ابن حجر، فتح الباري ج١١ ص ٢٧٢

٢ أبو داود، في البيوع، باب في التجارة يخالطها الحلف واللغو رقم ٣٣٢٦ وقال الشيخ الألباني صحيح ورواه الترمذي في البيوع باب ما جاء في التجار وتسمية النبي صلى الله عليه و سلم إياهم رقم١٢٠٨ قال أبو عيسى حديث قيس بن أبي غرزة حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح، والنسائي ج٧ص ٢٤ رقم٣٧٩٧وابن ماجة رقم ٢١٤٥ ج٢ص٧٢٦، وقال في النهاية ج٢ص٩٩٥ السمسار القيم بالامر الحافظ له وهو اسم الذي يدخل بين البائع والمشتري متوسطا لإمضاء البيع والسمسرة البيع والشراء انتهى

٣ انظر [illegible] ابن ماجة ج١ ص١٥٥ [illegible] ٣٢٧ [illegible] ١٥٠١

وجاء النبي –صلى الله عليه وسلم– حين هاجر إلى المدينة وهي تسمى يثرب، فسماه طابة، [1] لأن يثرب من التثريب وهو اللوم، وطابة وطيبة مشتقة من الطيب، كما سماها المدينة، وفيها معنى الاستقرار والثبات، تفاؤلا بهذه الأسماء، لذا فإنه يكره إطلاق يثرب على المدينة لقوله عليه الصلاة والسلام أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد[2]

وهكذا ومن خلال جملة ألفاظ ومفاهيم وأسماء غيرها النبي صلى الله عليه وسلم، ندرك أن من مقاصده جعل المجتمع بأفراده يعيشون حياة نفسية صحيحة من مفرداتها، السرور، والتفاؤل، والفاعلية، والاستقلالية، والاعتماد على النفس، وعدم الخضوع إلا لله عز وجل، ومعالجة المشكلات الفردية والاجتماعية، والاستغناء بالله عن غيره، والإيمان بالقدر وعدم الاعتراض عليه، وغيرها الكثير ما يوحي به منهجه صلوات الله وسلامه عليه.

ثانيا: مراعاة الأثر الحسي للفظ والمفهوم.

حرص النبي –صلى الله عليه وسلم– على إبعاد المسلم عن أي خسارة أو فوات منفعة له بسبب ألفاظه، سواء كان ذلك في الدنيا أو في الأخروية أو في القبر، فالمسلم إذا قدم عملا رجا نفعه الأخرويوي أو الدنيوي أو كليهما معا، أما أن يفعل فعلا أو يقول قولا ولا يعود عليه بمنفعة، أو يعود عليه بضرر فهذا غبن لا يرضاه المسلم.

ومن الألفاظ ما يترتب على قولها فوات منفعة دنيوية، وخاصة في بعض المواقف فقد ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– امرأة من العرب، فأمر أبا أسيد الساعدي أن يرسل إليها فأرسل إليها فقدمت، فنزلت في أجم بني ساعدة، فخرج

---

١ أخرجه البخاري، في أبواب فضائل المدينة باب المدينة طابة ١٨٧٢ورقم ١٤٨١، ٣١٦١، ٣٧٩١، ٤٤٢٢، ومسلم في الحج باب المدينة تنفى شرارها بلفظ إن الله تعالى سمى المدينة طابةج٢ص ١٠٠٧ رقم ١٣٨٥و باب أحد جبل يحبنا ونحبه رقم ١٣٩٢

٢ رواه البخاري، في أبواب فضائل المدينة باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس رقم ١٨٧١ ومسلم في الحج باب المدينة تنفي شرارهاج٢ ص١٠٠٦ رقم ١٣٨٢

النبي -صلى الله عليه وسلم - حتى جاءها فدخل عليها، فإذا امرأة منكسة رأسها، فلما كلمها النبي -صلى الله عليه وسلم - قالت: أعوذ بالله منك فقال قـد أعـذتك مني ، فقالوا لها أتدرين من هذا ؟ قالت: لا قالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء ليخطبك، قالت: كنت أنا أشقى من ذلك... ..[1] فقول المرأة كنت أنا أشقى من ذلك يبين حجم الخسارة التي لحقت بها، بل وبأهلها أن تركها النبي عليه السلام، فلم تكن من أمهات المؤمنين في الدنيا ولم تسعد بشرف الزواج منه، ولن تكون يوم القيامة من زوجاته بسبب هذه الكلمات.

والنذر الذي يطلقه الإنسان لا يقدم شيئا من قدر الله ولا يـؤخر، فـإذا كـان كذلك، كان محض خسارة ؛خاصة إذا كان النذر على سبيل المجازاة والمكافـأة، كـأن يقول الإنسان: إذا نجحت فسأذبح كبشا فهذا النذر لا يفيد الإنسان في نجاحه شيئا، فغرم فاعله ولم يأخذ جزاء مناسبا على غرمه.

والطلاق ثلاثا بلفظ واحد يخسر الرجل به زواجه وزوجته، فكان سنة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن أمضى الطلاق على من أوقعه ثلاثـا عقوبـة لـه على لفظه، فعن ابن عباس قال كان الطلاق على عهد رسول الله -صلى الله عليـه وسـلم - وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحـدة فقـال عمـر بـن الخطـاب إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم[2]

ومن الخسارة المعنوية، أن طلحة - رضي الله عنه - قاتل في أحد حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال: حس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلـت بـسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون[3] ويؤخذ منه أن من يطعنـه العـدو ينبغـي لـه أن يقول بسم الله أو نحو ذلك، ولا ينبغي أن يظهر التوجع، ولا يلزم من هذا أن كل مـن

١ البخاري في الاشربة، باب الشرب من قدح النبي صلى الله عليه وسلم وآنيته واللفظ لـه ٥٦٣٧ و مسلم في الاشربة باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد ولم يصر مسكرا ج٣ص ١٥٩١ رقم ٢٠٠٧

٢ مسلم في الطلاق، باب طلاق الثلاث ج٢ص١٠٩٩رقم ١٤٧٢

٣ النسائي في الجهاد، مطولا باب ما يقول من يطعنه العدو ج٦ص٢٩رقم ٣١٤٩ قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٢٧٦ في صحيح الجامع، وذكـره الـسيوطي في الجـامع الـصغير ج١ص٩٤١ رقم ٩٤٠٧. قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٢٧٦ في صـحيح الجامع

يقول بسم الله إذا طعن أو قطعت أصابعه ترفعه الملائكة، بل الظاهر أن المراد الإخبـار بما قدر لطلحة بخصوصه تقديرا مطلقا والله تعالى أعلم[1]

وقد يتسبب المسلم بسبب ألفاظه بالخسارة والألم لمن يحب، فقد أغمـي عـلى عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي: واجبلاه واكذا واكذا تعـدد عليـه فقـال حين أفاق ما قلت شيئا الا قيل لي آنت كذلك[2].. وقال عليه الصلاة والسلام: مـا مـن ميت يموت فيقوم باكيه فيقول واجبلاه ! واسيداه ! أو نحو ذلك الا وكل بـه ملكـان يلهزانه أهكذا كنت[3] ؟هذا بالإضافة إلى العقوبات الأخروية التي تترتـب عـلى اللفـظ المخالف للشرع، كما في قصة الذي قال والله لا يغفر الله لفلان.

المطلب الرابع

الأهداف فيما يتعلق بالأدب والأخلاق

أولا: تنمية الذوق

ومن خلال تقويمه للألفاظ والمفاهيم أراد عليه الـصلاة والـسلام أن ينمـي الذوق عند المجتمع المسلم، ليكون المسلم عنوان الرقي في جميع مجالاته حتى في ألفاظه وسلامه وكلامه.

ومن ذلك توجيهه عليه الصلاة والسلام للناس أن لا يغلب الاسم الأعرابي الجاف، على الاسم الشرعي، ففي تسمية صلاة العشاء، عـن عبـدالله بـن عمـر قـال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسـلم - يقـول لا تغلبـنكم الأعـراب عـلى اسم صلاتكم الا إنها العشاء وهـم يعتمون بالابل[4] وذلك لأن إطلاق الأعـراب قـد يخـرج

١ السندي حاشية السندي على النسائي ج٦ص٣٠ حديث رقم ٣١٤٩وقال حس بفتح الحاء وكسر السين المشددة من الاصوات المبنية يقال عند التوجع

٢ البخاري في المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام رقم ٤٢٦٧

٣ الترمذي في الجنائز، باب ما جاء في كراهة البكاء على الميت ١٠٠٣ قال أبو عيسى هـذا حـديث حسن غريب و قال الشيخ الألباني: حسن. قلت: والحديث السابق شاهد له

٤ مسلم في الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها رقم٦٤٤ وترجم البخاري في مواقيت الصلاة بـاب ذكر العشاء والعتمة ومن رآه واسعا وذكر عدة أحاديث في تسمية العشاء بالعتمة رقم ٥٦٤ وغيره

الاسم عن معناه الشرعي إلى المعنى اللغوي، والمعنى الشرعي مقصود للشارع، لذا فإنه هو الأجدر في البقاء والانتشار من الاسم الأعرابي. قال الطيبي في قوله لا تغلبكم: يقال غلبه على كذا غصبه منه أو أخذه منه قهرا، والمعنى لا تتعرضوا لما هو من عادتهم من تسمية المغرب بالعشاء، والعشاء بالعتمة فيغصب منكم الأعراب اسم العشاء التي سماها الله بها، فالنهى على الظاهر للأعراب وعلى الحقيقة لهم .[1]

وقد كره ابن عباس – رضي الله عنه – تسمية الحجر بالحطيم فقال: يا أيها الناس اسمعوا مني ما أقول لكم وأسمعوني ما تقولون، ولا تذهبوا فتقولوا: قال ابن عباس قال ابن عباس، من طاف بالبيت فليطف من وراء الحجر، ولا تقولوا الحطيم، فإن الرجل في الجاهلية كان يحلف فيلقي سوطه أو نعله أو قوسه[2]، والسبب أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الحجر الحطيم وكانت فيه أصنام قريش.[3]

وعن جابر – رضي الله عنه – قال أتيت النبي –صلى الله عليه وسلم – في دين كان على أبي فدققت الباب فقال من ذا. فقلت: أنا، فقال: أنا أنا ، كأنه كرهها[4]، ذلك أنها ليست إجابة عن السؤال ومن الذوق والأدب أن يكون الجواب عن السؤال مطابقا له، فقد علم النبي عليه الصلاة والسلام أن هناك مستأذنا ولكنه لم يعلم من هو، فكان جواب جابر للنبي –صلى الله عليه وسلم – إبهاما لأنه لم يعرف صوته، وقال ابن الجوزي أن السبب في كراهة قول أنا أن فيها نوعا من الكبر كأن قائلها يقول أنا الذي لا أحتاج أذكر اسمي ولا نسبي[5]

١ ابن حجر، فتح الباري ج٢ص٤٣

٢ البخاري، في فضائل الصحابة باب القسامة في الجاهلية رقم ٣٨٤٨

٣ ابن حجر، في الفتح ج٧ ص١٥٩

٤ البخاري، في الاستئذان باب إذا قال من ذا ؟ فقال أنارقم ٦٢٥٠، ومسلم في الاداب باب كراهة قول المستأذن أنا إذا قيل من هذا رقم ٢١٥٥، وترجم ابن حبان للحديث ج١٣ص١٢٥ذكر الزجر عن قول المستأذن عند استئذانه: أنا دون السلام على القوم

٥ ابن حجر، فتح الباري ج١١ص ٣٥

وعن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي –صلى الله عليه وسلم – وهو في بيت فقال: أألج ؟ فقال النبي –صلى الله عليه وسلم – لخادمه: أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له قل: السلام عليكم أأدخل ؟ فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أأدخل ؟ فأذن له النبي –صلى الله عليه وسلم – فدخل[1].

وهكذا نرى أن من مقاصد تقويم الألفاظ تربية الذوق عند المسلم، وهناك أحاديث أخرى تدخل في هذا المقصد تركتها طلبا للاختصار.

ثانيا: بناء الأخلاق حميدة

يلاحظ لمن يستقصي الأحاديث في تقويم الألفاظ والمفاهيم أن هناك مجموعة من الأخلاق قصد النبي عليه الصلاة والسلام أن تكون جزءا من المسلم لا تنفك عنه نظرا لأهميتها، ومنهاخلق التثبت قبل الحكم، وخلق العفة، وخلق الرضا بقدر الله عز وجل، وخلق العزة بالإسلام.

أما خلق التثبت، فقد قال عليه الصلاة والسلام بئس مطية الرجل زعموا[2] أي أن الذي يركب كلمة زعموا دون التثبت تنقطع به الحبال، فهو لا يبني تفكيره

١ أبو داود، في الأدب باب كيف الاستئذان رقم ٥١٧٧ قال الشيخ الألباني: صحيح، وفي المسند٢٣١٧٦ وقال شعيب الارنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه، وفي الأدب المفرد١٠٨٤و قال الشيخ الألباني: صحيح كلهم عن منصور عن ربعي قال ثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم.. .

٢ أبو داود في الأدب باب في قول الرجل زعموا رقم٤٩٧٢، والبخاري في الأدب المفرد رقم ٧٦٢ وصححه الألباني في الموضعين، وأحمد في المسند رقم ١٧٠٧٥و٢٣٠٤٣ وقال شعيب الارنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه أبو قلابة: وهو عبد الله بن زيد الجرمي لم يدرك أبا مسعود البدري، وقال ابن حجر في الفتح ج١٠ ص٥٥١ "ورجاله ثقات الا أن فيه انقطاعا ويشهد له ما رواه البخاري في الأدب المفرد رقم ٧٦٣ عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المهلب أن عبد الله بن عامر قال يا أبا مسعود ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زعموا قال سمعته يقول: بئس مطية الرجل وسمعته يقول لعن المؤمن كقتله " وقال الشيخ الألباني صحيح، وفي السلسلة الصحيحة: رقم ٥١٥٧ قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٨٤٦ في صحيح الجامع

وأحكامه على اليقين، قال ابن الاثير معناه أنّ الرجُل إذا أرادَ المَسِير إلى بَلَد وَالظَّعنَ في حاجة ركِب مطيته وسار حتى يقْضِي أَرَبَه، فشبَّه ما يُقَدِّمه المُتكَلّم أمام كَلامِه ويَتَوَصَّلُ به إلى غَرَضه - من قوله زَعمُوا كذا وكذا - بالمَطِية التي يُتوصَّل بها إلى الحاجَة. وإنما يقال زَعَمُوا في حديث لا سَنَد له ولا ثَبت فيه وإنما يُحكَى على الألسُن على سبيل البَلاغ فَذمّ من الحديث ما كان هذا سبيلَه. والزُّعم بالضم والفتح: قريب من الظنّ[1]

وقد كره لنا النبي صلى الله عليه وسلم قيل وقال والمعنى نقل أقوال الناس من دون تثبت، وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن الذي أقسم فقال: والله لا يغفر الله لفلان أن الله أحبط عمله ذلك لأنه لم يكن عنده علم أن الله يغفر أو لا يغفر، فجعل نفسه- بغير علم ولا تثبت -حاكما من دون الله على أعمال الناس.

ومن هذا الباب، نهيه عليه الصلاة والسلام عن قول فلان شهيد، كما روى عبدالله بن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم - فقالوا: فلان شهيد فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - كلا ؛إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة، ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة الا المؤمنون قال فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[2]، وقد ترجم البخاري رحمه الله باب لا يقال فلان شهيد، وقال ابن حجر أي على سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي [3]، فأما من قاله على جهة الوصف أو الرجاء فلا بأس.

وأما خلق العفة فمن قوله عليه السلام: الغنى غنى النفس، وأما الرضا بقدر الله عز وجل فمن قوله عليه الصلاة والسلام ما تعدون الرقوب فيكم ؟ قال قلنا الذي لا يولد له، قال ليس ذاك بالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا قال فما تعدون الصرعة فيكم ؟ قال قلنا الذي لا يصرعه الرجال، قال ليس بذلك

١ ابن الاثير النهاية ج٢ص٧٤٤

٢ مسلم في الإيمان باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون رقم ١١٤

٣ ابن حجر الفتح ج٦ص٩٠ في شرح حديث رقم ٢٧٤١

ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب[1]، قال النووي: أما الرقوب فبفتح الراء وتخفيف القاف وأصل الرقوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد ومعنى الحديث، إنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعا بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه، فيكتب له ثواب مصيبته به، وثواب صبره عليه ويكون له فرطا[2].

والعزة بالإسلام كانت هدفا في توجيهه عليه الصلاة والسلام، فقد قال محذرا ومبينا: من قال إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذبا فهو كما قال، وإن كان صادقا لم يعد إلى الإسلام سالما.[3] ذلك أن الإسلام ليس بالأمر الهين حتى يحلف المسلم بالبراءة منه، فمن هان عليه دينه إلى هذا الحد فإن كان كاذبا فهو كما قال وإن كان صادقا، انتقص من إيمانه بمقدار حلفه ويمينه. وهكذا فإننا نعلم أن تربية المسلم على الخلق الحسن منهج أصيل، ومبدأ ثابت من خلال تقويمه -صلى الله عليه وسلم - للألفاظ والمفاهيم.

١ مسلم في البر والصلة والاداب باب فضل من يمسك نفسه عند الغضب ج٤ص٢٠١٤رقم ٢٦٠٨

٢ النووي شرح صحيح مسلم في شرح الحديث السابق ص١٥٥٤ط بيت الافكار

٣ أحمد في المسند ٢٣٠٠٦ وقال شعيب الارنؤوط: إسناده قوي، والنسائي في الإيمان باب الحلف بالبراءة من الإسلام ج٧ص٦رقم٣٧٧٢و قال الشيخ الألباني: صحيح

المبحث الثاني

أساليب تقويم الألفاظ والمفاهيم

نظرت في أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم - المتعلقة بالألفاظ، وما دار حولها من أحاديث، بغية أن أجد الوسائل التي استخدمها عليه الصلاة والسلام في تقويمه للألفاظ والمفاهيم، فوجدت أنها وسائل كثيرة ومتنوعة، تختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص والظروف التي استخدمها فيها، ويمكن أن نعد عشرات الأساليب التي استخدمها عليه الصلاة والسلام في التقويم، إلا أني رأيت أن أجعل الأسس لهذه الأساليب ثلاثة فقط هي:

التعليم المباشر، والممارسة العملية، والترغيب والترهيب.

ويندرج تحت كل أسلوب مجموعة أخرى من الأساليب الجزئية، التي تؤكد القاعدة الأصلية. ومن خلال النماذج التي سأعرض جانبا منها يتبين لنا أساليبه المحكمة صلوات الله وسلامه عليه في التقويم، والتي هي موضع اقتداء المسلم الحق في حياته وشؤونه كلها.

وللتفصيل في هذه الثلاثة سأجعل كل واحد منها في مطلب مستقل.

المطلب الأول:

أسلوب التعليم المباشر

يقصد بالتعليم المباشر نقل المعاني والمفاهيم إلى المتعلم وتوضيحها له، وإعطاء المعلومات بطريقة مباشرة عبر وسائل الاتصال المختلفة، كالقصة والشرح والحوار والتعليل والتحليل بحيث يدرك المتعلم هذه المعلومات ويفهمها.

والحاجة للتعليم المباشر ماسة، لأن العلم بالتعلم والفقه بالتفقه، ويحتاج الإنسان إلى التعلم المستمر طيلة حياته، لتطوير قدراته وتحسين فهمه للأمور، ولما كانت قدرات البشر متفاوتة، فقد تنوعت الوسائل التعليمية المباشرة في منهجه عليه الصلاة والسلام.

وفي تقويمه للألفاظ والمفاهيم تنوعت المواقف التعليمية، المادة بمستوى اللفظ ومعالجة أخطائه من خلال مواقف مختلفة، وفي عصره بالذات عليه الصلاة والسلام كانت الألفاظ الجاهلية والمصطلحات والمفاهيم التي يتداولها الناس هي الحاكمة على أفكار الناس ومعتقداتهم، لذا فقد كان من أهم وظائفه عليه الصلاة والسلام استبدال الألفاظ والمفاهيم الجاهلية بألفاظ ومفاهيم أخرى تنبع من صميم الشريعة الحكيمة، وهذا ما فعله عليه الصلاة والسلام من خلال مجموعة من الوسائل منها:

التعليم المباشر: ومن ذلك أنه كان يعلم أحد أصحابه دعاء يقوله عند النوم، فأبدل هذا الصحابي لفظا بآخر، فاستدرك عليه الصلاة والسلام، وعلمه الصواب من القول، فعن البراء بن عازب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك الا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به قال فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك قال: لا ونبيك الذي أرسلت[1]. قال ابن حجر رحمه الله وأولى ما قيل في الحكمة في رده – صلى الله عليه وسلم – على من قال الرسول بدل النبي، أن ألفاظ الأذكار توقيفية ولها خصائص وأسرار، لا يدخلها القياس فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به، وهذا اختيار المازري، قال: فيقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف ولعله أوحي إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها[2]

واحتل الحوار مساحة واسعة، من بين الوسائل الأخرى التي استخدمها عليه الصلاة والسلام، وبطريقة مشوقة تمتع السامعين وتقنعهم، والأمثلة على ذلك

---

١ البخاري، في الوضوء، باب فضل من بات على وضوء، رقم ٢٤٧ و ٦٣١١، ٦٣١٣، ٦٣١٥، ٧٤٨٨ و مسلم، في الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع رقم ٢٧١٠

٢ ابن حجر، فتح الباري ج ١١ ص١١١

كثيرة جدا، ومن بحث في أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم - في تغيير واستبدال الألفاظ والمفاهيم بهذه الوسيلة، يجد عشرات الأمثلة الدالة على ذلك، وكثر استخدامه عليه الصلاة والسلام لكلمات الحوار من مثل: أتدري

و أتدرون ثم يسمع إجابة الناس على ما طلب، ثم يقوم ويصحح بناء على ما سمع، وكان يقول كذلك ما تعدون كذا وكذا وقوله ألا أخبركم.. . وأيكم كذا.. .. . . ومن نماذج الحوار لتصحيح المفاهيم حديث أتدرون من المفلس.. .. .. . ؟. وقوله ما تعدون الصرعة فيكم.

ومن تغيير الأسماء بالحوار ما فعله عليه الصلاة والسلام من تغييره كنية أبي الحكم، إلى أبي شريح فعن شريح عن أبي هانئ أنه لما وفد إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - مع قومه سمعهم يكنونه أبا الحكم، فدعاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقال إن الله تعالى هو الحكم وإليه الحكم فلم تكنى أبا الحكم ؟ فقال إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أحسن هذا فما لك من الولد ؟ قال لي شريح ومسلم وعبد الله قال فمن أكبرهم ؟ قلت: شريح قال فأنت أبو شريح[1]

ومنها النهي المباشر: وقد كثر مثل هذا الأسلوب عنده عليه الصلاة السلام، حيث كان ينهى نهيا مباشرا بمثل قوله لا تقل.. .. . ، ولا تقولوا.. .. . ، ولا يقولن.. .. . وقد مر بنا قوله عليه الصلاة والسلام لايقولن أحدكم خبثت نفسي ، ومثاله أيضا ما روي عن أبي تميمة الهجيمي عمن كان رديف النبي -صلى الله عليه وسلم - قال: كنت رديفه على حمار فعثر الحمار، فقلت تعس الشيطان فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم

---

1 أبو داود، في الأدب باب في تغير الاسم القبيح ج٢ص٧٠٦ رقم ٤٩٥٥وقال الألباني صحيح، والنسائي ج٨ ص٢٢٦ رقم ٣٨٧٥وقال الألباني صحيح والحاكم في المستدرك [illegible] رقم ٦٣[illegible]

الشيطان في نفسه وقال صرعته بقوتي فإذا قلت بسم الله تصاغرت إليه نفسه حتى يكون أصغر من ذباب[1]

ومنها الأمر المباشر: ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم - لمن استزاد من المدح وخشي عليه من الفتنة- قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان فعن مطرف قال قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أنت سيدنا، قال: السيد الله، قالوا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، قال: فقال: قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان[2]

واستخدم القصة، كأسلوب فيه من التشويق وتحقيق المراد وسهولة التعلم ما هو معلوم، لتغيير بعض الألفاظ، كقصته عليه الصلاة والسلام في الرجل الذي قال لأخيه والله لا يغفر الله لك روى أبو هريرة: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يقول: كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب والأخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الاخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوما على ذنب فقال له: أقصر، فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا ؟ فقال والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما ؟ أو كنت على ما في يدي قادرا؟ وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة

---

1 أحمد، في المسند، رقم ٢٠٥٩١ وقال شعيب الارنؤوط: حديث صحيح، ورواه أبو داود في الأدب بعد باب لا يقال خبثت نفسي ج٢ ص ٧١٤رقم ٤٩٨٢ وقال الألباني: صحيح وفي صحيح الترغيب والترهيب ج٣ص١١٨ رقم ٣١٢٩ للالباني قال: صحيح والحاكم في المستدرك ج٤ص٣٢٤رقم ٧٧٩٢وقال صحيح الإسناد.

2 أبو داود في الأدب باب في كراهية التمادح واللفظ له ج ٢ص٦٦٩ رقم٤٨٠٦وقال الألباني صحيح، وفي المسند ١٦٣٠٧جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أنت سيد قريش فقال النبي صلى الله عليه وسلم السيد الله قال أنت أفضلها فيها قولا وأعظمها فيها طولا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقل أحدكم بقوله ولا يستجره الشيطان قال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورواه البخاري في الأدب المفرد ج١ ص٨٣ رقم ٢١١وقال الشيخ الألباني صحيح

برحمتي، وقال للآخر اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت أهلكت دنياه وآخرته.[1]

ومنها الاستبدال المباشر: وخاصة في لأسماء، فقد كان الرجل يأتيه باسم، ويصدر عنه وقد غير اسمه، وقد غير رسول الله –صلى الله عليه وسلم– اسم عاصية وقال أنت جميلة[2]. ونادى السماسرة، يا معشر التجار مغيرا اسمهم.. .... وغيرها كثير.

وإنما يكون هذا الأسلوب نافعا في من يملك سلطة التقويم، أو له من المحبة والإجلال والثقة في قلب الناس ما يجعلهم يستمعون من غير رد، لثقتهم بعلمه وحكمته.

ومنها البيعة، حيث بايع النبي –صلى الله عليه وسلم– بعض صحابته على أن يكون كلامهم حسنا، ولا يقولوا إلى ما يرضي الرب سبحانه فقد أخذ على النساء في بعض مبايعاته الا تدعو ويلا[3] وأخذ على بعضهن عدم النوح فعن أم عطية رضي الله عنها قالت أخذ علينا النبي –صلى الله عليه وسلم– عند البيعة أن لا ننوح فما وفت منا غير خمس نسوة[4].

ورافق كل ما سبق ذكر **العلة والسبب** لما يختاره، فقد كان يشير –صلى الله عليه وسلم– في أغلب الأحيان إلى سبب تغييره أو تقويمه للفظ أو المفهوم، وقد لا يذكر

---

١ الحديث بهذا السياق رواه أبو داود في الأدب باب في النهي عن البغي ج٢ ص ٦٩٣ رقم ٤٩٠١ وقال الألباني صحيح، وأحمد في المسند رقم ٨٢٩٢، وابن حبان بمثله ج١٣ص١٩ رقم٥٧١٢ وقال الارنؤوط اسناده حسن، وأصله في مسلم ج٤ ص ٢٠٢٣رقم ٢٦٢١ بدون القصة

٢ مسلم، في الأدب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما ج٣ ص ١٦٨٦رقم ٢١٣٩

٣ أبو داود، في الجنائز، باب في النوح ج٢ ص ٢١٢رقم ٣١٣١ عن امرأة من المبايعات قال "كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه أن لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا وأن لا ننشر شعرا" وقال الشيخ الألباني. صحيح

٤ البخاري، واللفظ له في الجنائز باب ما ينهى عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك رقم ١٣٠٦و ٤٨٩٢، ٧٢١٥ وأخرجه مسلم، في الجنائز باب التشديد في النياحة رقم ٩٣٦

السبب اعتمادا على فهم السامع أو على إيمانه، ومن امثلة ما بين الرسول عليه الصلاة والسلام علته من الأحكام، قوله لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام **فكيف** نسلم على السلام بالسلام. وقوله للذي غير اسمه لأبي شريح بعد ما كان أبو الحكم إن الله هو الحكم، والقول لمن يسب الدهر إن الله هو الدهر وقوله للذي غير اسمها إلى زينب بعدما كانت برة فلا تزكوا أنفسكم، وقوله للذي قال ما شاء الله وشئت أجعلتني له ندا. وقوله لمن يقول للمنافق سيد فإنه إن يك سيدا فقد أغضبتم ربكم وقوله لمن سمى الذبيحة عن المولود عقيقة إن الله لا يحب العقوق.

وهذا في مجموعة كبيرة ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– فيها سبب أو علة ما يبينه للناس، ليكونوا على اطمئنان ويقين من صدق القول وحكمة التعبير.

ويؤدي التعليم المباشر إلى استقرار المفاهيم والمعرفة في النفوس، ثم تؤدي دورها في تصحيح السلوك، وهو أمرلا بد منه لأن العلم قبل العمل، والعمل ثمرة للعلم، وكلما ازدادت القناعة بالعلم كلما أدى ذلك إلى حسن العمل والثبات عليه.

المطلب الثاني

الممارسة العملية والقدوة الحسنة

كان عليه الصلاة والسلام النموذج الذي يحتذي، والمثل الذي يقتدى في ألفاظه، وطريقة لفظه، ومفاهيمه التي كان يطرحها على الناس جميعا، بحيث لا يستطيع المسلم الذي كان يعايشه عليه الصلاة والسلام، إلا أن يحذو حذوه مقتنعا بما يفعل دون إكراه أو إجبار. ذلك لأن لكلامه من حيث لفظه انسجاما وتناسقا وعذوبة وحلاوة، ومن حيث معناه اقناعا للعقل، ونفوذا للنفس، وتحريكا للمشاعر، ومن حيث أسلوبه، إيصالا للمعنى بسهولة ويسر ومتعة.

وما أجود ما قال الجاحظ في وصف كلامه – عليه الصلاة والسلام حيث قال: هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر

الغريب و الوحشيّ، ورغب عن الهجين السوقيّ فلم ينطق الا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام.. . لم تسقط له كلمة، ولا زلّت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذّ الخطب الطوال بالكلم القصار.. . ولايحتجّ الا بالصدق ولا يطلب الفلج الا بالحق، ولا يستعين بالخلابة.. ولم يسمع الناس بكلام قطُّ أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً. ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنىً، ولا أبين في فحوى من كلامه – –صلى الله عليه وسلم – (١)

ووصف النبي صلى الله علية وسلم نفسه أنه لا يقول الا حقا ففي حديث عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم – بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله –صلى الله عليه وسلم – فقال اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني الا حق[٢]، فكان كل كلامه عليه الصلاة والسلام حقا صدقا صوابا عدلا نافعاء لذا فقد كان كلامه هو المقياس لكلام غيره – ألفاظهم ومفاهيمهم.

وقد استطاع عليه الصلاة والسلام إشاعة مجموعة كبيرة من الألفاظ الشرعية الصحيحة، في شتى المجالات، العقدية والعبادية والاجتماعية الخاصة والعامة بالطرق المختلفة، بحيث يعتبر الخروج على هذه الألفاظ خروجا عن الصواب وعن الحلال والحرام، فصار الواحد من الصحابة رضوان الله عليهم يعرف ما ينبغي أن يقال، ومتى يقال، وكيف يقال، وصارت هذه ثقافة عامة للمجتمع بأسره، فإن وجد

---

١ الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢ ص١٧. تحقيق عبد السلام هارون – دار الفكر ط٤ بيروت.

٢ أحمد رقم ٦٥١٠و٦٨٠٢ وقال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير الوليد بن عبدالله، وأبو داودفي العلم باب كتابة العلم ج ٢ص٣٤٢ رقم ٣٦٤٦ وقال الألباني صحيح، والحاكم وصححه ج١ص ١٨٧رقم ٣٥٩

من يخالف هذه الألفاظ، هب الناس جميعا لتصحيح ما وقع فيه. فعن معاوية بن الحكم السلمي قال بينا أنا أصلي مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم – إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي ؟فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم_ فبأبي هو وأمي- ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني، ولا شتمني قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن[١].

فقد عرف الناس أن هذا الكلام لا يصلح في مثل هذا الموطن فبادروا إلى إنكاره بالطرق المعروفة، فالمبادرة بالتصحيح بناء على القاعدة السابقة هي التي كانت توقف مثل هذه التصرفات الطارئة.

وكان للشعارات العامة دورها في ضبط الألفاظ، فقد جاء من الأحاديث أن التلبية شعار الحج قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – جاءني جبريل فقال يا محمد مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية. فإنها من شعار الحج[٢]. وقال أبو الدرداء – رضي الله عنه – لكل شيء شعار وشعار الصلاة التكبير[٣] فكذا يكون السلام شعار اللقاء بين المسلمين، والحمد شعار لكل نعمة، وهكذا يضبط المسلم ألفاظه بهذه الشعارات والألفاظ بحيث تسود أوساط المجتمع المسلم كله.

ونهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن مجموعة من التصرفات اللفظية، ونشر عليه الصلاة والسلام هذا النهي في المجتمع، بحيث يجعل ألفاظ المجتمع ضمن الدائرة التي رسمها لهم الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم.

---

١ مسلم مطولا في المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة ج ١ص ٣٨١ رقم ٥٣٧

٢ ابن ماجة ج٢ص٩٧٥رقم ٢٩٢٣وقال الشيخ الألباني صحيح، وابن خزيمة ج٤ ص ١٧٤رقم ٢٦٢٩و ٢٦٣٠وقال الأعظمي في اسناد الثاني: صحيح، ورواه ابن حبان رقم ٣٨٠٣ج٩ص١١٢وقال الارنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير خلاد بن السائب، وقال ابن حجر في الفتح ج٣ص٥٣٣" وروى بن المنذر بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول التلبية شعار الحج" [illegible]

٣ ابن أبي شيبة [illegible] ٢٠٨ ورقم ٢٣٨٣

فقد كان النبي ينهى وبأساليب متنوعة من الترغيب والترهيب عن بعض التصرفات، التي من شأنها أن تنحرف باللفظ ثم السلوك بعدها، من مثل الكذب الذي شدد عليه الصلاة والسلام النكير على فاعله، والنفاق الذي يقود إلى الكذب والخيانة والغدر، والمدح الذي يقطع عنق صاحبه. والقول بغير علم الذي يشبه شهادة الزور، والقذف، والسب والشتم، والتعيير، والتنابز بالألقاب وغيرها من آفات اللسان الكثيرة، ومن القواعد الجامعة التي أطلقها النبي -صلى الله عليه وسلم - قوله إن المؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء[1].

كما أن تدريب اللسان على مجموعة من الأقوال بحيث تشغله عن القول الغريب، وتعوده على القول الحسن الصحيح، من خلال الاستحباب الشديد لمثل هذه الأعمال كالذكر، وقراءة القرآن، والدعاء حيث رتب عليها الشرع الحكيم الحسنات الجزيلة والعطايا الكبيرة، في الدنيا والآخرة. وقد امتدح الله عز وجل الذاكرين الله كثيرا والذاكرات في آيات عدة من كتابه الكريم، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن هذه الأعمال من خير ما يمكن أن يقوم به المسلم، فعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم قالواما هو يا رسول الله؟ قال ذكر الله عز وجل[2]

ومن منهجه اختيار الأسماء الحسنة الصحيحة المناسبة للأشخاص والأماكن والأشياء، بحيث يكون لها دلالات شرعية إيجابية حسنة، لها أثر إيجابي في النفوس، كل

---

١ أحمد رقم ٣٨٣٩ وقال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، والترمذي في البر والصلة باب ما جاء في اللعنة ج٤ ص ٣٥٠ رقم ١٩٧٧ وقال هذا حديث حسن غريب وقد روي عن عبد الله من غير هذا الوجه، وقال الألباني صحيح، وابن حبان ج١ص٤٢١ رقم ١٩٢وقال الارنؤوط صحيح، والبخاري في الأدب المفرد ج ١ص١١٦ رقم٣١٢ وقال الألباني صحيح

٢ أحمد رقم ٢١٧٠٢و٢٢٠٧٩و٢٧٥٢٥ وقال شعيب الارنؤوط في التعليق على الحديث الأول: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح غير أبي بحرية، قلت: وهو ثقة كما قال ابن حجر في التقريب، ورواه الترمذي في الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر ج٥ ص ٤٥٩رقم ٣٣٧٧ وقال الألباني صحيح، وابن ماجه ج٢ص١٢٤٥رقم ٣٧٩٠ وصححه الألباني.

ذلك من الوسائل والأساليب التي جعلها النبي -صلى الله عليه وسلم - طابعا عاما لألفاظ المسلم، فلا تجده يقول إلا خيرا لانعكاس هذه الألفاظ على شخصيته، ويعرف الخطأ من الصواب، ويعرف من الصواب أصوبه، ويعرف موضع الأصوب أين وأنى يكون.

المطلب الثالث

٣. الترغيب والترهيب (الثواب والعقاب)

لا ينكر دور الترغيب والترهيب في معالجة الأمور، وإثبات الحق وإبطال الباطل، وهو أسلوب اعتمده كل المربين على مدى الأجيال، ولا يزال هو المؤثر الأكبر في توجيه السلوك بعامة، والقرآن الكريم يربط بين العمل الصالح وبين ما له من ثواب، والعمل السيئ وما عليه من عقاب في قواعد مطردة، فلكل عمل صالح جزاء حسن، ولكل عمل محرم عقاب أقلها ؛ الحرمان من الثواب.

وقد حرص النبي صلوات الله وسلامه عليه على أن يربي الصحابة والمسلمين من بعدهم على المبادئ السامية والأخلاق الفاضلة، وتقويم الألفاظ والمفاهيم التي تنافي ذلك، لذا فقد استخدم الأساليب المتنوعة لذلك ومنها الثواب والعقاب.

واللافت للنظر في المنهج الإسلامي في الثواب والعقاب أن الغالب فيه أنه أخروي، وإن كان الثواب العاجل والعقاب العاجل في الدنيا له مكانته في المنهج النبوي في الترغيب والترهيب. فنجد في أكثر أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم - الربط بين العمل والإيمان، يعنى أن يوصف من يعمل هذا العمل بالإيمان وهذا ثواب ومدح من مثل قوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرا أو ليصمت فالوصف بالإيمان امتداح كبير لمن يدرك معاني الإيمان وأثرها على النفس في الدنيا والآخرة.

والعقاب في المنهج النبوي كذلك أغلبه مرتبط بالآخرة والجزاء الآجل، لذا نجد أن أغلب الأفعال المحرمة قد جاء فيها التهديد بالنار أو ما يدل عليها، كقول فليتبوأ مقعده من النار.. . أو حرم الله عليه الجنة ، وغيرها. فالحسنة والسيئة لها وقع

شديد في قلب المؤمن المشبع بالإيمان، ذاك أنه يرى الغيب واقعا، والآجل عاجلا، وينبغي أن لا تغيب هذه الحقيقة عن أذهان المربين في أثناء قيامهم بعملية الأصلاح. مع عدم إغفال جانب الجزاء الدنيوي العاجل على بعض الأعمال والأقوال، فقد قال سبحانه مبينا هذا المنهج {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (٩٧) سورة النحل والحياة الطيبة، هي الحياة بالرزق الحلال والقناعة والسعادة، والحياة مؤمنا بالله عاملا بطاعته.

أما الثواب في تقويم الألفاظ ؛فقد امتدح النبي عليه الصلاة والسلام اللفظ الحسن، واللسان الحسن في معرض الثناء على من حسن بيانه، فقد قال إن من البيان لسحرا وذلك عندما قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن من البيان لسحرا أو إن بعض البيان لسحر [1]، واستخدم صلوات الله وسلامه عليه أشكالا متعددة من الثواب في تقويمه للألفاظ و المفاهيم تدور في عمومها على الثواب المعنوي ومن ذلك:

المدح والثناء للكلام الموافق للحق، كقوله أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم[2]. واستحب عليه الصلاة والسلام مكافأة من صنع معروف ولو أن يقول بلسانه جزاك الله خيرا عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء[3]

---

١ البخاري، في الطب، باب ان من البيان لسحرا ج٥ ص٢١٧٦ رقم٥٤٣٤ و٤٨٥١

٢ البخاري، واللفظ له في عدة مواضع برقم٣٦٢٨ و٥٧٩٥و٦١٢٤ اولهافي فضائل الصحابة باب ايام الجاهلية ج٣ص١٣٩٥، ومسلم في أوائل كتاب الشعرج٤ص ١٧٦٨ رقم ٢٢٥٦

٣ الترمذي، في البر والصلة، باب المتشبع بما لم يعط ج٤ص٣٨٠ رقم ٢٠٣٥وقالحديث حسن جيد غريب وقال الألباني صحيح، وابن حبان ج٨ص٢٠٢ رقم ٣٤١٣ باب ذكر الشيء الذي إذا قاله المرء للمسدي إليه المعروف عند عدم القدرة على الجزاء يكون مبالغا في ثوابه وقال الارنؤوط اسناده صحيح على شرط مسلم، واورده السيوطي في الجامع الصغير وهو في صحيح الجامع للالباني رقم ٦٣٦٨

وامتدح عليه الصلاة والسلام أسماء بعض القبائل ودعا لهم لمطابقة الاسم للمسمى فقال غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله وعصية عصت الله ورسوله [1]، ووصف بعض الأسماء بأنها أفضل أو خير كقوله عليه الصلاة والسلام خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن .

ومن الثواب بيان مافي الكلام الحسن من الربح المعنوي فقد قطعت أصابع طلحة في غزوة أحد فقال (حس) فقال له عليه الصلاة والسلام: لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك.

ومن الثواب الجزاء الأخروي، والوعد على القول الحسن بالجنة، كما قال – صلى الله عليه وسلم – من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذية أضمن له الجنة [2]

وينبغي القول إلى إن تعلق المسلم بما عند الله عز وجل أعمق بكثير بتعلقه بالجزاء الدنيوي، لذا فإن على المربي أن يجعل أكثر تركيزه على هذا النوع من الجزاء، وذلك بغرس الإيمان بالله عز وجل، ومحبته ومحبة رسول الله عليه الصلاة والسلام في النفوس. ثم تعليق الأفعال والأقوال والخواطر بهذا الأصل، بحيث تبقى الرقابة دائما من المسلم على نفسه رجاء هذا الأجر الذي هو متحقق يقينا جازما عند المسلم.

والترهيب أو العقاب وهو: وعيد وتهديد بعقوبة دنيوية أو أخروية، تترتب على اقتراف ذنب أو التهاون في أداء واجب[3]، كان له دور كبير في التقويم، وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم – يستخدم هذا الأسلوب في تقويمه لسلوك الناس حوله

---

١ البخاري في الاستسقاء باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف ج١ص٣٤١ رقم ٩٦١ وانظر [٢٧٧٤، ٣٢٠٦، ٤٢٨٤، ٤٣٢٢، ٥٨٤٧، ٦٠٣٠، ٦٥٤١، ٧٧٠]ومسلم في فضائل الصحابة باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لغفار وأسلم رقم ٢٥١٨

٢ البخاري في الرقاق باب حفظ اللسان وقول النبي صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت) وقوله تعالى { ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد } رقم ٦٤٧٤و ٦٨٠٧ايضا

٣ وزارة التربية والتعليم الاردنية، كتاب العلوم الإسلامية للمرحلة الثانوية، الفرع الأدبي، الناشر وزارة التربية ط١ ٢٠٠٤

في عامة الأمور، ومنها في مجال تقويم الألفاظ؛ فإن النبـي -صـلى الله عليـه وسـلم - عالج كثيرا من الألفاظ والمفاهيم من خلال العقاب بصوره المختلفة.

وقد تنوعت أشـكال العقـاب التـي اسـتخدمها عليـه الـصلاة والـسلام في تقويمه، وبالاستطاعة أن نجعلها في قسمين رئيسيين هما: العقاب الـدنيوي والعقـاب الأخروي، أما العقاب الدنيوي فيمكن تقسيمه إلى قسمين أيضا هما: مادي ومعنوي، والمادي ما وقع على جسد الإنسان أو ماله في الدنيا، والمعنوي ما وقع عـلى الـنفس في الدنيا.

وقد جاء المنهج النبوي بالنوعين معا لتقويم الألفاظ أو المفاهيم:

فمثلا شرع الله عز وجل عقوبة الضرب للقاذف، وفعله النبي عليـه الـصلاة والسلام فجلد من قذف عائشة في حادثة الافك المشهورة، وجعـل الكفـارات التـي يخرجها الإنسان من ماله عقوبة على ألفاظ معينه كالظهار، وأمر من قال لصاحبه تعال أقامرك أن يتصدق من باب العقوبة على مثل هذا القـول، ولا شـك أن الـذي يتوقـع خسارة في ماله على فعل يفعله، أو ألما في جسده على قول يقوله؛ فإنـه سـيكون مراقبـا لأفعاله وأقواله بعدا عن العقوبة، وسلامة لنفسه وسمعته.

وربما كانت العقوبات المعنوية أشد أثرا عـلى كثـير مـن النـاس، خاصـة مـن يستشعر الإيمان ويمتلأ قلبه به، او صاحب القلب الرقيق والإحساس المرهـف. وقـد كان من أساليب النبي -صلى الله عليه وسلم - في العقوبات على الألفـاظ أن يعاقـب بعقوبـات معنويـة كغـضبه وقيامـه مـن مجلـسة، والتـوبيخ والتأنيـب، والاسـتغراب والاستهجان، والتغيظ على المخطئ، وقول ليس منا والوصف بصفة غير مرغوبة.

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم - لأبي ذر إنك امرؤ فيك جاهلية ، لما عير رجلا بأمة.

وعندما قال له أصحابه رضوان الله عليهم، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنـواط، قام غضبان وقال سبحان الله، وقال الله أكبر، مستهجنا مستغربا أن يقع مثل هـذا مـن مثل هؤلاء ثم ضرب المثل فقال قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى.

ووصف عليه الصلاة والسلام من لم يصل عليه عند ذكره بأنه بخيل، وهـي صفة غير مرغوبة، وشبه المحلل زوجة لزوجها ب التيس المستعار. وقال يعلن البراءة من بعض الافعال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

وهكذا نرى تنوع أساليب العقـاب حـسب تنـوع المواقـف او الأشـخاص، والأحوال في منهجه عليه الصلاة والسلام، ومن المتفـق عليـه أن للعقوبـة دورهـا في التقويم، حتى إنها أصبحت رادعا كبيرا يقف حاجزا قبـل أن يـتلفظ الإنـسان بكـلام يندم عليه.

المبحث الثالث:

خصائص المنهج النبوي في التقويم

تميز منهج النبي عليه الصلاة والسلام في تقويمه للألفاظ والمفاهيم بخصائص عدة، جعلت لمنهجه طابعا خاصا منفردا عن غيره، وسأجعل كل واحدة من هذه الخصائص في مطلب مستقل حيث أبين فيه مكانة هذه الخصيصة ودورها مع الأمثلة عليها وفيما يلي بيان ذلك:

المطلب الأول: الخصيصة الأولى

الإيمان أساس التقويم

وهذا أمر واضح في منهجه عليه الصلاة والسلام في التغيير، إذ يربط النبي عليه الصلاة والسلام بين تقويمه للفظ وبين الإيمان والعمل الصالح، وذلك حتى يكون منطلق التغيير وقاعدته الذي يقوم عليه هو الإيمان ورضا الله عز وجل والقرب منه، وهذا المبدأ يجعل الإنسان يتقبل مثل هذا التقويم ويقتنع به؛ إذ كونه من الإيمان أو من مقتضياته هو ما يسعى إليه المسلم في حياته كلها، وإذا كان هذا التغيير يقرب من الله عز وجل فهو الذي يطمح له المسلم.

وفي هذا توجيه للمربين في كل زمان ومكان، أن يبنوا عملية التغيير على أساس وثيق، هو الإيمان بالله عز وجل، أو أحد مفرداته كالخوف من الله عز وجل، أو الجنة أو النار، أو غضبه سبحانه، أو محبته عز وجل أو عذاب القبر.. ..

ومن نماذج هذا الهدي النبوي قوله في الحديث الطويل في وصف أجناس من العذاب في رؤيا رآها عليه السلام، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الأفاق [1]، وجعل عليه الصلاة والسلام من إمارة النفاق – الذي هو ضد الإيمان– الكذب في الحديث، فقال: آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا اؤتمن خان وإذا وعد

١ البخاري، في التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح في التعبير باب ٩٣ حديث رقم ٧٠٤٧وفي مواضع اخرى، ١١٤٣، ٢٠٨٥، ٢٧٩١، ٣٢٣٦، ٣٣٥٤، ٤٦٧٤، ٦٠٩٦، ٧٠٤٧

أخلف [1] وبين عليه الصلاة والسلام أن من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر أن يقول خيرا أو يصمت، وأن بعض الأقوال تنافي الإيمان وتدخل قائلها في حيز الكفر، كقوله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، وحذر عليه الصلاة والسلام من قول يا كافر للمسلم فقال أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، وهناك نماذج متعددة أخرى يمكن تأكيد هذا المنهج من خلالها.

المطلب الثاني: الخصيصة الثانية

الموازنة بين الإقناع العقلي والخطاب العاطفي

وهذه سمة بارزة أيضا في منهجه عليه الصلاة والسلام في التقويم، حيث يرتكز بعد الخطاب الإيماني إلى قاعدتين مهمتين الأولى: الإقناع العقلي، والثانية: الخطاب العاطفي.

أما الإقناع العقلي، فقد كان عليه الصلاة والسلام يذكر الحكم ويقوم اللفظ مع مبرراته، وكأنه يجيب على سؤال السائل، لماذا أقول كذا؟ سواء طلب ذلك منه عليه الصلاة والسلام أو لم يطلب،

وتعتمد عملية الإقناع في منهجه عليه الصلاة والسلام على أمور منطقية كثيرة، منها النص على المصلحة المترتبة على التغيير، ومنها أن بدهيات العقول تقول بذلك، ومنها الحوار للوصول إلى نتيجة متفق عليها، ومنها الثقة المطلقة بنبوته وحكمته عليه الصلاة والسلام فيما لم تدركه العقول.

ومن أمثلة النص على المصلحة قوله: لا تسمين غلامك يسارا ولا رباحا ولا نجيحا ولا أفلح فإنك تقول أثم هو فلا يكون فيقول لا [2]، وتغييره لاسم برة إلى زينب، وقوله منبها على السبب: فلا تزكوا أنفسكم، فعن محمد بن عمرو بن عطاء قال

١ البخاري في الإيمان، باب علامة المنافق رقم ٣٣ وفي مواضع اخرى ٢٦٨٢و٢٧٤٩و٦٠٩٥وبمواضع أخرى رقم ٢٥٣٦ و ٢٥٩٨و٥٧٤٤ ومسلم في الإيمان باب خصال المنافق رقم ٥٩

٢ مسلم، في الأدب باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة، رقم ٢١٣٦بلفظ "نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسمي رقيقنا باربعة أسماء أفلح ورباح ويسار ونافع " ورقم ٢١٣٧

سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - نهى عن هذا الاسم، وسميت برة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم فقالوا بم نسميها ؟ قال: سموها زينب[1]، وهناك مبرر آخر كما روى ابن عباس قال: كانت جويرية اسمها برة فحول رسول الله -صلى الله عليه وسلم - اسمها جويرية وكان يكره أن يقال خرج من عند برة[2]، قال النووي رحمه الله وقد بين -صلى الله عليه وسلم - العلة في النوعين وما في معناهما وهى التزكية أو خوف التطير[3].

ومن أمثلة البدهيات التي تدركها العقول السليمة، كراهيته عليه الصلاة والسلام لاسم حرب ومرة، إذ 'ن النفوس المستقيمة لا تحب مثل هذه الألفاظ، ومثله كراهيته لاسم يثرب وإبدالها بالمدينة وطابة، لأن يثرب من التثريب واللوم، والمدينة تدل على الاستقرار والثبات، وطابة وطيبة من الطيب عكس الخبث ولا يحتاج اسمها إلى مزيد شرح أو بيان. وفي هذا التغيير موافقة للتوجه الجديد للمجتمع الإنساني من حيث نقله من الجاهلية إلى العلم والنور والهدى وتفاؤلا بأن تكون هذه المدينة مستقرة ثابتة طيبة هي وأهلها.

ومن الحوار للتوصل إلى نتيجة مقنعة لجميع المخاطبين حديثه عن المفلس، حيث وصل الجميع إلى قناعة، أن من اتصف بهذه الصفات فإنه مفلس حقا فعن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال: أتدرون ما المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار.

١ مسلم، في الأدب باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما رقم ٢١٤٢

٢ مسلم الباب نفسه الحديث رقم ٢١٤٠

٣ النووي شرح صحيح مسلم ص١٣٤٥ ط دار الافكار الدولية

ومن الثقة المطلقة بنبوته عليه الصلاة السلام، ما كان يخبر من أمور الغيب عن علة لهذا الحكم الذي يصدره، ومن ذلك أنه نهى عن لعن الشيطان لأنه يتعاظم، وأمر بالاستعاذة منه فقط وهي الطريقة المناسبة لاستصغاره وخذلانه فعن أبي تميمة الهجيمي، عمن ردف النبي صلى الله عليه وسلم، أو من حدثه عمن ردف النبي صلى الله عليه وسلم، انه كان ردفه فعثرت به دابته فقال تعس الشيطان فقال: لا تفعل فإنه يتعاظم إذا قلت ذلك حتى يصير مثل الجبل، ويقول: بقوتي صرعته وإذا قلت: بسم الله تصاغر حتى يكون مثل الذباب.

ومع الاقناع العقلي فإنه عليه الصلاة والسلام كان يلبس العقل بثوب العاطفة، فيخرج الكلام مؤثرا لا في العقل فقط ولكن في القلب أيضا، وهذا مقصد نبوي كبير، فالعقل وحده غير كاف لنقل القناعة إلى سلوك أو عمل، فنحن بحاجة مع العقل إلى دافع ومحرك وباعث للهمم، لنقل المعرفة والقناعة إلى سلوك وفعل، وقد كان عليه الصلاة والسلام يجمع بين الإيمان والعقل والعاطفة، ليكون التقويم مبنيا على قواعد ثلاثة هي الإيمان، والعقل، والعاطفة التي إذا تكاملت أثمرت ثمرات يانعة وآتت أكلها عاجلا غير اجل.

وكان لخطاب العاطفة في منهجه في التقويم مقومات من أبرزها: محبته عليه الصلاة والسلام في قلوب صحابته، فإن هذه المحبة جعلت له قبولا، ولكلامه عليه الصلاة والسلام قداسة. فإذا أراد المربون أن يسمع كلامهم فلابد أن يتقربوا من قلوب الناس الذين يخاطبونهم.

كما أن هناك أثرا كبيرا لأسلوب كلامه عليه الصلاة والسلام؛ من حيث فصاحته وبلاغته وموافقته للغة القوم الذين يستمعون له، فاختياره للكلمة في الزمان والمكان والظروف المناسبة جعلت كلامه ينفذ إلى أعماق القلوب، ويزيد على ذلك أن الثقة بكلامه عليه الصلاة والسلام، المجربة واقعا وتاريخا تملي على الإنسان أن يأخذ من هذا النبع الصافي.

وقد كره عليه الصلاة والسلام المتشدقون الثرثارون المتفيهقون فقال: أحبكم الي وأقربكم مني، محاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مساويكم

أخلاقا، الثرثارون المتشدقون المتفيهقون[1]، لأنهم لا يصدرون في كلامهم عن قناعة ولا تصل كلماتهم للقلوب.

المطلب الثالث: الخصيصة الثالثة

الثبات في المبادئ والمرونة في التطبيق

ومن الخصائص الهامة في منهجه عليه الصلاة والسلام الثبات في المبادئ التي قام عليها التقويم، فرغم كثرة النماذج التي قوم النبي -صلى الله عليه وسلم - من خلالها الألفاظ والمفاهيم، إلا أنها جميعا تحمل عنصر الثبات، مما يقلل الخلاف حولها.

وأهم هذه المبادئ في عملية التقويم ما يلي:

أولا: مبدأ الحل والحرمة:

حيث جميع ما غير النبي -صلى الله عليه وسلم - يخضع لأحد الأحكام التكليفية الخمس، وهي الواجب، أو المندوب، أو المباح، أو المكروه، أو الحرام، بحيث لا يخرج واحد من الألفاظ عن هذا المبدأ، مما يجعل هناك توافق عام عند جميع

---

١ أحمد، واللفظ له في المسند من حديث أبي ثعلبة الخشني رقم ١٧٧٣٢ وقال الارنؤوط حسن لغيره، ومن مسند أبي هريرة رقم ٨٨٢٢ وقال الارنؤوط حسن لغيره وهذا اسناد ضعيف، ورواه الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق ج٤ص٣٧٠رقم٢٠١٨ وقال: "وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وروى بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد وهذا أصح، والثرثار هو الكثير الكلام والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم "، وقال الألباني: صحيح، ورواه ابن حبان في الصحيح رقم ٤٨٢ج٢ص٣٦٩و٥٥٥٧ج١٢ص٣٦٨وقال الشيخ شعيب في الأول: رجاله ثقات على شرط مسلم، وفي الثاني حديث صحيح. ورواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرةج١ص٤٤٣ رقم ١٣٠٨ وقال الألباني: صحيح.

المسلمين في كل زمان ومكان، فإن خرج البعض فهي تصرفات شخصية [illegible] الخروج فإن الابتعاد عن المنهج الحق هو سبب هذا الخروج، ورغم وجود الخلافات داخل هذا المبدأ إلا أنها خلافات اجتهادية منضبطة بدوائر تضيق حدة الخلاف.

ولو أردنا تطبيق هذا المبدأ باختصار على الأسماء الموجودة في عصرنا، وأردنا أن نضع بعض القواعد التي تحكم عملية التسمية في مجتمعنا لاستطعنا أن نصل إلى قواعد كلية ينبثق عنها تفريعات جزئية، تتوافق عليها أغلب أراء الفقهاء والمفكرين وغيرهم، وقد استطاع بعض الباحثين المسلمين من حصر هذه القواعد ضمن اجتهاد خاص به – وأنجز في هذا المجال بحثا عميقا[1]، كما أن لابن القيم رحمه الله في كتاب زاد المعاد، وتحفة المودود بأحكام المولود جهود قيمة في هذا الباب إلا انها بحاجة إلى مراجعة لاحتوائها على كثير من الأحاديث الضعيفة.

ثانيا: مبدأ المصلحة والمفسدة

وهذا المبدأ وإن كان يدخل في الباب السابق، إلا أنه لخصوصيته يستحق الإفراد، فالمصلحة والمفسدة وإن كانت تنطبق عليها الأحكام التكليفية، إلا أن التمييز الدقيق بين الأحكام يقتضي التفضيل قليلا في هذا المبدأ، فقد يكون الأمر واقعا في باب الحل، ولكن تقتضي أمور معينة أن ينتقل إلى باب الكراهة أو التحريم، وقد يكون الأمر من باب الكراهية ولكن تقتضي أحوال معينة أن يبقى الأمر على ما هو عليه دون تغيير.

ومن هذا المبدأ فقد غير النبي عليه الصلاة والسلام بعض الألفاظ كتحية الجاهلية، فأبدلها بتحية الإسلام، وغير اسم الكرم الذي يطلق على العنب نظرا لارتباطه بالخمر في أذهان الجاهلية، وبالمقابل فقد أبقى اسم عبد المطلب لسريانة بين الناس، وأقر حزن على الابقاء على اسمه رغم رغبته في التغيير[2]، وسمى الذبيحة عن

---

١ بكر أبو زيد، معجم المناهي اللفظية وقد ذكر اصلين من أصول تسمية المولود في معجمه وذكر انها موجودة في كتابه تسمية المولود ولم اجد الكتاب في مكتبات الجامعات الاردنية

٢ البخاري، في الأدب باب اسم الحزن رقم وباب تحويل الاسم إلى الاسم رقم ٦١٩٠و٦١٩٣

المولود بالعقيقة -رغم كراهيته للاسم - نظرا لانتشارها بين الناس، وأطلق اسم العتمة على العشاء رغم كراهيته لغلبة الاسم الأعرابي عليها.

وغير الكثير من المفاهيم بناء على هذا المبدأ فالمفلس، والرقوب، والحالقة، والبخيل، والتيس المستعار،، جعل لها دلالات أوسع مما كانت عليه، وأعطاها معنى شرعيا مع معناها اللغوي لمصلحة تترتب على ذلك.

وسلب بعض المصطلحات دلالاتها العرفية أو اللغوية، حتى لا تكاد تعرف بعد ذلك الا به، وذلك لأهمية المعنى الشرعي للمفهوم، وقلة أهمية المعنى اللغوي له. كالغني، والصرعة، والمفردون والواصل وغيرها.

ثالثا: مبدأ أن الصواب في موضع ليس صوابا في جميع المواضع

ومما يرتبط بمبدأ المصلحة والمفسدة، أن اللفظ الصواب في موضع ليس صوابا في جميع المواضع فلا يكفي أن يكون اللفظ صوابا، حتى يكون موقعه صوابا كذلك. لذا فقد رفض عليه الصلاة والسلام كلمة رسولك في موضع نبيك في حديث تعليم دعاء النوم، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم - للخطيب الذي قال: ومن يعصهما: بئس الخطيب أنت، لأنها توهم المشابهة والمماثلة بين الله عز وجل، والنبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك الموضع، وقد كره بعض العلماء تغيير الألفاظ الشرعية عن موضوعها، لكونه فيها من السر والحكمة ما لا تدركه العقول.

وكان اليهود يتعاطسون عند النبي -صلى الله عليه وسلم - فكان يقول لهم: يهديكم الله ويصلح بالكم[1]، بينما كان يقول للمسلمين: يرحمكم الله، فروى البخاري عنه

---

١ أبو داود، في الأدب، باب كيف يشمت العاطس الذمي رقم (٥٠٣٨) وقال الألباني صحيح، والترمذي (٢٧٤٠) في الأدب باب كيف يشمت العاطس قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقال الشيخ الألباني: صحيح، وأحمد في المسند في اكثر من موضع منها رقم ٨٦٣١وقال الارنؤوط اسناده صحيح على شرط الشيخين، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٩٤٠) وقال الارنؤوط في تحقيق زاد المعاد ج٢ ص٤٠٤ وإسناده صحيح وصححه [illegible]

عليه الصلاة والسلام أنه قال: إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله، فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم[1].

المطلب الرابع: الخصيصة الرابعة

إيجاد البدائل المناسبة لكل ما غيره عليه الصلاة والسلام

كان من منهجه عليه الصلاة والسلام في عملية التقويم، أن يستبدل الأسماء أو الألفاظ أو المفاهيم أو الشعارات إلى ما هو أفضل منها، وهذه القاعدة كانت مطردة في منهجه، فلم يغير شيئا مما سبق إلا إلى بديل خير منه، وقد قال عز وجل في شأن النسخ: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١٠٦) سورة البقرة ومعنى قوله: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} أي في الحكم بالنسبة إلى مصلحة المكلفين، او خير لكم في المنفعة وأرفق بكم، أو نأت بخير من الذي نسخناه أو مثل الذي تركناه.[2]. فالتغيير إلى بديل مناسب هو الصواب الذي يجب أن يكون مرافقا لكل عملية تبديل، وهذه السمة ليست فقط في الألفاظ أو المفاهيم، بل في العادات والعبادات أيضا فقد أبدل الله عز وجل المسلمين عيدين خير من أعياد الجاهلية.

ومن النماذج في تغييره التي سبق منها الكثير في الألفاظ مثلا: أنه استبدل الحلف بغير الله بالحلف بالله عز وجل فقط، وبقول: ما شاء الله وشئت، بقول: ما شاء الله وحده ، ولو التي تفتح عمل الشيطان، بقول: قدر الله وما شاء فعل، وبلعن الشيطان التسمية عند ذكره، والاستعاذة بالله من شره، وبالدعاء بالموت، الدعاء بصيغة اللهم أحيني إن كانت الحياة خيرا لي، وأمتني إن كان الموت خيرا لي وبالنوح الممنوع البكاء المشروع.

وفي المفاهيم فإنه عليه الصلاة والسلام أبقى لفظ المفهوم كما هو ولكنه غير دلالاته أو وسعها، فالبخيل معروف ولكن من البخل أيضا عدم الصلاة عليه، والصرعة معروف، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب هو الصرعة بالمعنى الشرعي

---

١ البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت رقم ٦٢٢٤

٢ انظر ابن كثير التفسير ج١ص٢٠٧

له، والربا معروف ولكن أربى الربا من يستطيل في عرض أخيه المسلم، والغنى معروف ولكن الغنى الحقيقي الذي يستفيد منه صاحبه هو غنى النفس

ومن النماذج أيضا أن الشهيد معروف ولكن وسع النبي عليه الصلاة والسلام من أنواعه فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تعدون الشهيد فيكم ؟ قالوا يا رسول الله: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي إذا لقليل قالوا فمن هم ؟ يا رسول الله قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد[1]. والصدقة كذلك معروفة، ولكن وسع النبي عليه الصلاة والسلام من مفرداتها ومعانيها، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتسبيح وكل معروف ايضا هو من الصدقات.

وهذا المنهج فيه من الفائدة أنه عليه الصلاة والسلام يتيح المجال أمام أكبر عدد من المسلمين ليصل إلى الدرجة العالية عند الله عز وجل، ويجعله يثق بنفسه ويقدرها، ويعلم أن باستطاعته العمل لما ينفعه أو ينفع غيره، ولا ينظر إلى نفسه نظرة المحروم المسكين المتذلل. طالما أن أبواب الخير أمامه مفتوحة، يستطيع أن يفتح أبوابا متعددة إن أغلق باب.

ولا بد أن ينعكس أثر هذا المنهج على كل من فهمه واتبع سنته، فيرى نفسه غنيا وإن لم يملك، وقويا وإن كان هزيل الجسد، ومتصدقا وإن لم يخرج درهما، ومجاهدا وإن لم يخط خطوة لغزوة، وإيجابيا متفاعلا مع من حوله دون أن يشعر بالهوان والضعف والعجز والرغبة في الاستسلام لأي حادث.

وفي الأسماء فإنه قد غير الكثير من الأسماء واستبدلها بخير منها، قال أبو داود في باب في تغيير الاسم القبيح بعد ان ذكر عدة أحاديث في تغيير الأسماء كعاصية وبرة واصرم وأبو الحكم وحزن: وغير النبي -صلى الله عليه وسلم - اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب، وشهاب فسماه هشاما، وسمى حربا سلما، وسمى المضطجع المنبعث، وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم بني الرشدة، وسمى بني مغوية بني رشدة[1] قال أبو داود تركت أسانيدها للاختصار.

وفي الشعارات فقد قال سعد بن عبادة لأبي سفيان في يوم فتح مكة: اليوم يوم الملحمة فشكا أبو سفيان ما سمع من سعد للنبي عليه الصلاة والسلام فقال صلى الله عليه وسلم كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة[2] لأنه لم يرد عليه الصلاة والسلام أن تكون كلمة سعد شعارا للناس يتخذونها سبيلا للقتل وسفك الدماء لو أنها انتشرت بينهم.

فمن المناسب بعد هذا السرد أن نؤكد أن المنهج النبوي في التقويم هو التقويم إلى بديل مناسب في جميع المفردات، وهذا ما ينبغي أن يتنبه له المربون، أن التغيير لابد له من بديل، فإن أردنا استبدال الغناء الفاحش فبأنشودة معبرة، والشعار الذي ليس له دلالة شرعية إيجابية، إلى شعار ذو دلالة لها أولوية، والاسم إلى أحسن منه، والألفاظ كذلك، كي لا يقع الناس في حالة فراغ واضطراب لا يعرفون الصواب، ولا ينفكون عن الخطأ، ولابد أن تكون عملية التقويم كذلك مباشرة، فيستبدل السيء بالحسن مباشرة لكي يقر في الأذهان ويتحول بعدها إلى سلوك معاش.

---

١ مسلم، في الإمارة باب بيان الشهداء رقم ١٩١٥ج٣ ص ١٥٢١وفي حديث رقم ١٩١٤ قال عليه الصلاة والسلام (الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله عز وجل)

١ أبو داود، في الأدب باب في تغيير الاسم القبيح ج٢ ص٧٠٧ تحت حديث رقم ٤٩٥٦

٢ البخاري في المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح رقم ٤٢٨٠ونص حديثه الذي فيه هذا القول " حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هذه ؟ قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الدمار. ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال (ما قال). قال كذا وكذا فقال (كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة يوم تكسى فيه الكعبة).

خاتمة الباب الثالث

ما الذي يمكن تحقيقه في مجال تقويم الألفاظ والمفاهيم في واقعنا، وكيف ذلك؟

إن المطلوب منا أن نترجم المعرفة إلى عمل وسلوك ظاهر، فإن المعرفة ليست مقصودة لذاتها، وإنما لما يترتب عليها من آثار ملموسة. وإنما نبحث عن الآثار الإيجابية التي تعود بالخير والفائدة على الفرد والمجتمع معا، والمرجو أن نحقق الأهداف التي أرادها الشرع من وراء تقويم الألفاظ،وقد تساهم وسائل أخرى غير الألفاظ والمفاهيم في تحقيقها، إلا أن ضبط الألفاظ والمفاهيم هي الوسيلة الأهم والأقرب لتحقيق هذه الأهداف، كما أن تعدد الوسائل يجعل الأثر أعمق وأرسخ في النفوس، وأكثر انتشارا بين طبقات الناس على تنوعهم.

وطالما أننا وضعنا أيدينا على الهدف المراد، والغاية المقصودة، فإننا نكون قد قطعنا منتصف الطريق أو يزيد، ولم يبق الا أن نحول هذه الأهداف إلى مجموعة من الإجراءات والقوانين، والدروس العلمية، والدراسات البحثية، لتحقيق الأهداف السابقة، وتكون مسؤولية تنفيذ هذه الإجراءات بين عدد كبير من الناس كل حسب طاقته وقدرته ووظيفته، ومن المتفق عليه أنه لا بد أن يكون الجهد مشتركا بين جميع عناصر المجتمع حتى تؤتي ثمارها وتحقق أهدافها، وتخرج عن كونها جهودا فردية محصورة داخل عقول أصحابها، إلى كونها ثقافة عامة مشتركة بين جميع أفراد المجتمع ضمن مبدأ المسؤولية، فالأفراد على مختلف مستوياتهم العلمية والوظيفية، والجماعات، والمؤسسات الدينية، والدولة، بكل أجهزتها تقع ضمن دائرة المسؤولية كل بحسبه.

هناك قدر مشترك بين الناس في واجبهم تجاه مسألة اللفظ والمفهوم، يحتم على المسلمين أن يتصدوا لها، فالألفاظ غير المتوافقة مع الحكم الشرعي من حيث الحل والحرمة، والمفاهيم غير الموحدة في دلالاتها، ولا الواضحة في معانيها،تؤدي الى عدم الفهم، فتطلق الكلمة يريد بها صاحبها شيء، ويفهمها السامع بفهم آخر غير مراد

لصاحبها، لاختلاف الثقافات وتنوع مصادرها حتى داخل الدولة الواحدة، لذا فإن ضبط الألفاظ والمفاهيم والمصطلحات له أهمية بالغة حتى لا تكون مجالا للتلاعب والادعاء، وكذلك حتى لا تختلط المفاهيم الشرعية بغيرها من المفاهيم الوافدة، ولا ننسى خطورة التسمية بالأسماء الأجنبية والتي تحمل دلالات معينة في منشئها الأجنبي، ثم لا تلبث هذه المسميات أن تنتقل إلى ثقافتنا ومعها الفكر الذي تحمله.

وحتى يتم لنا ذلك فإننا يجب أن ننتقي مصطلحاتنا انتقاء في كل مجالات المعرفة، وندعو إلى هجر المصطلحات التي يكون لها دلالات سلبية عند العامة واستبدالها بأحسن منها، وحتى لو كان لها عندنا أساس ومستند إذا أصبحت عند العامة تمثل معنى سلبيا، أو نمطا سلبيا في الحياة، وعلى سبيل المثال فإن كلمة أصولي لها حضور واسع في ثقافتنا مثل أصول الدين، وتطلق على علم التوحيد، وأصول الحديث، ولكن باتت هذه الكلمة اليوم لا تطلق خاصة من الغرب ومن تبعهم إلا وتحمل شتم أو سب أو اتهام للمتصف بها بمعنى (التطرف)، لأن المعنى الأصلي لها عند الأجانب باختصار هو الكهنوتية التي ترفض التعامل مع العلم والعقل، لذا فإنها بهذا المعنى مصطلح فاسد و لقب مرفوض لا يمكن قبوله عند المسلمين، فالحل إذا ألا يطلق هذا اللقب على المسلمين إلا مع بيان المقصود منه بوضوح، وإن استبدل بلقب أخر لا يحمل هذه الدلالات كان أفضل، والله أعلم.[1]

وقد تحول مصطلح الجهاد عندنا إلى مقاومة والناظر يدرك، حتى إن أغلب من يتكلم اليوم إنما يردد مصطلح المقاومة، وكأن مصطلح الجهاد لم يعد موجودا، أو أنه مذمة لفاعله !!؟.

إنه كلما ازداد الوعي الإسلامي كلما تأججت الحرب الكلامية والمجابهة النفسية، بصياغة مصطلحات منفرة وبطرق ماكرة، هدفها إبعاد الناس عن دينهم، وحتى تتم لنا هذه المواجهة لموجة التغريب والتحريف ؛ فالعلم والمعرفة هما السلاح الأقوى في هذه المجال، ولا بد منهما لمواجهة حملة الباطل الشرسة التي أثرت على أعداد كبيرة من أبناء المسلمين وقد قال سبحانه، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

---

١ أبو زيد، بكر بن عبد الله، معجم المناهي اللفظية، ص ١٠٢-١٠٧

العلم المقصود هنا نوعان الأول: علم بأنواع الألفاظ والمفاهيم المخالفة للشرع، أو التي يراد بها الإنقاص من قيم الدين أو أهله، ودلالاتها وطريقة استعمالها، وعلم آخر بأحكام الشرع المتعلقة بالألفاظ، كاللفظ المحرم وأنواعه، وما يترتب عليه، وعلم المصلحة والمفسدة التي تنقل المباح إلى الكراهية أو الحرمة، وكذلك ما يتعلق ببعض العبادات اللفظية، كالنذر واليمين، والمناهي اللفظية كالسب والشتم والغيبة.. ...

إن ترتيب الألفاظ والمفاهيم في دوائر أو مجموعات لمعرفة الصواب منها من الخطأ، و الأحسن من الحسن، يساعد العلماء والمثقفين وعموم المسلمين على أن يكونوا على بينة من ألفاظهم أو ألفاظ غيرهم، فتكون الألفاظ في مجموعات أربع هي ؛مجموعة الحق الخالص، والباطل الخالص، وباطل يشوبه حق، وحق يشوبه باطل، ويكون التركيز والتعامل ضمن المجموعة الأولى فقط، لتعويد الناس عليها، وبناء مفاهيم الناس وألفاظهم من خلالها، ولا نخرج إلى الأخرى إلا من باب التنبيه و التحذير ثم الاستبعاد، وهذا هو دور العلماء وطلبة العلم. ويمكن أن يتم ما سبق من خلال تعدد جهات المراقبة على الألفاظ أو المفاهيم.

ونظرا لغياب المؤسسات التي تراقب هذه التصرفات، فإن الرقابة المطلوبة منا اليوم هي الرقابة الذاتية بالدرجة الأولى، فنغرس في النفوس أهمية هذا الخلق ودور كل واحد في تحقيقه مع نفسه، كما أن أهل العلم يشكلون دوائر مراقبة متنقلة يصححون الألفاظ والمفاهيم، ويوجهون العامة بل والمثقفين إلى خطورة ما يقولون بأسلوب حسن، مستمسكين بقول الله سبحانه وتعالى {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ الا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (١٨) سورة ق، كشعار لدعوة الناس إليه، وقوله سبحانه {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلم بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أعلم بِالْمُهْتَدِينَ} (١٢٥) سورة النحل، كشعار لهم في أسلوب دعوة الناس إلى الخير.

وبقي الإشارة إلى دور المسلم العادي، والعلماء والمفكرين والباحثين والمربين، والجماعات الدعوية والمؤسسات، والدولة، في ضبط الألفاظ والمفاهيم وتقويمها.

أما المسلم العادي، فواجبه أن يتعلم ما ينقذه من ظلمات الجهل، ويعينه على أن يعبد الله عز وجل على بصيرة، ويحسن تسمية أولاده ومن حوله ممن يسمع نصيحته، بل وينتقى أحسن الأسماء. وأن يجعل مقياس الربح والخسارة هو المقياس الشرعي فقط، فالربح ما اعتبره الشرع ربحاً، والخسارة ما اعتبرها الشرع خسارة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر بكل الوسائل المشروعة، ويحاول جاهداً تحقيق الأهداف السابقة التي ذكرتها في المبحث الأول لتقوية مسيرة المجتمع، ويتخلق بأعلى الأخلاق، وأحسن الصفات من العفة وإتقان العمل، والمسؤولية، وضبط النفس، وحسن العبودية وغيرها، ويهجر كل المصطلحات المخالفة، وينبه عليها، ويربي الناس على انتقاء الكلام متمثلاً قول النبي عليه الصلاة والسلام ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرا أو ليسكت.

وإذا كان هذا هو دور المسلم العادي فما الدور الذي يجب أن يقوم به المفكرون والباحثون والدعاة ممن لهم هم في هذا المجال؟؟إن واجبهم أن يكتشفوا القوانين التي وضعها الله عز وجل للألفاظ والمفاهيم بكل المجالات، ثم ينشروا دراساتهم وأبحاثهم، ويؤسسوا بعدها منظومة لفظية مفاهيمية مستمدة من الشرع الحنيف من أولها إلى آخرها، ويحملوا الناس وأصحاب القرار على العمل بها ووضعها موضع التنفيذ، إن الدراسات العلمية والأبحاث يجب أن تغطي النقص الحاصل في هذا الباب، وهؤلاء النخبة هم المؤهلون لضبط ما يدور في المجتمع من ألفاظ ومفاهيم سواء كانت في الصحف أو الكتب، أو المناهج المدرسية والجامعية وهي أهمها وأخطرها، كما أن أسلمة لغة العلوم واجب في أعناقهم.

كل ذلك وغيره يقدمه الباحثون الحريصون على تطبيق شرع الله عز وجل، وإنقاذ الأمة مما هي فيه من الضلال والجهل، ويقدمونه بأسلوب حسن مراعين تقديمه ضمن دراسات علمية موثقة تقوم على شدة البحث والتحري ومراعاة المصلحة العامة، ولا يتم ذلك بجهود فردية وإن كانت مباركة، فالأمر يحتاج إلى تضافر جهود جهات متعددة من أجل تغيير حقيقي على أرض الواقع.

أما المؤسسات والجماعات؛ فهي التي توجه كل من الأفراد والباحثين لتنفيذ ما يطلب منهم، كما أن لها دورا أكبر في عصرنا لقدرتها على امتلاك وسائل التأثير

كالإذاعات، والقنوات التلفزيونية، والصحف، والمجلات، والنوادي الفكرية.... فباستطاعتهم المطالبة بتطبيق مبادئ اللفظ الصحيح والمفهوم الصحيح، كما بالإمكان عقد دورات تدريبية ومحاضرات توعوية في هذا المجال من شأنها أن تجعل الثقافة اللفظية العامة بين الناس ثقافة سليمة.

والدولة هي الراعي الأكبر لكل من سبق وهي القادرة على تحويل النظريات إلى برامج عملية تطبيقية لامتلاكها القرار وأدواته، والقدرات البشرية، والتقنية، التي تساعدها لتنفيذ ما تريد، ومن واجباتها سن قوانين واضحة تضبط الألفاظ والمفاهيم، ثم مراقبة وتفعيل هذه القوانين، وإيجاد قوانين للأسماء تمنع منه ما ليس متوافق مع الحق، وتوجه الناس لاختيار الأفضل، وتسمية الشوارع والساحات والأماكن العامة، وحتى تثمر هذه الاقتراحات كلها لا بد من تضافر جهود الجميع، أفرادا ومؤسسات ودولة لضمان نجاح مثل هذه المقترحات بإذن الله تعالى.

خاتمة الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد:

فقد عشت مع هذا الموضوع ما يقارب السنتين بحثاً في المصادر والمراجع، وتفتيشاً عن المعلومة المناسبة، ونقداً للأفكار والآراء، وتفكيراً في الأفضل من أجل إخراج الموضوع بهذه الصورة، ولا أزعم أني قد توصلت إلى نتائج قطعية في هذا الباب، ولكن حسبي أني بذلت أكبر جهد عندي في البحث والمناقشة والسؤال والتفكير للوصول إلى الأفضل، فقد بحثت في مئات المراجع، متفرغاً تفرغاً تاماً لهذه المهمة، وحاولت أن أجعل البحث موثقاً توثيقاً علمياً، وأكثرت من استشارة المختصين الأفاضل، فاكتمل البحث بفضل الله عز وجل بهذه الصورة، التي أرجو أن تنال التقييم الذي تستحق من الأساتذة الأفاضل والباحثين الجادين، من أجل الارتقاء بهذا العلم الشريف المبارك.

وبعد اكتمال هذا الجهد بهذه الصورة فإني أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها ومنها.

- وجدت بوادر ظهور الحديث الموضوعي مبكرا في عصر الصحابة الكرام، وتطور التصنيف في هذا الاتجاه على مر العصور الإسلامية المختلفة.
- أسهم المحدثون على مر العصور في معالجة مشكلات الحياة التي تحياها الأمة، من خلال مصنفاتهم الموضوعية.
- هناك ارتباط بين قوة الأمة ونهضتها وبين إسهام المحدثين بالدراسات الموضوعية، فكلما كثرت الدراسات الموضوعية الجادة دل ذلك على التطور العلمي والحضاري للأمة.
- تنوعت مناهج التصنيف في الحديث الموضوعي، تبعا للمرحلة الزمنية للمؤلفين،ومتطلبات الحياة، والهدف المقصود من التأليف.

- أعاد المحدثون المعاصرون فتح باب الحديث الموضوعي، ضمن رؤية جديدة حسب متطلبات العصر.
- عرفت الدراسة الحديث الموضوعي بمعناه المتكامل أنه: **بحث علمي لموضوع ما، من خلال الحديث المقبول، للوصول إلى الهدي النبوي، وتطبيقه في الواقع**
- بينت الدراسة لوازم دراسة الحديث الموضوعي، كفقه الحديث وضوابط فهمه.
- بينت الدراسة المناهج المعاصرة للتصنيف في الحديث الموضوعي، وضبطت هذه المناهج وحددت معالمها بوضوح.
- حددت الدراسة الخطوات العملية للتصنيف في الحديث الموضوعي، في خطوات واضحة، تفتح ذهن الباحثين، وتوسع آفاقهم، وتسير بهم نحو الكمال المنشود للدراسات الحديثية الموضوعية.

أما أهم التوصيات فيمكن إجمالها بما يلي:

- ضرورة اهتمام المحدثين بالحديث الموضوعي في الحاضر والمستقبل، بحيث يكون لدراسات الحديث الموضوعي الحظ الأوفر عند المحدثين.
- ضرورة تكامل الدراسات في مجال التأصيل للحديث الموضوعي بكافة فروعه.
- لا بد أن يسهم المحدثون في نهضة الأمة عن طريق الدراسات الموضوعية للحديث.
- نحتاج إلى أبحاث أخرى متممة لهذا الموضوع متعلقة بفقه الحديث، وضوابط الفهم حسب منهج المحدثين، وتعميق الدراسة حول مقاصد الشريعة عند المحدثين نظريا وتطبيقاً، وكيف يمكن أن يسهم هذا العلم في حل المشكلات المعاصرة.
- التنسيق بين مراكز البحث في الحديث النبوي ضرورة عصرية، من أجل تكامل الدراسات وتلافي التكرار.
- ضرورة تعاون المحدثين وغيرهم من أجل كشف ما يحتاجه المجتمع من أبحاث يستطيع المحدثون القيام بها من خلال دراسات الحديث الموضوعي، ومعرفة الأهم والمهم منها، لتكون موضوعات يتناولها المختصون في دراساتهم.

وهذا جهد المقل، وهذه قدراتي لم أدخر منها شيئاً لخدمة الدين، وخدمة سنة نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وأسال الله أن يجعل هذا العمل في سبيله خالصاً، وأن يكتب له القبول في الدنيا والآخرة. وما كان من صواب فمن الله وحده. وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان،واستغفر الله.

والله تعالى أعلم

خالد محمد محمود الشرمان

اربد ٣/ ٣/ ٢٠٠٩م

قائمة المصادر والمراجع

- الآجري، أبو بكر، محمد بن حسين، الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥ تحيق محمد بن الحسن اسماعيل.
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي
- الأحدب، خلدون، التصنيف في السنة وعلومها، مؤسسة الريان - بيروت، ٢٠٠٦.
- أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٩٩٤، المشرف العام د عبد المحسن التركي .
- أحمد بن حنبل الشيباني، العلل ومعرفة الرجال، المكتب الإسلامي - بيروت، توزيع دار الخاني، الرياض، ط١، ١٩٨٨، تحقيق وتخريج د وصي الله بن محمد عباس.
- الأحمد، علي، صديق حسن خان، مكتبة الرشد، ط١،٢٠٠٣.
- الألباني، صفة صلاة الرسول- صلى الله عليه وسلم - **مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.**
- أمينة الجابر، ابن رجب الحنبلي، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥، ط١ـ قطر.
- بازمول، محمد بن عمر، الإضافة- دراسات حديثية، دار الهجرة - الرياض، ط١، ١٩٩٥.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، ،دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ تحقيق : د. **مصطفى ديب البغا.**

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، رفع اليدين في الصلاة، دار الأرقم – الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ تحقيق : أحمد الشريف.
- البخاري، رفع اليدين في الصلاة، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٦.
- ابن بدران، عبد القادر بن بدران الدمشقي، المدخل الى مذهب الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠١ تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
- بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، القاهرة– دار النهضة العربية، ١٩٦٨،
- بشار عواد معروف، المنذري وكتابه التكملة، مطبعة الأدب، النجف ١٩٦٨.
- البغوي، محمد بن الحسين التفسير المسمى معالم التنزيل. دار المعرفة –بيروت تحقيق خالد العك ط١ ١٩٨٦
- البغوي، شرح السنة المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق ط٢ ١٩٨٣م. تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط.
- بكار، محمد محمود، علم تخريج الأحاديث، دار طيبة – الرياض، ط٢، ١٩٩٦.
- البوسعيدي، عبد الرحمن بن حمد، مصطلحات نبوية، بيروت، ط١، ٢٠٠١
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، الزهد الكبير، المجمع الثقافي-الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤. تحقيق د. تقي الدين الندوي
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر، السنن الكبرى، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤ تحقيق : محمد عبد القادر عطا
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر السنن الكبرى دار الفكر دن، د ت
- البيهقي، اثبات عذاب القبر، المحقق د شرف القضاة، دار الفرقان ط١ ١٩٨٥
- التميمي، محمد خليفة، محمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش، مكتبة الرشد، الرياض.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، اقتضاء الصراط المستقيم، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة ط٢، ١٣٦٩ تحقيق : محمد حامد الفقي.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوي، دار الوفاء ط٣، تحقيق أنور الباز و عامر الجزار ٢٠٠٥.
- الجاحظ، البيان والتبيين ،. تحقيق عبد السلام هارون – دار الفكر ط٤ بيروت.
- جاسر عودة، فقه المقاصد، ط١، ٢٠٠٦، المهد العالمي للفكر الإسلامي..
- جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ط١، ٢٠٠١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودارالفكر بدمشق.
- جمال زكي السيد، أسس البحث الاجتماعي، القاهرة– دار الفكر العربي، ١٩٩٢.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، العلل المتناهية، دار الكتب العلمية –بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٣، تحقيق : خليل الميس.
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي البستي، الصحيح بترتيب ابن بلبان مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣ تحقيق : شعيب الأرنؤوط
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، المجروحين، دار الوعي حلب، تحقيق : محمود إبراهيم زايد.
- ابن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون، دار العاصمة– الرياض. تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب.
- ابن حجر، تقريب التهذيب، دار الرشيد حلب ط١ ١٩٨٦، تحقيق محمد عوامة
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،تهذيب التهذيب، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤ –
- ابن حجر، تلخيص الحبير، المدينة المنورة ١٩٦٤ دن دط، تصحيح عبدالله هاشم يماني.

- ابن حجر، نزهة النظر شرح نخبة الفكر، مكتبة منارة العلماء، مصر ١٩٨٩.
- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري دار السلام - الرياض، ط١، ١٩٩٧ م.
- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
- ابن حجر، المجمع المؤسس، مؤسسة الرسالة ط١ ١٩٩٦، تحقيق محمد شكور المياديني.
- ابن حجر، المعجم المفهرس دار الكتب العلمية- بيروت ط١ ٢٠٠٤.
- ابن حجر، النكت على ابن الصلاح، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق مسعود السعدني
- الحسني، اسماعيل، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر عاشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٥
- الحسيني عبد المجيد هاشم، القاهرة - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤٠٤
- حليمة بو كروشة، معالم تجديد المنهج الفقهي، الشوكاني أنموذجا، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، كتاب الامة ط١، ٢٠٠٢.
- حنبل بن إسحاق، الفتن، دار البشائر، ط١، ١٩٩٨م. تحقيق عامر حسن صبري
- حوى، سعيد، الأساس في السنة، ط١، ١٩٨٩، دار السلام، مصر —القاهرة.
- ابن خزيمة محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة المكتب الإسلامي - بيروت، ١٩٧٠ تحقيق : د محمد مصطفى الأعظمي
- ابن خزيمة، التوحيد، دار الرشد- الرياض، ط١، ١٩٨٨، تحقيق ودراسة، دعبد العزيز الشهوان.
- خضير، عبد الكريم، الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٣، ١٤٢٣.
- الخطيب، محمد عجاج، أصول الحديث، دار الفكر —بيروت ط٣ ١٩٧٥.
- الخطيب أحمد بن علي بن ثابت، الجامع لأخلاق الرواي مكتبة المعارف - الرياض، ١٤٠٣، تحقيق د. محمود الطحان.
- الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر، الكفاية في علم الرواية المكتبة العلمية - المدينة المنورة تحقيق أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر، تقييد العلم، دار إحياء السنة النبوية ط٢ ١٩٧٤ تحقيق: يوسف العش.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي بيروت، دن دت.
- خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، ط١٤- دار القلم- الكويت. ١٩٤٢
- خياط، أسامة، مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء، دار الفضيلة —الرياض، ط١، ٢٠٠١.
- الدار قطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، السنن دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ - ١٩٦٦تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الفكر، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.
- الدغامين، زياد، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ومنهجية البحث فيه، دار عمار الاردن ط١ ٢٠٠٧.
- الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، حجة الله البالغة، دار التراث - القاهرة ١٣٥٥هج
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان تذكرة الحفاظ دار احياء التراث بعناية عبد الرحمن المعلمي اليماني ١٣٧٤هـ
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ.

- الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٩٥٢.
- الرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمن، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، دار الفكر تحقيق محمد عجاج الخطيب ط١ ١٩٧١.
- ابن رجب الحنبلي عبد الرحمن، ذيل طبقات الحنابلة، مكتبة العبيكان الرياض ط١ ٢٠٠٥ تحقيق د عبد الرحمن العثيمين.
- الزركلي ،الاعلام دار العلم للملايين بيروت –لبنان ط١١، ١٩٩٥.
- الزمخشري محمود بن عمر، اساس البلاغة، المكتبة العصرية –بيروت ط١ ٢٠٠٣ بعناية د محمد قاسم.
- الزهراني، محمد بن مطر، تدوين السنة النبوية، نشأته وتطوره، دار الهجرة – ١٩٩٦.
- أبو زيد، بكر بن عبد الله، معجم المناهي اللفظية، دار العاصمة – الرياض، ١٩٩٦.
- أبو زيد، بكر بن عبدالله، ابن قيم الجوزية- حياته وآثاره، مطابع دار الهلال، ط١، ١٩٨٠.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، جمع الجوامع، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ٢٠٠١
- السخاوي، القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ط٣ ١٩٧٧.
- ابن سعد ،الطبقات الكبرى، دار صادر ،١٩٦٨ تحقيق احسان عباس.
- سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المكي، السنن، دار الكتب العلمية- بيروت، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ط١ ١٩٨٥
- السفاريني، نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، دار الصميعي، ط١، ١٩٩٦، الرياض.عناية عبد العزيز بن سليمان.
- السلمي، عقد الدرر في أخبار المنتظر، تحقيقُ عبد الفتاح الحلو، ط١، بدون دار نشر.
- السندي، نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن، حاشية السندي على النسائي مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة
- السيوطي وآخرون، شرح سنن ابن ماجة شرح سنن ابن ماجه، الناشر : قديمي كتب خانة - كراتشي
- السيوطي، تدريب الراوي، ط١، ١٩٩٤، تحقيق نظر الفاريابي، مكتبة الكوثر- الرياض.
- السيوطي، تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك دار الفكر دن دت
- شاكر محمود، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٧م.
- شريفين، عماد، تعديل السلوك في التربية الإسلامية - رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، ٢٠٠٢،
- الشوكاني، إرشاد الفحول، مطبعة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة – الرياض ط١ ١٩٩٧م.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد، المصنف، دار الفكر ط١ ١٩٨٩، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ تحقيق : كمال يوسف الحوت.
- ابن أبي شيبة، محمد بن عثمان، كتاب العرش، مكتبة الرشد- الرياض، ط١، ١٩٩٨ تحقيق ودراسة د. محمد خليفة التميمي.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي، كتاب الإيمان، مطبوع ضمن كتاب- من كنوز السنة- رسائل أربع، دار الأرقم- الكويت ط٢، ١٩٨٥، تحقيق الشيخ الألباني.
- الصالح صبحي، علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٧، ١٩٨٨.

- صالح معتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
- الصباغ ،محمد، التصوير الفني في الحديث النبوي. المكتب الإسلامي ط١ ١٩٨٣
- ابن الصلاح، علوم الحديث، دار الفكر – دمشق تحقيق وشرح د نور الدين عتر ١٩٨٦.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الامير، سبل السلام، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٩٧، تحقيق فواز زمزلي و إبراهيم الجمل.
- الصياح، الحديث الصحيح ومنهج علماء المسلمين في التصحيح، مكتبة الرشد الرياض ط١ ١٩٩٨.
- الضياء المقدسي، محمد بن عبد الواحد، اتباع السنن واجتناب البدع، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٧م. تحقيق محمد بدر الدين قهوجي.
- الضياء المقدسي، محمد بن عبد الواحد، الطب والرقيات والامراض والكفارات، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
- الضياء المقدسي، محمد بن عبد الواحد، فضائل بيت المقدس، تحقيق محمد مطيع حافظ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان دار المعرفة –بيروت ط٢ ١٩٧٢
- الطحان، محمود، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف الرياض.ط٨ ١٩٨٧
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان الطبعة الأولى٢٠٠٠م.
- ابن عاشور، مقاصد الشريعة، الشركة التونسية للتوزيع، بدون طبعة، ١٩٨٥.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، جامع بيان العلم وفضله، مؤسسة الريان ودار ابن حزم، ط١ ٢٠٠٣.تحقيق فواز أحمد زمرلي.
- عبد الرحمن صالح، المرشد في كتابه البحوث التربوية، مكتبة المنارة، ط٥، ١٩٨٨
- عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، ١٩٧٠
- عبد الستار الشيخ، الحافظ ابن حجر العسقلاني دار القلم، دمشق ط١ ١٩٩٢
- عبد الستار الشيخ، الحافظ الذهبي دار القلم، دمشق ط١ ١٩٩٤
- عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – الناشر – دار القرآن الكريم، بيروت، ط١، ١٩٨٦.
- عبد اللطيف محمد عامر. علوم السنة وعلوم الحديث، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠.
- عبد المجيد محمود، الاتجاهات الفقهية عند المحدثين ١٩٧٩م د. ن. د. ت.
- أبو عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، دار الشروق بيروت والقاهرة ط١ ١٩٨٩، تحقيق وتقديم د. محمد عمارة.
- عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر سوريا ط٣ ١٩٩٢.
- ابن عثيمين، محمد صالح، السنن والبدع المتعلقة بالالفاظ، دار الشريعة، القاهرة، ٢٠٠٣.
- ابن عدي، عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال دار الفكر – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٨، تحقيق : يحيى مختار غزاوي

- ابن عساكر، الأربعون في الحث على الجهاد، دار الخلفاء، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.
- ابن عساكر، التوبة، دار ابن الأثير، الكويت، ط١، ١٩٩٧، تخريج وتحقيق مشعل محمد الحدادي.
- العظيم آبادي محمد شمس الحق أبو الطيب، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٥
- عكايلة سلطان، وآخرون، الواضح في تخريج الأحاديث، ط١، ١٩٩٩– الدار العالمية للنشر – عمان.
- العلواني طه جابر، مقدمة كتاب نظرية المقاصد عند الإمام محمد بن عاشور لاسماعيل الحسني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٥
- علوش، عبد السلام محمد، علم زوائد الحديث دراسة ومنهج ومصنفات، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٥، بيروت.
- علي فريد، مناهج المحدثين ص٢٦٦ – الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٢ م
- العليمي، أحمد ابن تيمية محدثاً، فصل العصر الذي عاش فيه، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٢.
- عماد الدين خليل، دليل التاريخ والحضارة ص دار الرازي – الأردن – ط١، ٢٠٠٤٢٩
- العمري، أكرم، التراث والمعاصرة، رئاسة المحاكم الشرعية، ١٩٨٥، الدوحة، كتاب الامة١٠.
- غرايبة فوزي، أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، والإنسانية، ط٣، ٢٠٠٢، دار وائل للنشر – عمان،
- الفاسي، علال، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الأسلامي، بيروت، ط٥، ١٩٩٣.
- الفريابي، القدر، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٩٩٧، تحقيق عبدالله بن حمد المنصور.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٩٨٧
- القاسمي، جمال الدين، قواعد التحديث، مؤسسة الرسالة٢٠٠٤، بيروت، تحقيق مصطفى شيخ.
- القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة، ط١، ١٩٩٠، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الولايات المتحدة فيرجينيا.
- القرطبي، التفسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧
- القزقي، سعيد بن عبد الرحمن بن موسى، بيت المقدس في الحديث النبوي الشريف، مقدمة الكتاب للدكتور عز الدين بن زغيبه، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث– دبي، د.ن، د.ت.
- قهوجي د. محمد رضا، مقدمة تحقيق كتاب الأدب لابن أبي شيبة، دار البشائر، ط١، ١٩٩٩.
- القيسي، عدنان عبد الرحمن، مقدمة كتاب المجالسةوجواهر العلم للدينوري مؤسسة الريان، لبنان ط١، ١٩٩٧.
- ابن القيم، شمس الدين أبو عبدالله، الجواب الكافي، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض ١٩٧٨ د. ط
- ابن القيم، شمس الدين أبو عبدالله، زاد المعاد في هدي خير العباد مؤسسة الرسالة ط٣ ١٩٩٨
- ابن القيم، شمس الدين أبو عبدالله، الروح، – دار الفكر – عمان، ط٢ ١٩٨٦، تحقيق عبد الفتاح محمود عمر.
- ابن القيم، شمس الدين أبو عبدالله، أعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل: بيروت، ١٩٧٣، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.
- الكرمي، القول المعروف في أحاديث فضل المعروف، ط١، منشورات جمعية الحديث الشريف، ١٩٩٥م. تحقيق لطفي الصغير
- الكشميري، محمد أنورشاه، التصريح بما تواتر في نزول المسيح – تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الاسلامية، حلب، ط١، ١٩٨١.
- الكوثري، المقالات، المكتبة الأزهرية مصر ١٩٩٤.

- اللحام، بديع السيد، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، وجهوده في الحديث وعلومه، دار قتيبه، ط١، ١٩٩٤، دمشق.
- لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، تعريب عجاج نويهض، دار الفكر ط٢ ١٩٧٣.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجه دار الفكر – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.
- مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، موطأ الإمام مالك دار القلم – دمشق الطبعة : الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩١ م تحقيق : د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب أدب الدنيا والدين، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان ط١ ٢٠٠٤، عناية محمد أبو الخير السيد.
- الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية.
- محسن بن محمد بن سعيد، العلم وأهله في الحديث النبوي الشريف، المقدمة، مؤسسة الريان- بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي الناشر مكتبة مدبولي ٢٠٠٠.
- محمد رأفت سعيد، أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس، كتاب الأمة رقم ٣٧، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر.
- محمد شقرة، تنوير الإفهام إلى بعض مفاهيم الإسلام، د ن، ١٩٨٥، عمان.
- محيي الدين عطيه وآخرون، دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٥.
- المروزي، تعظيم قدرالصلاة، دار العقيدة، الاسكندرية، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م. ضبط وتخريج أحمد أبو المجد
- المزي: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠ تحقيق : د. بشار عواد معروف
- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري صحيح مسلم: دار إحياء التراث العربي – بيروت
- مصطفى احمد الزرقا في المنهج النبوي ص١٠.مطبعة الجامعة السورية دمشق، ط٢ ١٩٥٦
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المكتبة الاسلامية، إخراج ابراهيم مصطفى وآخرون، دت.
- المقريزي، احمد بن علي ابو العباس، الخطط واسم الكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار مكتبة المثنى، بغداد دن، دت
- المليباري، حمزة، نظرات جديدة في علوم الحديث دار ابن حزم ط ١ ١٩٩٥
- المليباري، نظرات جديدة في علوم الحديث، ص٦٠، المكتبة المكية ودار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
- المليباري، الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليلها دار ابن حزم، ط٢، ٢٠٠١، بيروت- لبنان.
- المنجد، في اللغة والأعلام دار الشروق بيروت ط ٣٦
- المنجد، صلاح الدين، معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار الكتاب الجديد بيروت لبنان- ١٩٨.
- ابن مندة، الإيمان، دار الفضيلة – الرياض- ط٤، ٢٠٠١، تحقيق دعلي بن محمد بن ناصر.
- منلا، مصطفى عمار، معجم ما طبع من كتب السنة، دار البخاري المدينة المنورة ١٩٩٧م.
- المودودي أبو الأعلى، مبادئ أساسية لفهم القرآن، ترجمة خليل الحامدي (١٩٨٩)، الدار السعودية للنشر، جدة
- النجار عبد المجيد، في فقه التدين فهما وتنزيلا الجزء الأول كتاب الأمة رقم٢٢ط١ صادر عن رئاسة المحاكم الشرعية في قطر
- نجم خلف، الإمام البيهقي، دار القلم، ط١، ١٩٩٤.

- ابن النديم، محمد بن ابي يعقوب، اسحاق النديم المعروف بالوراق، الفهرست، تحقيق رضا تجدد طهران١٩٧١م
- الندوي، الإمام ولي الله الدهولي، ص ١٣٩، دار القلم، ط١، ١٩٨٥،
- الندوي، ولي الدين، الإمام عبد الحي اللكنوي، دار القلم، ط١ـ ١٩٩٥،
- النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن المجتبى من السنن، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام مؤسسة الرسالة - لبنان – بيروت الطبعة : الاولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل
- النووي، المجموع، دار الكتب العلمية- بيروت ط١ ٢٠٠٢، تحقيق عادل احمد وآخرون
- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم ط١ بيت الأفكار الدولية – الرياض.
- النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم، معرفة علوم الحديث، دار ابن حزم- بيروت ط١ ٢٠٠٣م. تحقيق أحمد بن فارس سلوم.
- النيسابوري محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا
- وزارة التربية والتعليم الاردنية، كتاب العلوم الاسلامية للمرحلة الثانوية، الفرع الادبي، الناشر وزارة التربية ط١ ٢٠٠٤
- وكيع بن الجراح، الزهد، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، دار الصميعي ط٢، ١٩٩٤، الرياض.
- يحيى بن آدم، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩ مطبوع مع مجموعة كتب.
- أبو يوسف القاضي، الخراج، دار المعرفة – بيروت، ١٩٧٩.

الأبحاث العلمية المنشورة

- أحمد شرف الدين بحث بعنوان: الحاسوب في خدمة السنة النبوية المطهرة، مطبوع في مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، عدد ٨ سنة ١٩٩٥.
- البوطي محمد سعيد رمضان، السنة مصدراً للتشريع ومناهج الاحتجاج بها- بحث مقدم لندوة السنة النبوية، ومنهجها في بناء الحضارة، عمان- الأردن، من مطبوعات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.
- الحبي أحمد، التطور والتجديد في دراسات العقيدة الإسلامية، بحث منشور ضمن وقائع مؤتر التجديد في الفكر الإسلامي، جامعة اليرموك، ٢٠٠٤
- حسام أحمد قاسم، الإيمان والعمران، دراسة في علاقة الإيمان بالتنمية البشرية كما يصورها الحديث النبوي الشريف، بحث منشور ضمن وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة المنعقدة في دبي، ومطبوع باسم القيم الحضارية في السنة النبوية، ٢٠٠٧، صادر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ط١ ٢٠٠٧م.
- الخطيب، راتب عباس، موسوعة الحديث النبوي الشريف باستخدام الحاسوب، بحث مقدم لندوة الحديث الشريف، وتحديات العصر، دبي ٢٠٠٥، ومطبوع ضمن أبحاثها.
- الدريس، خالد بن منصور، بحث بعنوان مسالك تضييق الاحتجاج بالسنة في الفكر الاسلامي مطبوع ضمن ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر.
- زرزور عدنان منهجية التعامل مع علوم الشريعة في ضوء التحديات المعاصرة، بحث مطبوع ضمن بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات – عمان – الأردن، ١٩٩٤، ط١، ١٩٩٥، المعهد العالمي للفكر الإسلامي
- سعيد عبد الجبار، بحث بعنوان، بناء الملكة النقدية عند الباحثين في السنة، مقدم للندوة العالمية الثانية في كلية الدراسات العربية/ دبي، ومطبوع بعنوان الحديث الشريف وتحديات العصر

- سعيد، عبد الجبار، منهجية التعامل مع السنة، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد الثامن عشر، السنة الخامسة، ١٩٩٩.
- صالح بن سعيد عومار، فقه الحديث بين أصول المحدثين، بحث مقدم لندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، كلية الدراسات العربية.
- عثمان علي حسن، بحث بعنوان الخطاب بين الأصالة والمعاصرة، منشور ضمن وقائع مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، جامعة اليرموك، ٢٠٠٤
- علاوة عنصر، ود. حكيمة حفظي، ترشيد استهلاك الماء، بحث منشور ضمن وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة التي عقدت في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، ٢٠٠٧، بعنوان القيم الحضارية في السنة النبوية، ط١ ٢٠٠٧،
- فاروق حمادة، بحث بعنوان: قضايا في طريق دراسات الحديث والسنة، مقدم لندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، كلية الدراسات الإسلامية العربية- دبي.
- القرضاوي، نحو موسوعة للحديث النبوي- مشروع منهج مقترح، بحث مقدم لندوة السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة، ومطبوع ضمن كتاب بنفس الاسم.
- المليباري حمزة، الدراسات الحديثية المعاصرة تحليل وحلول. بحث مطبوع ضمن أبحاث - ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، دبي - كلية الدراسات الاسلامية والعربية.
- همام سعيد، بحث بعنوان بناء المكانز الموضوعية في الحديث، مطبوع ضمن أبحاث ندوة السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة،

الرسائل العلمية الجامعية

- أرمان بن اسمد، رسالة الأحاديث النبوية الواردة في الرخص، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٣.
- بكر مصطفى بني ارشيد، رسالة الأحاديث الواردة في حماية البيئة، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ١٩٩٣.
- خليل اسماعيل ابراهيم الحية، رسالة الأحاديث الواردة في حقوق العمال، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ١٩٨٩.
- راشد مران الحربي، رسالة الأحاديث النبوية الواردة في البحر رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٤.
- رحيم موسى مصطفى، رسالة الأحاديث النبوية الواردة في العقل في الكتب التسعة، رسالة ماجستير، الجامعة آل البيت، ٢٠٠١.
- زكريا صبحي زين الدين، رسالة المعالم المدنية في العهد النبوي، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية بغزة، ١٩٩٨.
- صلاح الدين عبد المنعم صالح بدر، رسالة الأحاديث الواردة في بني قريظة الكتب الستة، رسالة ماجستير، الجامعة آآل البيت، ١٩٩٩.
- عبد الملك السيابي، رسالة خطب النبي صلى الله عليه وسلم في الجمعة والعيدين، الجامعة الاردنية ٢٠٠٠
- عبدالله محمد امين العمري رسالة الرؤى والأحلام في السنة النبوية، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ١٩٩٢.
- فيصل محمد امين العمري رسالة الأحاديث الواردة في رعاية الشباب رسالة ماجستير، الجامعة آل البيت، ١٩٩٩.
- لطفية محمود الشطي، رسالة الأحاديث الواردة في التغذية رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ٢٠٠١.
- محمد ابراهيم مشتهى، رسالة الاحاديث الواردة في الأيتام، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٣.

- محمد حسين أحمد رسالة الأحاديث الواردة في الصحة النفسية، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢.
- نادر فلاح حمود العازمي، رسالة حماية المستهلك في السنة النبوية رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٣.
- هنادي محمد بركات الخلايلة، رسالة الاتصال الخارجي في السنة النبوية رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٦.

فهرس الايات الكريمة الواردة في الكتاب